

عبد بن حش

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

هو من أعظم أبطال غزوة أحد ، استشهد فيها على يد أبي الحكم ابن الأحنس بن شريق الذي قتل كافرأ قبل انتهائها ، وكان عبداً لله من جملة الشهداء الذين مثل بهم المشركون ونسأؤهم ، ومن حديثه أنه دعا على نفسه قبل الغزوة فقال اللهم ارزقني غداً رجلاً شديداً بأسه فيقتلني ثم يأخذني فيجده أنتي وأذن . فإذا لقينك قات يا عبد الله فيم جده أنتك وأذنك فأقول فيك وو رسولك فتقول صدقت (وهو ابن أميمة بنت عبد المطالب)

وأشهد من حول النبي بلاءها
وأجعل من وجهي وقاء لوجهها
وياليت أني قد حملت جراحها
تفيض على الجرحى حنانا ، وتصطلي
كذلك كان المسلمون وهذه
إذا الحادثات السود عبَّ عبايها
مناقب للدنيا العريضة هزة
لها من معاني الخلد كلُّ بديعة
ووا أسفى إن لم تجد من شيوخهم
إذا ما رأيت الهدم للقوم ديدنا

وأشدها في الله هذى القوافيا
إذا ما رماها مشرك من أماميا
وكنت لها في المأزق الضنك فاديا
من الحرب ما لا يصطلى الليث عاديا
سجايا اللواتي كنَّ فيهم دراريا
كفغن البلايا . أو كشفن الدياتيا
إذا ذُكرتْ ، فليشدُّ من كان شاديا
فيا ليت قومي يفهمون المعانيا
حفيظا يُلقأها ، ولم تُلف واعيا
فوارحمتا فيهم لمن كان بانيا^(١)

أبشر ، فذلك ما سألت قضاء
آثرته ورضيت بين عباده
قتلوك فيه تردُّهم عن دينه
وبغوا عليك فعذبوا الجسد الذي
هي دعوة لك ما بسطت بها يداً
ولقد رأيت حى الجهاد فصف لنا
ماذا جزاك الله من رضوانه
ماذا أعد لكل برٍّ مُتَّقٍ
أرأيت عبد الله كيف بلقته
دمك المطهر لو أُتيح لهالك
صوت يهيب لكل شعب غافل

رب هداك ، فكنت عند هداه
من صالح الأعمال ما يرضاه
صرعى . وتمنع أن يباح حماه
مال الكرامة والنعيم سواه
حتى تقبل واستجاب الله
ذاك الحمى القدسى كيف تراه ؟
وحباك في الفردوس من نعماه ؟
غوت النفوس فما أطاع هواه ؟
شرفاً مدى الجوزاء دون مدها ؟^(١)
أعياء الأساة شفاؤه لشفاه^(٢)
طوبى لمن رزق الهدى فوعاه

(١) ديدنا عادة وطبيعة .

(١) الجوزاء نجم في السماء .
(٢) الأساة جمع آس وهو الطيب .

معنى التفوق في الحياة . فمن أبن
الأمر رهن الجدل . ليس بنافع
تشتق النفوس . ولا كشقوة خاسر
والمرء يرغب في الحياة وطولها
إلا الصلـود فما درى معناه
قول الضعيف ، لعله وعساه
لا دينه استبق ولا دنياه
حتى يكون الموت جُلّ مناه

* * *

أوتيت نصراً يا محمد ساطعاً
لك من دم الشهداء بأس لم يقم
ما تنقضى لأمام حق قوة
إلا تزيد على الزمان قواه
يبقى على ظلم العصور سناه^(١)
في الأرض دينك عالياً لولاه

محمد رسول الله

هذا إمام الدين في أعلامه
والدين معتصم بيأس إمامه
يحمي حقيقته بقوة بطشه
ويصون بيضته بخدا حسامه
شيخ الجهاد يود كل مجاهد
لو كان يدعى في الوغى بفلامه
على اللواء يقيمه بخدوده
ويبين المآثور من أحكامه
المصلحون على الزمان سيوفه
وجنوده في حربه وسلامه
عرفوا الجهاد به ، ومنه تعلموا
ما صحّ من دستوره ونظامه
غضبت قريش أن جفا أصنامها
ووفى بعهد إلهه وذمامه
يفزرو فوارسهم ويقتل جمعهم
حتى يدين مرامهم لمرامه
ويرى الحجّة كل غاوٍ منهم
فيكف عن طغيانه وعُرامه
ويتوب جاهاهم إلى دين الهدى
والنور من دين العمى وظلامه
دلفوا إليه ، وظنّ أكذبهم منى
أن قد سقته يداه كأس حمّاه
أكذاك ينخدع الغيُّ وهكذا
يتخبط المفتون في أوهامه
مهلاً أبى لقد ركبت عظيمة
وأردت صرحاً لست من هُدّاه^(١)

(١) أبي بن خلف ، أقبل يقول أين محمد ، لا نجوت إن نجا ، فاعترضه رجال من المسلمين فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يخلوا طريقه وتناول حربة من بعض أصحابه (الحارث بن الصمة . أو الزبير بن العوام فخدشه بها في عنقه خدشاً كبيراً احتقن الدم فقال قتلى والله محمد فقالوا ، ذهب والله فؤادك - أو ذهب والله عقلك - إنك لتأخذ السهام من أضلاعك فتزى بها فما هذا ؟ والله ما بك من بأس ، إنما هو خدش لو كان بين أحدنا ما ضره . فقال : واللات والغزى لو كان هذا الذي بي بأهل ذي الحجاز - سوق من أسواق الجاهلية كان عند عرفة - أو لو كان بريعة ومضر - أو بأهل الأرض - لآتوا - كان يقول للنبي بمكة يا محمد إن عندى العود - يعنى فرساً له - أعلنه كل يوم فرقاً (مكيال يسع اثني عشر مداً) من ذرة سأقتلك عليه .

صرح بناه الله أول ما بنى
لا يبلغ الباني ذراه ، ولا يرى
مهلا أبى فإن جهات مكانه
أقدم نغذها طعنة من باسل
تلك اللنية يا أبى سقيتها
خدش كوقع الظفر ، أو هو دونه
أبى أين العود والعلف الذى
إذهب لك الويلات من متمرده
لك من قتيل الكبش أشام صاحب
أخذ النبي بضربة كانت له
ولمن تقدم فوق صهوة عاثر
هو فى الحفيرة دون حصن محمد
أنقى القضاء عليه من أقاله
أرداه بابت الصمة البطل الذى

= كان أبى من أسارى بدر ثم أطلق - مات وهم قافلون به إلى مكة بسرف - وقيل بيطن
رايح - لم يقتل النبي أحداً بيده الشريفه قبل أبى ولا بعده .
(١) هو ابن فقة . خرج إلى غنمه بعد الوقفة فوافاها على ذروة الجبل فأخذ يعترضها .
وشد عليه كبشها فطعنه نطحه أداره بها من شاحق الجبل فتقطع - وفى رواية - فسلط الله
عليه تيبس جبل فلم يزل ينطحه حتى جعله قطعة قطعة .
(٢) هو عثمان بن عبد الله بن المغيرة - أقبل على فرس أبلق وعليه لامة كاملة قاصداً
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوجه للشعب قائلاً لا تجوت إن نجاً فوقف الرسول الكريم
وعثر بعثمان فرسه فى إحدى الحفر فثنى إليه الحارث بن الصمة فقتله وأخذ درعه ومغفره . وأقبل
عبيد الله بن جابر العامري يعدو فضربه الحارث فجرحه . واحتمله أصحابه فوثب أبو دجانة
وذبحه .

(٣) جمع جرم بكسر الجيم ، فهى بمعنى الأجسام الثقيلة .

(٤) صمام القارورة ونحوها سددها ، وهو هنا على الاستعارة .

يفشاه سيف العامرى فينتى
سلمت يدك أبادجانة من فتى
أحسنت ذبح للمشركين فأشبهوا
ياويهم إذ يقذفون نبيهم
كسروا عوارضه وشجوا وجهه
يجرى الدم المدرار من متهلل
لا يعجب الكفار من مسفوحه
ماظنهم بالله يؤثر عبده
لن يستطيع سوى الضلالة مذهباً
لم يخذلوه ولم تفته كرامة
صبر المشمر للجهاد على الأذى
هذا مقام محمد فى قومه
القادة الهادون من أتباعه
الله أرسله طبيباً شافياً
الأمر بان ، فأين يلتبس الهدى

ودم الجريح بيل حراً أوامه^(١)
وسم اللنية من حلى صمصامه
ما يذبح الجزار من أنعامه
بججارة تهوى هوى سهامه^(٢)
من كل غاوٍ جد فى إجرامه
طلق الحيا فى الوغى بسامه
فلقد جرى من قبل فى إلامه
بالبالغ الموفور من إنعامه ؟
من ليس بالصرور عن أصنامه
هم عند نصرته ، وفى إكرامه
خلق يتم المجد عند تمامه
هل لامرئى فى الدهر مثل مقامه ؟
والسادة البانون من خدامه
للعالم الوحشى من أسقامه
من ضلّ بين حلاله وحرامه ؟

(١) الأوام العطش الشديد ، وقيل هو حر العطش .

(٢) قذف النى صلى الله عليه وسلم بالحجارة حتى وقع لشقه ، وربما عتبه بن أبى وقاص
أخو سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه بحجر فكسر رباعيته اليمنى والسفلى وشق شفته السفلى .
ودعا عليه النبي فلم يحل الحول حتى قتل ، ولم يولد لعنبة ولد أو ولد لولا وهو أهم (ساقط
مقدم الأسنان) ووقم صلى الله عليه وسلم فى حفرة من الحفر التى عملها للمسلمين أبو عامر
القاسق والد حفظة غسيل الملائكة رضى الله عنه فأغمر عليه وخذشت ركبته . وذلك حين
علاه ابن فقة بالسيف فأخذ على بن أبى طالب بيده ورفع طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً .
وكسرت البيضة (الحوذة) على رأسه صلى الله عليه وسلم وشج وجه الشريف وجرحت
جوجته لدخول حقتين فى الحفر فهما عندما ضربه ابن فقة . ولما سال الدم من وجه الشريف
جعل يحسحه ويقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم فأنزل الله تعالى
(ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون) .

غزوة حمراء الأسد

هو مكان على ثمانية أميال من المدينة ، وكان الخروج إلى هذه الغزوة يوم الأحد سادس عشر شوال في السنة الثالثة من الهجرة ، على أثر رجوع المسلمين من غزوة أحد ، دعا إليها النبي صلى الله عليه وسلم بعد صلاة الصبح ، وأمر ألا يخرج معه أحد ممن تخلف عن أحد وكانت جراحه وجراح الذين أصيبوا معه في هذه الغزوة لا تزال كما كانت ، فلم يتخلف أحد منهم ، وسبب الخروج إلى حمراء الأسد أن عبد الله بن عمرو المزني جاء إلى الرسول الكريم وأخبره أن أبا سفيان يريد الرجوع إلى المدينة بمن معه ليستأصل من بقي من أصحابه ، وأن المشركين يجرضونه على القتال ، ولما رجع معبد الخزاعي من عند النبي إلى أبي سفيان بالروحاء وصف له بأس المسلمين وقوة جيشهم ، ثم نهاه عن القتال ، فانصرف خائفاً إلى مكة .

- أقبلوا أو فاتقوا سوء المرد رضى الموت بحمراء الأسد^(١)
 غاظكم أن لم تنالوا مأرباً قتمادى الفيظ واشتد الحسد^(٢)
 كيف ينجوم من رمى من قومكم كل جبار ، فأمسى قد همد
 لم لا تُرَجَى السبايا ، فترى مردفات تشتكى مما تجد^(٣)
 لا تدعها يا ابن حرب جذوة تنلظى من قریش في الكبد
 يا ابن حرب أطفئ النار التي شها أبطال بدر وأحد^(٤)
 كل حرب خمدت نيرانها مندحين ، وهي حررى تققد^(٥)
 لا تطع صفوان وانبذ رأيه لا تطعه مرشداً يا بى الرشد^(٦)

(١) رضى أقام

(٢) المأرب الحاجة .

(٣) المردفات المحمولات خلف الراكب .

(٤) شها أشعلها .

(٥) خمدت هدأت حرى ملتبية .

(٦) هو صفوان بن أمية . نهى أبا سفيان ومن معه عن الحرب ، وقال : يا قوم

ركبُ النبي إلى المدينة عائد يمشى به جبريل في أعلامه^(١)
 يتوسط الجرحى تسيل دماؤهم فوق الحصى من خلفه وأمامه
 ويمدُّ فوق المؤمنين جناحه يقضى لمن الحق من إعظامه
 أدين مسنون الجهاد ، وذقن في وهج الجلاد الحق حرّاً ضرامه
 شمت اليهود وأرجف نفر الألى طبع النفاق قلوبهم بختامه
 قالوا ، أصيب محمد في نفسه ورجاله ، وأصيب في أحلامه
 ماتلك منزلة النبي ، فإنما يُؤتى النبي النصر عند صدامه
 جلت مطالبه ، فراح يريده ملكا يدوم جلاله بدوامه
 لو أن قتلى الحرب كانوا عندنا ما هدّ هالكهم ذوى أرحامه
 هاجوا من الفاروق غضبة واثق بالله لا يُصغى إلى لؤامه
 فدعا : أيترك رأس كل منافق في القوم يؤذينا بسوء كلامه ؟
 قال النبي : وكيف تقتل مسلماً أفأ تخاف الله في إسلامه ؟
 صلى عليك الله من متحرج جم الأناة يعف عن ظلامه^(٢)
 سمح الشريعة والخلال مسدّد في نقضه للأمر أو إبرامه

(١) لما انتهت الواقعة ركب النبي صلى الله عليه وسلم فرسه عائداً إلى المدينة والمسلمون حوله . وكان أكثرهم جرحى فلما كانوا بأصل أحد قال لهم اصطفوا حتى أتني على ربي عز وجل فوققوا صفواناً ووقف النساء خلفهم وقال - اللهم لك الحمد كله . اللهم لا قابض لما بسطت . ولا باسط لما قبضت . ولا هادى لمن أضللت . ولا مضل لمن هديت ، ولا معطى لما منعت ولا مانع لما أعطيت . ولا مقرب لما أبعدت . ولا مبعد لما قربت . ولما وصل المسلمون إلى المدينة أظهر اليهود والمنافقون الشتمة والسرور . وكان من سوء ما قالوا . ما محمد إلا طالب ملك ما أصيب بمنزل هذا نبي قط - أصيب في بدنه وأصيب في أصحابه ، لو كان الذين قتلوا عندنا ما قتلوا فقال عمر للنبي ، أتأذن لي في قتل هؤلاء المنافقين قال . أليس يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله . لاني نهيت عن قتل المسلمين .

(٢) تخرج جانب الجرح . وهو الأثم .

إرجعوا ، فاستأصلوا أعداءكم
 حاربوا الله ، وزيدوا شططاً
 حاربوه ، وانصروا أصنامكم
 يا ابن عمرو هات من أنبيائهم
 لك أذن من رسول الله في
 شاور الصديق فيهم ودعا
 إليها الهيجا ، يا خير الورى
 ارفع الصوت ، وأذن بالوغى
 أذع من خاض المنايا ، واصطلى
 تلك عز الدهر ، أو مجد الأبد
 إنها فنتته في من جحد^(١)
 لا تبالوا من قواه ما حشد^(٢)
 مارأت عينك من هزل وجد^(٣)
 حدّ غضب يتقيه كل حد^(٤)
 يسأل الفاروق ما الرأى الأسد؟^(٥)
 مالنا منها ، ولا للقوم بد^(٦)
 يا بلال الخير أذن واقتصد^(٧)
 جذوة الأمس ، وأمسك لا تزدد

* * *

نفر القوم خفافاً . ما ونى منهم الجرحى ، ولا استعفى أحد^(٨)

= لا تفلحوا فإني أخاف أن يحجم عليكم محمد من تخلف عن الخروج إلى أحد ، فارجعوا وانسوة
 لكم ، لئى لا آمن إن رجتم أن تكون الدولة عليكم فمما بلغ ذلك رسول الله قال : أرشدتم
 صفوان وما كان برسيد .

- (١) الشطط الجور .
- (٢) حشد : جمع .
- (٣) قال عبد الله بن عمرو المزني لثني : إنه سمع المشركين يقولون لأبي سفيان : لا محمداً
 ولا الكواعب أردقم ، بئس ما صنعتم ارجعوا .
- (٤) الغضب السيف الفاطم .
- (٥) دعا النبي أبا بكر وعمر ، وحدثهما بما قال عبد الله بن عمرو فيعرف رأيهما ،
 فقال يا رسول الله اطلب القوم ، لا يقتحمون على الذرية .
- (٦) الهيجا الحرب والورى الناس .
- (٧) أمر النبي بلالا أن يؤذن في المسلمين بالخروج للحرب ، وإن يعمد المتخلفون
 عن أحد .

(٨) كان منهم الذى به تسع جراحات ، وهو أسيد بن حضير ، ومثله عقبة بن عامر ،
 والذى به عشر ، وهو خراش بن الصمة ، والذى به بضع عشرة جراحة . وهو كعب بن
 مالك ، وعشرون ، وهو عبد الرحمن بن عوف ، وبضع وسبعون ، وهو ضعة بن
 عبيد الله الذى قطعت أصبعه ، فشلت بقية أصابع يده اليسرى ، رضى الله عنهم (الذين استجابوا
 لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم) . وونى ضعف

دعوة الحق ، استفتزت جابرا
 جاء يشكو : كيف يُنفى دمه
 لم أعب عن أحد لولا أبى
 فاز بالرضوان إذ خلفنى
 ومضى قبلى شهيداً ، فأنا
 أنعم الله عليه ، فشفى
 سار فى الجيش ، وخطى هم
 فزت يا جابر فأنعم واتهيج
 فاستفتزت هبزيّاً ذا اليد^(١)
 وهو لله يُربى ويعد؟
 يارسول الله والجدّ النكد^(٢)
 فى قوارير كثيرات العمد^(٣)
 أبتغى الزلفى لدى القرد الصمد^(٤)
 ما يعانى من تباريح الكمد^(٥)
 يصطايه من تولى وقعد
 أفاح الوالد ، واستعلى الوالد

* * *

ذهب السكب حينئذ ، فأجرد
 يحمل الويل لاقوم غرهم
 زعموا الحق حديثاً يُفتري
 يحمل البأس ، ترمى فاطرد^(٦)
 من ذويهم كل شيطان مرد^(٧)
 ورضوا بالشرك ديناً يعتمد

(١) جابر بن عبد الله . جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم متهمياً بالخروج ، ولم يكن
 قد شهد أحداً . فقال يا رسول الله إنما تخلفت عن أحد لأن أبى خلفنى على سبع - وقيل
 تسع - أخوات لى ، وقال يا بى إنه لا ينبغي لى ولألك أن تترك هؤلاء النسوة لارجل
 فيهن ، ولست بالذى أوثرك بالجهاد مع رسول الله . لعل الله يرزقنى الشهادة ، فيتخلف على
 لإخواتك فبقيت فيهن ، واستأثر هو بالشهادة فائذن لى يا رسول الله ، فأذن له ولم يأذن لغيره
 من المتخلفين والهبزي الأسد . ليد جمع لبدة وهي شعر زبرة الأسد .

- (٢) الجد النكد الخطاء السىء .
- (٣) القوارير كناية عن النساء .
- (٤) الزلفى القربى .
- (٥) يعانى يلاقى من آلام الحزن .
- (٦) السكب اسم فرس من خيل الرسول خرج عليه فى هذه الغزوة وعليه الدرع والمغفر ،
 ولم يكن فى الجيش يومئذ فرس سواه ، وانجرد أسرع ومضى لا يلوى على شىء .
- (٧) مرد بمعنى عتا وتكبر وجاوز الحد .

وتماروا في النطاسي الذي يصاح الأمر إذا الأمر فسد^(١)
ساحر آناً ، وآناً شاعر ما رأوا من سحره ، ماذا قصد؟^(٢)
سطع النور لمن يأبي العمى فعلى عينيه يخنى من يصد

* * *

من رأى الضعف على الضعف انطوى فإذا القوة والعزم الأشد؟
حمل الجرح على الجرح فتى موجع الكاهل ، مهدود الكند^(٣)
إيه عبد الله أشهد رافعاً غزوة الحمراء في القوم الشهيد
ألقه عن منكب لو ماد من هضب رضوى كل عال لم يمد^(٤)
ما لحق الله إلا مؤمن لا يبالي غيره فيما اعتمد
إيه عبد الله ما صدقها همة صماء تأبى أن تهبد
يا أبا سفيان أنصت واستمع ثم أنصت واتشد ، ثم اتشد
إن ترد خيراً فهذا معبد أو لم ينبئك أن الأمر إذ؟^(٥)

(١) تمارى في الشيء ، شك . والنطاسى الطبيب والعالم والمراد به النبي صلوات الله وسلامه عليه .

(٢) هكذا كانوا يقولون ، وقصد الشاعر واصل عمل القوائد .

(٣) الكند مجتمع الكفتين أو الكاهل ، أو هو ما بين الكاهل والظهر ، والبيت وما بعده في عبد الله ورافع ابني سهيل بن رافع ، قال عبد الله - شهدت أحداً أنا وأخي فرجنا جرحين ، فلما أذن بالخروج إلى حمراء الأسد قال أخي . أنفوتنا هذه الغزوة وما كان لنا من دابة تركبها ، ففرجنا وكننت أخف جراحاً منه ، فكنت أحمله مرة وأرساله أخرى - دعا لها النبي لما انتهينا إليه وقال : إن زال بكما العمر كانت لكما مراكب من خيل وبغال وإبل (٤) ماد اضطرب ورضوى اسم جبل .

(٥) كانت خزاعة موالية للرسول الكريم ، فلما أصاب المسلمين ما أصابهم في غزوة أحد جاءه معبد الخزاعي وقال : يا محمد والله لقد عز علينا ما أصابك في نفسك ، وما أصابك في أصحابك . ولوددنا لو أن الله تعالى أعلى كعبك . وإن المصيبة كانت لغيرك ، ثم مضى إلى أبي سفيان فقال : تركت محمداً وأصحابه قد خرجوا لطلبكم في جمع لم أر مثله قط . يتحرقون عليكم تحرقاً ، وأطال في ذلك تخويفاً له ولمن معه ، ثم نهام عن القتال فاتهبوا . الأد الأمر العظيم والداهية .

جمع الغازي لكم من صحبه وذويه كل صنيدي نجد^(١)
أنظروا النيران : هل تحصونها؟ إنها شتى ترى من بعد^(٢)
واسألوها ، إنها السنة يا ابن حرب للمنايا الحجر لد^(٣)
لا تريدوا من بريد غيرها إنها من قومكم خير البرد^(٤)
لا تظنوا أنكم أكفاؤهم إنها منكم لأحلام شرد
اذكروا الأبطال تهوى ، واتقوا حاصد الموت . كفاكم ما حصد

* * *

أرأيت الرعب يقتال القوى مستبداً بالعنى المستبد؟
رجع القوم سراعاً ، وارعوى عاصف الشر ، فأسمى قد ركذ
وتولوا فتولت أنفس تنزى ، وقلوب ترتعد
يقذف الوادى بهم قذف الحصى تبلغ الريح به أقصى الأمد
غارة الله على أعدائه تتوالى مدداً بعد مدد
سوم الأحجار ، لو صبت على ذلك الجمع المولى لم يعد^(٥)

* * *

يا أبا عزة ماذا تتقى؟ يا أبا عزة أقبل ، لا تحذ^(٦)

(١) نجد الشجاع الماضي .

(٢) كان المسلمون يوقدون كل ليلة خمسمائة نار ليظن العدو أنهم كثيرو العدد . وكانوا دون السبعائة رجل .

(٣) من البدد وهو شدة الحصومة .

(٤) جمع بريد .

(٥) ارسل ابو سفيان إلى النبي يقول أنهم أجمعوا على الزجعة ، فقال حسينا الله ونعم الوكيل ، والذي نفسى بيده لقد سومت لهم الحجارة . ولو رجعوا لكانوا كأمس الداهب ، وسوم الشيء جعل له علامة .

(٦) أبو عزة الشاعر الذي من عليه النبي وهو أسير بيدر فأطلقه بغير فداء رحمة بيناته وقد كان عاهده أن لا يقانله ، ولا يظاهر عليه أحداً ، فينقض العهد ، وخرج مع المشركين =

أين تمضي؟ كل شيء مصرع
هل رعى السيف دماً من عابث
تطلب العفو، وتهذي ضارحاً
أو لم يمن عليك المرتجى
تنظم الشعر مُدحجاً حرداً
كل فيج من فجاج الأرض سد
ناكث من كل عهد ما عقد؟
بينيات ضعيفات الجلد
لدوى الضعف، فأكثر الفند؟^(١)
ويك خذها ضربة تشفى الحرد^(٢)

* * *

وثب العدل، يوالى صيده
أخذ الذئبين في أنيابه
لا تعودوا من صري شقوة
موغل في الشريسي دأباً
جاهلي زل في إسلامه
أخطأته خطوة، كانت له
احذر العقبي، فما يدري الفتى
وهو ظلم فأتك إن لم يصد
ما يبالي منهما ما يزدرد^(٣)
وليعد من كل حي من سعد
وحقود لو تركي ما حقد
فهوى من بعد ما كان صد
حظوة الساعي، وفوز المجتهد
أى ورد إن دعا الداعي يرد

* * *

== في غزوة أحد يستنفر الناس ويحرضهم على قتال النبي - وقم أسيراً في هذه الغزوة، فقال للنبي امنن على ودعي لبناتي . وعهدى لك الأعمود مثل ما فعلت . قال - لا يبلغ المؤمن من حجر مرتين، وأمر بقتله .

(١) الفند الكذب والسكفر بالنعمة .

(٢) الحرد الغضب .

(٣) معاوية بن المغيرة بن أبي العاص . جد عبد الملك بن مروان لأمه ، وابن عم عثمان ابن عفان - والحارث بن سويد - أمر النبي بقتل معاوية بعد رجوعه إلى المدينة لأنه كان يتبع أخباره ويلق بها إلى المشركين ، وكان عثمان شفع له قبل ذلك ، وأمر بقتل الحارث (وكان مسلماً) لقتله الحنذر بن زياد غدراً في غزوة أحد وكان الحنذر قبل إسلامه قتل أبا الحارث بآبيه .

ابتدر يا سعد فالزاد نفذ
إبعث التمر على العير لها
تحمل التقوى ، وتمضي سمحة
موقرات أقبات في جزر
ردت الجوع ، وصانت أنفسا
لك ياسعد لديه ولها
واصطناع الخير أشهى ماتود^(١)
من سجاياك العلي حاد غرد
في سوى ليس فيه من أود^(٢)
تطرد العسر يسر ورغد^(٣)
هي لله سيوف ماترد
من جزاء غير نزر ما وعد^(٤)

(١) سعد بن عباد . ساق إلى المسلمين في هذه الغزوة ثلاثين بيراً تحمل تمرأ من عنده ، وبعت معها جزراً فنجروها وأكلوا منها .

(٢) الأود الإعوجاج .

(٣) موقرات محلات والجزر جمع جزور ما يذبح من الأنعام ، والرغد العيش الهانق .

(٤) غير نزر غير قليل .

عزوة بنى النضير

كانت هذه الغزوة في ربيع الأول من السنة الرابعة ، وبنو النضير قوم من اليهود ، نقضوا اليهود ، وذهب إليهم النبي صلى الله عليه وسلم في أصحابه فجلس إلى جنب جدار من بيوتهم ، ثم أخذ بعضهم بيدهم بأعزرون به ، وأراد رجل منهم يقال له عمرو بن جعاش أن يلقي عليه صخرة من أعلى الجدار ليقتله ، فنبأه الله بذلك ، فقام من مكانه ، وقد انتهت هذه الغزوة بقرهم ، وإجلالهم عن ديارهم .

ما الكيدُ ، ما الغدر ، ما هذى الأباطيل ؟ الجيش محتشد ، والسيف مسلول
بنى النضير وما تغنى معاقلكم كفوا الأذى ودعوا العدوان ، أوزولوا
إن القتل لمن غرته صخرته فظن أن رسول الله مقتول (١)
جاءُ البريد بها حزان يحمله من رحمة الملك القدوس جبريل (٢)
ما أكذب ابن أبي إذ يقول لكم لا تنفوا القوم ، إن النصر مكفول (٣)
أولاكم النصح سلام وأرشدكم لو أن نصح ذوى الألباب مقبول (٤)

مهلاً حتى أما تنهاك ناهية
لا الخلف حق ، ولا الأنصار إن صدقوا
بنو قريظة هدّ الخوف جانبهم
إن الألى جمع الليث المصور لكم
أطلبون دم الإسلام ؟ لا حكم
هل ينفع القوم إن أزرى بهم قصر
ملأوا الحياة ، ومدتهم معاقبهم
يدعو كنانة محزوناً وصاحبه
يا قومنا : أرايتم كيف يخلفكم
دعوا الحصون ، وزولوا عن مساكنكم
قضى النبي فما من دون مطلبه
وليس للأمر إذ يُقضى على يده

* * *

تلفتوا ، ينظرون الدور شاهقة من حولها النخل ، تخنينا العناكيل (٧)

(١) أسلم من اليهود رجلان في هذه الغزوة ، أبو سعد بن وهب ، وياقوب بن عمرو فجعل هذا الرجل عشرة دنانير من ماله على أن يقتل عمرو بن جعاش غضباً برسول الله صلى الله عليه وسلم فقتله .

(٢) الضمير عائذ على الصخرة . أى بأمرها ، فإن الله أنبأ نبيه على لسان جبريل .

(٣) عبد الله بن أبي بن سلول ، أرسل إليهم يقول : لا تخرجوا من دياركم ، وأقيموا في حصونكم ، فإن معي ألفين من قوى وغيرهم من العرب . يدخلون حصونكم ويموتون عن آخرهم قبل أن يوصل إليكم ، وتعدكم قريظة وحنفاؤكم من غطفان ، فطمع بنو النضير ، وأرسلوا إلى النبي أنهم يريدون القتال .

(٤) سلام بن مشكم أحد سادات اليهود ، نهام عن الحرب . وقال لحي بن أخطب كبيرهم منكم نفسك والله يا حيي الباطل فإن قول ابن أبي ليس بشيء ، وإنما يريد أن يورثك في الملكة ، حتى تحارب محمداً . فيجلس في بيته ويتكلم .

- (١) الآطام : الحصون .
(٢) طال عليهم الحصار في حصونهم ، فاشتد الأمر عليهم .
(٣) كنانة بن صوريا ، وسلام بن مشكم ، لما اشتد الأمر على القوم ولم يروا من ينجدهم . جملاً يقولان لحي بن أخطب : أين نصر ابن أبي الذي زعمت ؟ فيقول : ماذا أصنع ؟ إنما هي ملحمة كتبت علينا .
(٤) اللقمة : الحب .
(٥) حم القضاء : نزل .
(٦) أمرهم النبي بالجملة ، وأن يأخذوا النساء والذراري والأموال ، لا يحملون من سلاحهم شيئاً .
(٧) العناكيل للنخل بمنزلة المناقيد للضب والشاهقة العالية .

والماء ينساب، والأطلال وارقة
قالوا: أيذهب هذا كله سابقاً
وأقبلوا يهدمون الدور، فاختلفت
لها على الكره في أرجائها لغة
الروح يهتف، والإسلام مبتهج

والزرع في شطئه بالزرع موصول^(١)
للقوم من بعدنا؟؟ تلك العقابيل^(٢)
فيها المعاول شتى والأزاميل^(٣)
كما تردد في الأسماع ترتيل
والكفر في صعقات الهول مخبول

* * *

يا للركائب إذ تمشى مذمة
العز في عرصات الدور مطرح
قالوا: الرحيل، فما أصفت مثقفة
نادى الموكل بالأذى يعللمهم
هذا الذي يرفع الدنيا ويخفضها
مواكب العار، لا وسم الهوان بها
ما في الهوادج، والديباج يملؤها
وما الأساور والأقراط نافعة

والقوم من فوقها سود معازيل^(٤)
والمال والخلى في الأكوار محمول^(٥)
ولا استجاب طير الحد مصقول^(٦)
وفي الأباطيل للجهال تعليل^(٧)
هيهات - ذلك إرجاف وتهويل
خاف، ولا أثر الخذلان مجبول^(٨)
للخرزى ملء وجوه القوم تبديل
ولا العقود العوالي والخللاخيل

(١) الشطء فراخ الزرع أو ورقة .

(٢) العقابيل : ما ثبت من بقايا الداء فلم يزل .

(٣) جعلوا يهدمون الدور قبل جلائهم ، وأخذون من خشبها وحديدتها ما يقدرون على حمله ، والأزاميل جمع أزميل . آلة من الحديد ينقر بها الخشب والحجر .

(٤) لا سلاح معهم .

(٥) جمع عرصة وهي ساحة الدار والأكوار جمع كور وهو الرجل .

(٦) إشارة إلى تركهم السلاح . والمثقفة الرماح المقومة . والضرير الحد من السيوف

وغيرها الماضي .

(٧) هو سلام بن أبي الحقيق أحد كبارهم ، ذهب بحمل أمواتهم وحلبهم في جلد حمل

- وقيل جلد نور - ويقول : إنا أعددنا هذا لرفع الأرض وخفضها .

(٨) خرجت النساء في الهوادج عابهن الديباج والحريز ، وقطف الخبز الأخضر والأحمر

والخلى من الذهب والفضة ، وخطفن القيان بالدقوف والمزامير ، يتقين الشماتة .

تشدو القيان ، بأيديها معازفها
تجلدوا ، يتقون الشامتين بهم
فيم الشماتة ، هل كانوا ذوى خطر؟
لهم بخير أقدار مؤجلة
وما عليها غداة الحدّ تعويل
لبئسما زعم القوم المهازبان
بل غال أحلامهم ظنّ وتخييل
وأذرعان وللأقدار تأجيل^(١)

* * *

أدركتها يا ابن وهب نعمة نصرت
تلك الوسيلة ، من تعلقَ بها يده
وأنت يا ابن عمير زدت مرتبة
أنكرت فعلة عمرو حين همّ بها
رميته من بنى قيس بمقتنص
أتلك إذ صدقت يا عمرو ، أم حجر

في القوم جدك . والمغرور مخذول^(٢)
لم يعده من عطاء الله تنويل
وللمراتب عند الله تفضيل^(٣)
فالنفس غاضبة ، والمال مبذول
يمشى الضراء ، فأمسى وهو ما كول
يرى به الصادق المأمون إجفيل^(٤)

(١) ذهب بعضهم إلى خير وبعضهم إلى أذرعان من بلاد الشام ، والمعنى أنهم مدركون

في هذه وتلك إذا خان يومهم .

(٢) أبو سعد بن وهب الذي هداه الله للإسلام .

(٣) صاحبه يامين .

(٤) الإجفيل : الجبان .

بني غطفان جدّوا ثم جدّوا جرى القدر المتاح ، فلا مردّة
بني غطفان صبراً أو هلوفاً^(١)

مشى جند النبي فأبى جند؟ وأين مضى الألى كانوا بنجد؟
تولّى القوم حشداً بعد حشد حذار البطش من جنّ وأسد
ومن ذا يشتهي الموت الفظيعة؟

نساء الحى ، ما صنع الرجال؟ أمكتوب عليكم القتال؟
لكنّ الأمن إن فزعوا فزالوا أما ومحمد وهو الثمال^(٢)
لقد نلتته حرزاً منيعاً

إليه إليه ، إن بكنّ ضعفاً وإن به لمرحةً وعظفاً
وفيه من التقي ما ليس يخفى وما حاولت ترجمةً ووصفاً
فلست مثل ذلك مستطيعة

نزىل الشعب من يحيى سواكا ولكن قل : تبارك من هداكا^(٣)
أترقدها هنا ، وهو هنا كما؟ أما من كالىء يُرجى لذاكا^(٤)
إلى أن يبعث الله الصديقا؟^(٥)

ألا طوبى لعباد بن بشر وعمارٍ كفاية كل أمر

(١) الملوغ الحرم

(٢) الثمال الثيات الذى يقوم بأمر قومه

(٣) نزل النبي ليلا في شعب وقال: من يكأؤنا الليلة . فقال عباد بن بشر وعمار بن ياسر:
نحن يا رسول الله . وقال عباد لعمار: أنا أكفيك أول الليل ، وتكفني أنت آخره ، فنام
عمار وجاء زوج إحدى النسوة اللاتي أصابهن المسلمون ، وكان قد أقسم ألا يرجع حتى يصيب
النبي أو يهريق دماً في أصحابه ، فرى عباداً بالسهم ، وكان يصلى ، فجعل يترج السهم بعد السهم
من جسمه من غير أن يقطع صلته ، فلما غلبه الدم أيقظ عماراً ، وراه الرجل فهرب .

(٤) الكالىء الحافظ والحارس

(٥) الصديق الصبح

غزوة ذات الرقاع

اختلفت الروايات في شأن هذه الغزوة ، فقيل : إنها كانت في شهر
ربيع الثانى ، وقيل : في جمادى الأولى من السنة الرابعة بعد غزوة
بى النضير ، وفي بعض الروايات أنها كانت بعد غزوة خيبر . وقيل في
تسميتها « ذات الرقاع » لأن المسلمين نقيت أقدامهم وسقطت أطفارهم
فيها ، ففوها بالخرق ، فسوها ذات الرقاع . وقيل : إنها سميت كذلك
لأنهم رقعوا راياتهم فيها . وقيل غير ذلك . وسيبها أن النبي صلى الله عليه
وسلم علم أن بى عارب وبى نعلبة « بنجد » يؤليون الجموع من غطفان
لحاربه ، فخرج إليهم في أربعائة ، أو سبعائة ، أو ثمانائة من أصحابه .
فلما بلغ نجداً لم يجد رجالاً يقدمون على حربه ، وحمى طائفة منهم أن
يوقعوا بالمسلمين عند صلاة الظهر ، فصلى النبي بهم صلاة الخوف ، وترقبوا
صلاة العصر فكانت كذلك (وإذا كنت فيهم فأقت لهم الصلاة فلتقم
طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم
ولأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم
ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة
واحدة - الآية) ولم تنشب الحرب في هذه الغزوة التي وقع فيها من
العجائب ما جعلهم يسمونها (غزوة العجائب) وقد وجد المسلمون بعض
النسوة فأخذوهن .

إلى القوم الألى جمعوا الجموعا إلى نجد كفى نجدا هجوعا^(١)

أبت شمس الهدى إلا طلوعا ففاض شعاعها ، يغشى الربوعا^(٢)

ويسطع في جوانبها سطوعا

إلى غطفان إليهم استعدّوا وظن غواتهم أن لن يهدّوا

(١) الهجوع النوم

(٢) الربوع الأماكن

رسول الله نحن لهم ويحرمي قضاء الله إن طرقتوا بشر
كعهدك إذ جرى سماً نقيماً^(١)

وأجرى الأمر عباداً سوياً فقام ، ونام صاحبه ملياً
وكان بأن ينافسه حربياً محافظة على المثلى وبقياً
قريع شداًد وافي قريعاً^(٢)

لربك صلّ يا عباد فرداً وزد آلاءه شكراً وحماً
ومحماً ذكره فاجله ورداً فإن له على الأكباد برداً
وإن أذكي الجوائح والضلوعا

ولاح سواده ، فرماه رام أتى إثر الخليفة في الظلام^(٣)
دبتك يا ابن بشر من هام أما تنفك عن نزع السهام
تحامى عن صلاتك ما تحامى وجسمك واهن الأعضاء دام؟
أمانك يا ابن بشر في السلام وقد جرت الدماء على الرغام؟^(٤)
ألا أيقظ أخاك من المنام كفاك فقد بلغت مدى التمام
وما تدع القنوت ولا الخسوعا

رأى عمّار خطبك حين هبّا فلم ير مثله من قبل خطباً^(٥)
يقول ونفسه تنهد كرباً أيدعونى الحفاظ ، وأنت تأبى؟

(١) أى كما عهدت في مواطن البلاء

(٢) القريع الغالب في المفاوعة . والفعل والمختار من الرجال

(٣) الخليفة الزوجة

(٤) الرغام القرب

(٥) قال عمّار لما د حين أيقظه ورأى ما به : أى أخى . ما منكم أن توقظني له في أول
سهم رى به ؟ قال : كنت أقرأ في سورة الكهف فكلمت أن أفضها ، ولولا أني خشيت
أن أضيع نغراً أمرني به رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انصرفت ولو أني على نفسي .

لقد كلفتُ أمراً منك صعباً ولو أيقظتني لشقيت قلباً
جرحت سواده جرحاً وجيماً

وأبصر شخصه الرامى المالح فززل قلبه للرب نضح^(١)
وأمسك منه تهتان وسحّ وما إن راعه سيف ورمح
ولكن منه خبلٌ فربما

تتولّى يحبط الظلماء ذعراً ويحسب درعه كفنّاً وقبراً
ألا أدبر ، جزاك الله شراً ظفرت بصابر ، وأبيت صبراً
فآثرت الهزيمة والرجوعا

وجاء غويرث يبغى الرسولا ويطمع أن يفادره قتيلاً^(٢)
كذلك قال ، يستهوى القبيلة غويرث رمت أمراً مستحيلاً
فهل لك أن تثوب وأن تريعا؟^(٣)

أتيت محمداً تبدى السلاما وتحنى الغيظ يضطرم اضطراما
تقول مختاتلاً - أرني الحساما وتأخذه ، فلا ترعى الدماما
أغدرأ ؟ ياله خلقاً وضعياً

تهمُّ به ، ولست بمستطيع فأين مضارب السيف الصنيع؟^(٤)

(١) لما أبصر الرجل عمّاراً انقلب خائفاً ، والنضح الرى بالنيل .

(٢) جاء رجل إلى النبي اسمه غويرث أو غورث - وقد اعتمدنا الأول - يريد قتله .
وقد وعد قومه بذلك . ورأى سيف النبي في حجره فقال له : أرني أنظر إلى سيفك هذا ،
وأخذه من حجره فاستله وجعل يهزه ويهم به فيكبه الله «يخزبه» ثم قال : يا محمد أما تخافني؟
قال : بل ينعني الله منك . ثم دفع السيف إليه فأخذه وقال : من يملك مني ؟ قال : كن خير
أخذه ، قال النبي : أتشهد أن لا إله إلا الله وإني رسول الله؟ قال : أعاهدك على أني لا أقاتلك
ولا أكون مع قوم يقاتلونك . نخل سبيله . وجاء غويرث قومه فقال : جيشكم من عند خير
الناس ، ثم أسلم بعد وكانت له صعبة .

(٣) تثوب وترجع بمعنى ترجع .

(٤) السيف الصنيع المجرى الصقيل .

وكيف وهت قوى البطل الضليع؟ تعالى الله من ملك رفيع
يريك جلاله الصنع البديعا
سألت رسوله : أفما تخاف وسيفك في يدي موت ذعاف؟^(١)
أراك من الموارد ما يعاف فلا فرق عراك ولا ارتجاف
فيالك كرة خسرت جميعا

فقال محمد ربي يقيني ويمنع مهجتي ، ويصون ديني
وصارمه تلقى باليمين ألا بوركت من هاد أمين
ترد أناته الحلم التزيما

أخذت السيف لو تبغى القصاصا لما وجد المسية إذاً مناصا
تقول له : بمن ترجو الخلاصا إذا أنا لم أرد إلا اقتصاصا
فلن تجد الولي ولا الشفيعا؟

يقول غويرث كن خير مولى وأنت أحق بالخصي وأولى
فقال له : أتؤمن قال كلا ولسكني أعاهد ، ثم ولي
ودين الله يطالبه سريعا
وحدث قومه : يا قوم إني بخير الناس قد أحسنت ظني
رأيت خلاله ، فرجعت أثنى عليه ، وقد مضى الميثاق مني
فلست لمن يناوته تبعا

أعز الله شيخ الأنبياء وأيده بآيات وضاء
ألم تخبره ترجمة الرغاء بما يجد البعير من البلاء؟^(٢)

(١) الموت الذعاف السريع العاجل .

(٢) من العجائب التي وقعت في هذه الغزوة بانفان الروايات أن بعيراً جاء يرقل حتى
وقف على رأس النبي صلى الله عليه وسلم ، وجعل يردد الرغاء . فسأله أصحابه : ما شأنه ؟
قال : إنه يقول إنه أحسن خدمة أصحابه ، فلما كبر هموا بذبحه فهرب ، وجاء مستغيثاً ،
وقدموا على أثره فذكر لهم النبي ما قاله . فقالوا : صدقت . فأوصاهم به خيراً .

توجع يشتكى سوء الجزاء وقعدان المروءة والوفاء
أيذبجه ذووه على العياء وبعد الجذ منه والمضاء؟
رئى لشكاته حق الرثاء وراض ذويه من بعد الإباء
فتمتع بالسلامة والبقاء وراح ، فأى حمد أو ثناء
يؤدى الحق ، أو يجزى الصنيعا

غزوة بدر الآخرة

ويقال لها (غزوة الموعد) لقول أبي سفيان عند رجوعه من أحد :
موعد ما بيننا وبينكم بدر - يريد مواسمها - كانت في شهر شعبان من السنة
الرابعة ، خرج النبي إليها في ألف وخمسمائة من أصحابه ، وكان يحمل لواءه
(علي بن أبي طالب) وذهب (نعيم بن مسعود) الأشجعي (قبل إسلامه)
وهم يتأهبون للخروج فأخبر المشركين بأمرهم ، فجعل له أبو سفيان عشرين
بعيراً إذا هو عاد إلى المدينة فنبط المسلمين عن القتال ، وأوهمهم أن المشركين
في جمع كثير . فآزادهم هذا إلا ثباتاً وقوة (الذين قال لهم الناس إن
الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل)
وكره أبو سفيان القعود خشية العار . فأجمع أن يخرج بالمشركين ثم يرجع
بهم من مكان قريب ، فلما بلغوا (بجنة) وهي سوق معروف من أسواق
العرب . قال لهم يا معشر قريش لا يصلحكم إلا عام خصب ترعون فيه
الشجر وتشربون الماء ، وإن عامكم هذا عام جذب ، ولأني راجم
فارجموا ، وأقام النبي بجيشه في بدر مدة الموسم وهي ثمانية أيام ينتظر
القوم ثم رجع إلى المدينة .

أليك أبا سفيان لا الوعد صادق ولا أنت ذو جد ، ولا القوم أبطال
أتاك ابن مسعود بأنبياء يثرب فما تنقضي منكم هوم وأوجال^(١)
لكم عند بدر في لواء محمد خطوط ترامي بالنفوس وأهوال
هنالك قوم يا ابن حرب كأنهم إذا عصفت ريح الكريمة أغوال

(١) أوجال مخاوف .

عزیز علینا أن نككون مقالة
 يقولون : لولا الخوف منا لأقبلوا
 وخفّ أبو سفيان يكذب نفسه
 يقول ، وقد وافى الرجال مجنة
 أيا قومنا : إنا نرى العام مُجذباً
 فعمودوا إلى عام من الخصب صالح
 يرددها قوم مهاذير جُبَّال
 وإنا لإقدام حثيث وإقبال
 ويشهدها من خيفة : كيف يحتال
 أيا قومنا مهلا ، فإننا لضلال
 وشرُّ عتاد الحرب جذب وإحمال
 ولا تقربوا الهيجاء ، فاقوم أصلال^(١)

* * *

تقدم جيش الله وارتدّ جيشهم
 وأين من الصيد المصاليات معشر
 لبئس الموالى ما تزال تغرهم
 وما فيه أكفاء تُهاب وأمثال
 لهم من مواليم لدى البأس خذال؟^(٢)
 ظنون كأحلام النيام وآمال

* * *

ألا إنَّها الدنيا أعيد بناؤها
 فلا شأنها الشأن الذي كان يرتضى
 عفا السالف المعثر من سيناتها
 أتبقى قلوب الناس في ظلماتها
 هو النور نور الله ، يملأ أرضه
 أتى مطلق الأسرى يحمر أنفساً
 وصيغ لها رسم جديد وتمثال
 بنوها الألى بادوا ، ولا حالها الحال^(٣)
 فتلك بقاياها قبور وأطلال
 تظاهر أكنان عليها وأقفال؟^(٤)
 فتلقى الهدى فيه عصور وأجيال
 لها من سجايها قيود وأغلال

(١) جمع صل وهو الحية .

(٢) جمع أصيد وهو من صفات الأسد ، والأصل فيه ارتفاع الرأس والمصاليات جمع مصلات ، وهو الشجاع الماضي في الأمور ، المشرف لها .

(٣) بادوا هلكوا .

(٤) أكنان أغصنة .

جنود عليها من على مظفر
 دع المرء يذهب بالأباطيل مرجفاً
 تردد ، يخشى منك شيمة مخلف
 تمسك من قول ابن عمرو بموثق
 مضى ، بصف الكفار وصف مهوّل
 فما وجفت تلك القلوب ، ولم تكن
 رجال رسا الإيمان ملء نفوسهم
 ولا الموت مكروه على العزّ وورده
 تداعوا فقالوا ، حسبنا الله إنه
 وأرسالها الصديق ديمة حكمة
 محمد إن الله ناصر دينه
 لهم موعد لا بد منه ، ومورد
 لدى الروع ، جيش على الهول جوال^(١)
 وعدّه جزاء الإفك - لاحبذا المال
 يقول ، فلا وعد وفى ، ولا قال^(٢)
 وطارت به في الجوّ هوجاء مجفال^(٣)
 يقول : جموع ما تُعدّ وأرسال^(٤)
 كأخرى ، لها من هدة الرعب ززال^(٥)
 فلا الجبن منجاة ، ولا البأس قتال
 ولا العيش مورود إذا خيف إذلال
 ما شاء من نصر الهداة لفعال^(٦)
 لها من فم الفاروق سح وتهطال^(٧)
 ومظهره ، والحق أقطع فصّال
 من الختف ، تغشاه نفوس وآجال^(٨)

(١) الروع الفرع والخوف والقصود الحرب .

(٢) قال أبو سفيان لنعيم : بدا لي أن لا أخرج ، وأكره أن يخرج محمد ولا أخرج أنا فيزيدهم ذلك جرامة ، ولأن يكون الخلف من قبلهم أحب لي من أن يكون من قبلي ، فالحق بالمدينة وأعلمهم أنا في جمع كثير ولا طاقة لهم بنا ، ولك عندي من الإبل كذا وكذا ، أدفعها لك على يد سهيل بن عمرو ، فجاء نعيم لي سهيل وقال له : يا أبا يزيد - نضن لي هذه الإبل وأطلق لي محمد فأئبطه قال نعم ، فذهب يرجف بما قيل له .

(٣) الجور هنا ما اتسع من الأودية ، والهوجاء الناقة السريعة الخفّال بمعنى الهوجاء .

(٤) الأرسال الجماعات .

(٥) وجفت اضطربت والهددة صوت وقع الشيء العظيم كالبناء ونحوه .

(٦) كانوا كلما سمعوا أخبار قرين وجموعها يقولون : حسبنا الله ونعم الوكيل .

(٧) جاء أبو بكر وعمر رضي الله عنهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا : يا رسول الله إن الله مظهر نبيه ، ومعز دينه ، وقد وعدنا القوم موعداً لا نجب أن نتخلف عنه ، فيرون أن هذا جبن ، فسر لموعدهم ، فوالله إن في ذلك لحيرة - فسر النبي وقال - والذي نفسي بيده

لأخرجن وإن لم يخرج معي أحد ، فاحتدمت نفوس المسلمين حماساً وقوة .

(٨) الختف الموت .

غزوة دومة الجندل

من أقرب بلاد الشام إلى المدينة ، وكانت هذه الغزوة في أواخر السنة الرابعة - على رواية - وفي ربيع الأول من السنة الخامسة - على رواية أخرى - وسيبها أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن بهذه البلدة قوماً يظلمون من مر بها ، ويعتدون عليه ، وأنهم يريدون الاقتراب من المدينة فخرج لمليها في ألف من المسلمين ، فلما اقترب الجيش منها خاف القوم ففرقوا وأصاب المسلمون من ماشيتهم وروعاتهم ما أصابوا ، وفي الرجوع من هذه الغزوة وادع النبي عيينة بن حصن القراري ، وأباح له أن يرعى بحمل بينه وبين المدينة ستة وثلاثون ميلاً ، فلما سمعت مواشيه ، وعاد إلى أرضه وقد زال عنها الجذب ، أغار على لئاح النبي ، وكان يقال له (الأحمق الطاغ) ومن سوء خلقه أنه دخل على النبي بغير استئذان - وفيه يقول صلوات الله وسلامه عليه - شر الناس من تركه الناس اتقاء خشمه - أسلم بعد فتح مكة ، وعهد خيلاً والطائف ، ثم ارتد في خلافة الصديق ، وحق بطليحة ابن خويلد الذي ادعى النبوة فأمن به ، فلما هرب طليحة أسره خالد بن الوليد وبعثه إلى الصديق في وثاق ، فن عليه وأسلم .

سيرى الهويبي دومة الجندل أمعت في الظلم ولم تُجمل^(١)
أكل من مرّ خفيف الخطى ترمينه بالفادح الممثل^(٢)
المسلمون استصرخوا ربهم فاستعصى منه ، وثن تفعل
مضى رسول الله في جحفل مامله في البأس من جحفل^(٣)
يشى إذا سودت وجوه الوغى في ساطع من وجيه المنزل
لولا الذي استعظمت من أمره لم يهزم القوم ، ولم تُخذلى
أهلوك طاروا خوف تقتاله فأثيم بالرعب لم يُقتل ؟

(١) أمعن تمادى .
(٢) الفادح العظيم .
(٣) الجحفل الجيش الكثيف .

كل له من نفسه ضارب إن يُدبر الخوف به يُقبل
تلك لعمري من أعاجيبهم ويبتلى ربك من يبتلى

شرّهم مذكور من دارهم لا كنت من دار ومن منزل^(١)
هلاً رعوا إذ أدبروا جفلاً ماربع من أنعامك الجفل^(٢)
ماذا يريد الجيش من عورة حثت من الذلة في موئل ؟
لولا المروآت وساطانها لاقتضت أعلاها على الأسفل
شريعة الإسلام في أهله أهل الحجا والشرف الأطول^(٣)
وسنة المختار من ربه والمصطفى من خلقه المرسل
جاء بملء الأرض من نوره والناس من خيرى ، ومن ضلل
لا عذر للمصروف عن رشده لم يبق من داج ولا يجمل^(٤)
معالم الإيمان وضاحة والحق ملء العين للمجتلى

إيه قنيص الله في حبله ظفرت بالأمن ، فلا توجل^(٥)
جئت معافى في يدي صائد لم يحدع الصيد ، ولم يختل^(٦)
أقبل ، فهذا خير من أبصرت عيناك في الجيش ، وفي الحفل

(١) مذكور اسم رجل من بني عذرة ، اتخذته النبي صلى الله عليه وسلم دليلاً للجيش في هذه الغزوة ، فلما رآه القوم مقبلاً أخذهم الرعب ففرقوا .

(٢) جفل مترعجين مسرعين .

(٣) الحجا العقل .

(٤) داج مظلم .

(٥) أمر محمد بن مسلمة رجلاً منهم وجاء به إلى النبي ، فعرض عليه الإسلام فأسلم .

لا توجل لا تخف .

(٦) يختل من المختل وهو المداع .

هذا الذي أعرض عن حقه قومك من باغ ومن مُبطل
لو أنهم جاءوه فاستغفروا رأوا سجايا المنعم المنفضل
أسلمت تأتي دينهم أولا فرحبا بالمسلم الأول

* * *

عَيْنُهُ الْمُبُونُ فِي نَفْسِهِ مَاذَا جَنَى مِنْ دَائِهِ الْمَعْضَلُ؟ (١)
حَلَّهُ مَالُو تَلَمَّتْ ذَرَى مُسْتَشْرِفِ الْعَرِينِ ، لَمْ يَحْمَلْ (٢)
أَلْوَى بِهِ الْجَدْبُ ، فَافْضَى إِلَى أَكْنَافِ وَادٍ مَعْشَبٍ مَبْقَلٍ (٣)
مِنْ أَنْعَمِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ الْجَدَا وَمَكْرَمَاتِ الْعَارِضِ الْمَسْبَلِ (٤)
حَتَّى إِذَا أَعْجَبَهُ شَأْنُهُ وَغَرَّهُ مِنْ مَالِهِ مَا يَلِي
تَأْتَى بِهَا شِعَاءٌ مَكْرُوهَةٌ مِنْ سَيِّئَاتِ الْأَحْقِ الْأَثْوَلِ (٥)
بِئْسَ الْمَغِيرُ انْقَضَ فِي غَرَّةٍ عَلَى لِقَاحِ الْغَابَةِ الْهَمَلِ (٦)
مَا وَقَعَةَ اللَّصُّ بِمَأْمُونَةٍ وَلَا أَذَاةَ الضَّرِيعِ الذَّمَلِ (٧)
آذَى رَسُولَ اللَّهِ فِي مَالِهِ وَأَثَرَ الْفُودِرِ ، وَلَمْ يَحْفَلْ
لَوْ ارْتَضَى دِينَ الْهُدَى صَانَهُ وَزَانَهُ بِالْخَلْقِ الْأَمْثَلِ

* * *

يَا أُمَّ سَعْدِ لَسْتَ مِنْ هَمَّةٍ سَعَدَ عَنِ الْأَهَابِينَ فِي مَعْرَلِ (٨)

(١) المبون المندوع - المعطل المستعصى .

(٢) مستشرف العرين صفة تحذوف ، والمراد الجبل العالي .

(٣) ألوى به ذهب به .

(٤) المراد به الرسول الكريم .

(٥) المجنون والأحمق .

(٦) الغابة اسم المكان الذي كانت ترعى فيه اللقاح .

(٧) الضعيف الجبان .

(٨) كان سعد بن عباد مع النبي في هذه الغزوة . فأتته أمه وهو غائب ، فلما رجع النبي بعد شهر من وفاتها صلى على قبرها .

إِنَّ أَهْلَهُ إِلَّا الْأَنَى اسْتَوَطَنُوا دَارَ الْوَغَى فِي دَوْمَةِ الْجَنْدَلِ
لَا تَذْرِفِي الدَّمْعَ عَلَى رَاحِلٍ فِي اللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ لَمْ يَرْحَلْ
وَاسْتَقْبَلِي الْمَوْتَ عَلَى هَوْلِهِ إِنِّي أَرَاهُ سَائِعِ الْمَنْهَلِ (١)
ظَمَّتْ مِنْ سَعْدٍ إِلَى نَظَرَةٍ تَطْفِيءُ حَرَّ اللَّاعِجِ الْمَشْعَلِ
رَوَّالِثُ رَبِّ النَّاسِ مِنْ سَرْحَةِ أَلْتَقَى عَلَيْهَا ظَلَّةً مِنْ عَلِ (٢)
تَوَاتَى الْجَنَى كَالْأَرْهَى طَيِّبًا إِذَا كَانَ الْجَنَى كَالصَّابِ وَالْحَنْظَلِ (٣)
صَلَاةُ أَصْفَى النَّاسِ مِمَّا سَقَى أَفْنَانَهَا ذُو النَّائِلِ السَّلْسَلِ (٤)
لَوْ وَزَنْتَهُ كُلَّ صَلَاةٍ بِهَا مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ لَمْ تَعْدَلْ
يَا أُمَّ سَعْدِ إِنَّمَا نِعْمَةٌ جَاءَتْكَ ، لَمْ تُطَلِّبْ ، وَلَمْ تُسْأَلْ
هَذَا جَوَارِ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرِي وَهَذِهِ جَنَاتُهُ فَادْخُلِي

(١) شراب سائح عذب والمنهل مكان الثمر .

(٢) السرحة الشجرة العظيمة .

(٣) الأرى العسل والصاب شجر مر أو هو عصارته .

(٤) النائل العطاء .

لا يفترتكم رسول جاءكم
 يارسول الصدق : ماذا جمعوا
 الألى تتسع السبل بهم
 يخفق النصر على أعلامهم
 ما يبألون المنايا المنكر في
 لأني بذكر وسعد نظرة
 في اللوائين ضياء منهما
 وعلى الفاروق من إيمانه
 وعلى وابن عمارها
 يتراعى القائد الأعلى بهم
 جاش فيه كل زحار القوى
 خير خلق الله في شكته
 سحر القوم ، ومن آياته

مبغض القلب ، محب المنطق^(١)
 لذوى البأس وأهل المصدق^(٢)
 للمنايا في المجال الضيق
 إن تردى كل جيش مخفق
 مرعد من هولها أو مبرق
 بعد أخرى ، كالمشواظ المحرق^(٣)
 واضح المظلع ، طلق المشرق
 ما على صمصامه من رونق^(٤)
 عدّة الحرب هول المأزق
 في عسباب المنايا مغرق^(٥)
 يرتقى من لجه ما يرتقى^(٦)
 يمتطي خير العتاق سبق^(٧)
 رقية السحر ، وطب الأولق^(٨)

(١) هو بريدة بن الحبيب ، جاءهم فقالوا له : من الرجل ؟ قال منكم قدمت لما بلغني من جمعكم لهذا الرجل ، فأسير في قومي ومن أطاعني ، فنكون يداً واحدة حتى نستأصلهم ، قال الحارث : فنحن على ذلك ، فمجل إلينا - قال بريدة : أركب الآن فأتكم بجمع كثير من قومي ففرحوا ، وعاد إلى النبي بخبرهم .
 (٢) المصدق الشجاعة وصدق الحملة .
 (٣) المشواظ هب لا دخان فيه .
 (٤) صمصامه سيفه والرونق الحسن .
 (٥) النبي صلى الله عليه وسلم . العباب في الأصل الماء الكثير والمراد به هنا الموت المحقق بهم .

(٦) جاش تحرك ، وزحار ممتلىء .
 (٧) الشكة السلاح كان مع النبي من خيله اللزاز والظرب والعتاق من الخيل الكريمة الراضة .
 (٨) الأولق الجنون .

عزوة بنى المصطلق

بنو المصطلق بطن من خزاعة . والمصطلق لقب جذية بن سعد بن عمرو الخزاعي لقب به لارتفاع صورته (من الصلق) وقيل لأنه كان حسن الصوت ، وأنه أول من غنى في خزاعة .

بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن الحارث بن ضرار سيد بنى المصطلق جمع قومه وآخرين من العرب لمحاربه ، فبعث إليهم بريدة بن الحبيب يعرف أخبارهم ، وأذن له أن يقول فيه ما يشاء ، ليأمنوه ويقوه شرهم ، ورجع يذكر تأهبهم للحرب ، فخرج إليهم النبي يقود جيشاً كبيراً في شعبان من السنة الخامسة . وبعث الحارث عيناً له ليوافقه بأخبار المسلمين ، فأمر النبي بقتله ، فضمت نفسه ، وتفرق عنه كثير من رجاله .

وأعطى النبي راية المهاجرين إلى أبي بكر - وقيل لعمار بن ياسر - وراية الأنصار إلى سعد بن عباد ، وأمر عمر بن الخطاب أن يقول للمشركين قولوا لا إله إلا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم ، فلم يقبلوا ورموا المسلمين بالنبل ، فدار القتال وكان النصر لله ورسوله وللمؤمنين . فقتلوا وأسروا وسبوا ، وعادوا بنعمة من الله وفضل ، وكان من السبايا (برة) بنت الحارث بن ضرار ، بنى عليها النبي صلى الله عليه وسلم سماها (جويرية) فقال المسلمون - أصهار رسول الله ، وأطلقوا من كان بأيديهم من الأسرى والسبايا ، وفي الرجوع من هذه الغزوة كانت واقعة أم المؤمنين السيدة عائشة رضی الله عنها .

نهضت من كل أوب تلتقى فاحذروها يا بنى المنصطلق^(١)
 إحذروها غارة مالمومة يتقى أهوالها من يتقى^(٢)
 لا تظنوا جمعكم كفواً لها حين تمضى في العجاج المطبق^(٣)
 سرّحوا الجيش ، وكفّوا ، إنها مصرع الجيش ، وحسف الفيلق
 نطق الحارث يدعوكم إلى أن تبيدوا : ليته لم ينطق

(١) الأوب الطريق والجهة .
 (٢) مالمومة مجتمعة مضموم بعضها إلى بعض .
 (٣) العجاج الفبار الثامر من أثر المعركة أضيق عليه الشيء غشيه وعمه .

نزل الذكر عليه ، فانطوى
 مصحف الخبر وسفر البطرق^(١)
 وسع الكتب جميعاً ، ووعى
 من سناها كل معنى موق^(٢)
 علم الدنيا الهدى فيما مضى
 وهو خيرٌ هادياً فيما بقى
 عربي فتحت آياته
 كل باب للمعاني مفلق
 وفنون حرة لم تطرق
 من رياحين البيان المورق
 في أساليب حسان غصّة
 نفحات الحق في أبهى الحلّى

* * *

نهض الفاروق يدعوهم إلى
 ملة الخير دعاء المشفق
 فأبى القوم ، وقالوا : ديننا
 إن ندعه لسواه نفسق
 ومشى جاسوسهم يعني الأذى
 فمشى عزربله في المفرق^(٣)
 قيل : أسلم قال : لا ، فاحتقت
 نفسه إثم الغويّ الأحق^(٤)
 يا أبا برة ليس البر أن
 تتولى ، فانتد واستوتق
 أمن يعتق من رق الهوى
 أنفس الناس كمن لم يعتق ؟
 يا أبا برة لا تأب الهدى
 وبين حولك فأرأف وارفق
 قاتم : الحرب وقتلاها ، وما
 وتولى النبل ، يهوى صوبه
 إذ يقول الله في عليائه
 فوق صوب من نجيع مهرق^(٥)
 قادة ، ما صادفوا أكفاءهم
 لرسول الله - سدد وارشق
 وجنود مثلها لم يخلق

ذعر الجمع ، فلو أن القطا
 صار في آثاره ، لم يلحق
 صدّ عن ظمأى العوالى ، ولوى
 كلّ صبّ في المواضى شيق
 فجسوا في النهب والسبي معاً
 وسقوا أسوأ شرب المستقى
 * * *

تعمت برة ماذا تشتكى
 من أسى برح ، وهم مقاق ؟^(١)
 يا ابنة الحارث طيبي وانعمى
 أى رزق صالح لم ترزق ؟
 ذاك جوّ المجد وضاح السنا
 حلّق ما شئت فيه ، حلّق
 إصطفاك الله فيمن يصطفى
 وانتقى بيتك فيما ينتقى
 واحتوى التاج الحلىّ درة
 منك ، من يلمح سناها يطرق
 فارقى أسر ابن قيس واشكرى
 يا ابنة الحارث ، فضل المطلق
 اللباب الحض من رسل الهدى
 منذ كانوا ، والصميم المعرق^(٢)
 حط عنك الإصرَ برّاً ، ورتى
 لك من ضرّ شديد مرهق^(٣)
 ورعى حقك ، لا يبغي سوى
 أن تكونى بأحلّ الأليق

(١) جاءت إلى النبي فقالت يا رسول الله إنى امرأة مسلمة أشهد أن لا إله إلا الله وأنت
 رسول الله وإنى برة بنت الحارث سيد قومه، أصابنا من الأمر ما قد علمت، ووقعت في سبهم ثابت
 ابن قيس وابن عم له . وخلصني ثابت من ابن عمه بنخلات في المدينة ، وكان يني على ما لا صافية لي
 به وإنى رجوتك فأعنى في مكاتبي قال : أو خير من ذلك : قالت ما هو ؟ قال : أؤدى عنك
 كتابتك وأتزوجك قالت نعم ، وظلها من ثابت فقال : هي لك يا رسول الله ، فأدى ما كان
 كاتبها عليه ، وأعتقها ، ثم تزوجها .
 (٢) اللباب والحض الخالص .
 (٣) الإصر - الحبس والتذب والنقل .

(١) السفر الكتاب والبطرق والخبر من علماء أهل الكتاب .
 (٢) الموق الحسن العجب .
 (٣) المراد به السيف الذي قتل به .
 (٤) سأله النبي عن أخبارهم فلم يقل شيئاً وعرض عليه الإسلام فأبى . فأمر عمر بن
 الخطاب بقتله واحتجب الرجل الاثم احتمله .
 (٥) هي سال والنجيم الدم يضرب لونه إلى السواد والمهرق السائل .

بنتها بنتي التي ربّيتها
 أعطيتها ، وتقبّل ما معي
 قال : بل أحدثت أمراً لم تحف
 غاب عن ذودك ما استبقيته
 يا أبا برة إني لأرى
 قال : أسأمت ، وما أدنى الهدى
 .وضح الحق ، فما من حجة
 إنه لله فضل ما له
 .نكص الشرك على أعقابهِ
 يا رسول لا كان امرؤ
 .شرف الأخلاق من أحكامه
 أنت نعم انصر مجدداً وسناً
 جئت بالخير بشيراً ، لم تزل
 تلك بنتي دخلت فيه معي
 في حى العز ، وفي محرابهِ
 من فداء جلّ عن أضرابهِ^(١)
 سوء ما يغشى الفتى من عابه
 لك في الوادى ، وفي أعشابهِ^(٢)
 موضع العودين في أعقابهِ^(٣)
 يا رسول الله من طلابهِ
 لغبي القلب ، أو مرتابهِ
 غير من يؤثر من أحبابهِ
 وهوى القائم من أنصابهِ
 لم يكن دينك من آرابهِ^(٤)
 والثقى والسير من آدابهِ
 إن طلبنا الجدى في أقطابهِ
 تصدع الأغلاق عن أبوابهِ
 ما خشينا المنع من حجابهِ

إسلام الحارث بن ضرار رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

جاء الحارث بن ضرار إلى المدينة يسوق لإبله في فداء بنته برة ولم يكن قد علم أنها أسلمت ، وتزوجت من النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما أتى وادى العقيق رغب في بيعين كانا من أفضل هذه الإبل ، فاستبقاهما في شعب من شعاب هذا الوادى ليرجع بهما إلى دياره ، ثم أقبل فقال : يا محمد أصبم ابنتي ولما الكريمة لا تسي ، وهذا فداؤهما ، فقال له : أين البعيران اللذان عقبتهما بالعقيق في شعب كذا وكذا ؟ قال : أشهد أنك رسول الله ، ما اطلع على ذلك إلا الله .

أقبل الحارث يحسدو إبله
 سيد القوم يريد ابنته
 قال - ويحي : كيف تُسبى برة
 حرة من حرة ، أنجبها
 إلى سيري ، وأمي يثرباً
 شرفي آبي عليه ، وابنتي
 ويره من طول همّ ما به
 ويروم الذبّ عن أحبابهِ^(١)
 وأبو برة في أثوابهِ ؟
 ونماها نابه من نابه^(٢)
 واطلب ليث الوغى في غابه^(٣)
 أفتدى منه ، ومن أصحابهِ

* * *

ساقها إلا بيعين هما
 غودرا في جانب الوادى ، وما
 قال : دعها يارعاك الله لي
 من صفايا المال أو صيابه^(٤)
 يجلب الأمر سوى أسبابهِ
 واشف هذا القلب من أوصابه^(٥)

(١) يروم يريد والذب الدفع .

(٢) رفعها وعزاها إليه .

(٣) النبي صلى الله عليه وسلم .

(٤) صفايا الشيء وصيابه خياره .

(٥) الأوصاب جمع وصب وهو المرض .

(١) جل عظم وأضرابه فظرائمه .

(٢) الذود من الإبل ما بين ثلاثة إلى عشرة ، أو ما فوق ذلك .

(٣) مثني عود ، وهو المسن من الإبل .

(٤) جمع أرب والأرب الحاجة .

بين الخنزرج والمهاجرين

كان السلون على الماء بعد انتهاء هذه الغزوة ، فاختصم أجبر لعمر بن الخطاب رضى الله عنه اسمه جهجاه مع رجل من حلفاء الخنزرج وهو سنان ابن فروة فضربه الأول حتى سال منه الدم فنادى : يا معشر الأنصار ، ونادى الضارب : يا معشر المهاجرين ، فأقبل جمع من الجيشين وشهروا السلاح ، فكادت تكون قتلة عظيمة لولا أن خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : ما بال دعوى الجاهلية ؟ فقالوا ، رجل من المهاجرين ضرب رجلا من الأنصار ، فقال . دعوها يريد دعوى الجاهلية فإنها منتنة فترك المضروب حقه ، وسكنت الفتنة .

جهجاه مالك هجتها مذمومة هوجاء ، لولا الله ظلت تعصف ؟
الخنزرج انطلقوا لنصر حليفهم ومضى لنصرتك الكفاة الدلف^(١)
لسنان إذ تؤذيه منك بضربة أولى وأخلق من تحب وتألف
هفت السيوف إلى السيوف، وأوشكت صم الرماح على الرماح تقصف
ومشى النبي يقول : يا قوم اسكنوا أكذاك تضطرب الجبال وترجف ؟
تدعون دعوى الجاهلية جهرة فمن الدعاة من الهداة الهتف ؟
أو لستم نفر الذين بنورهم يجد السبيل الحائر المتعسف ؟
رددوا السيوف إلى جماجم معشر فيهم مرد للسيوف ومصرف

* * *

هدأ الرجال ، وراح ظالم نفسه يهذى فيمعن ، أو يظن فيسرف^(٢)

(١) الكفاة جمع كفى وهو الشجاع والدلف جمع دالفت وهو المتقدم .
(٢) هو عبد الله بن أبي بن سلول ، لما اختصم الرجلان غضب وكان عنده رهط من منافق قومه الخنزرج فقال : ما رأيت كاللوم مذلة . أو قد فعلوها ؟ نافر ونا في بلاده . وأنكروا علينا ملتنا ، والله ما أعدنا - يعني الأنصار وقريش - وهؤلاء - يريد المهاجرين - إلا كما قال الأول في أمثالهم : سمن كلبك يأكلك . وأجمه يتبعك .. والله لقد ظننت لى سأموت قبل =

بركة أم المؤمنين جويرة رضوا الله عنها

قالت عائشة رضى الله عنها - لا أعلم امرأة أكثر بركة على قومها من جويرة ، أعتق وتزوجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مائة بيت .

جويرة احدى عقي البناء نبي بك خير من تحت السماء
باغت به ذؤابة كل عال من الشرف المنع والسناء^(١)
وكنت لقومك الأدين يمناً يريهم يمن خير الأنبياء
فكم أسرى فككت ، ومك سبابا رددت إلى الخلدور بلا فداء
محررة الرقاب كفاك فضلاً صنعك بالرجال وبالنساء
كشفت الضر عنهم بعد بأس وأحييت الرميم من الرجاء^(٢)
توالى المسلمون على سبيل من الكرم المحب والسخاء
لأجلك آثروا البقيا ، وقالوا علينا العهد عهد الأوفياء
أمن وصل النبي فكان صهراً كنتقطع من الأقوام ناء ؟^(٣)

* * *

خذوا يا قوم أنفسكم ، وعودوا إلى أوطانكم بعد الجلاء
سموا بنفوسهم وبنى أبيهم إلى دين المروءة والاباء^(٤)
ورد الله غربتهم وفازوا بنعمته ، فنعم ذوو العلاء
هو الإسلام ما للنفس عنه إذا ابتغت السلامة من غناء
نظام الأرض ، يدفع كل شر وطب القوم ينزع كل داء
إذا انصرفت شعوب الأرض عنه فبشر كل شعب بالشقاء

(١) ذؤابة الغز والشرف أعلاه .

(٢) الرميم أصله العظام البالي والمراد به الميت من الرجاء .

(٣) ناء بعيد .

(٤) الإباء الز .

قال : اقتصد يا عم ، ما أنا بالذي يفرض إذا اغتاب الرسول مُحَدِّفٌ (١)
ثقات على من الغبي مقالة جال ، تهدُّ بها الجبال وتنسف (٢)
والله لو أتى صواعقها أبي لحاتمها ، وذهبت لا أتخفف

* * *

رُوي الحديث وغيظ من مكروهه عمر ففيض المشرفي المرهف؟ (٣)
أغرى بقائله مخوف غراره ما كان يعلم من أذاه ويعرف
سأل الرسول الإذن فيه لعله يشفيه من دمه بما يتشرف
فأبى ، وقال : أليس من أصحابنا؟ دعه ، فتلك أشد ما أتخوف

* * *

وأتى ابنه فدعا : أبي أنا خصمه فدعوه لي ، إني به لمكلف (٤)
مرني رسول الله أ كُفِّكَ أمره فاقدر عهدتك راحماً تتلطف
إني أحب أبي . وأعرف حقه ولأنت بي وبه أبر وأرأف
سيفي أحق به ، فإن يك غيره عظم الأسي فيه ، وهال الموقف
إني لأخشى أن أرى دم مؤمن بيدي لأجل أبي يراق وينزف
قال النبي : ارفق بشيخك وارعه إن العقوق من البنين لتلاف

* * *

(١) التجديف الكفر بالنعمة والشم والإهانة والافتراء .

(٢) جلل عظيمة .

(٣) طلب عمر بن الخطاب من النبي أن يأذن له أو لعيره بقتل عبد الله بن أبي فأبى وقال - كيف يا عمر إذا تحدث الناس بأن محمداً يقتل أصحابه؟ والمشرفي المرهف السيف الحاد .

(٤) ابن عبد الله بن أبي واسمه عبد الله ، لما علم أن عمر يستأذن النبي في قتل أبيه . جاء إليه وقال : يا رسول الله إن كنت فاعلاً فمُرني أن أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد عدت الخنزرج ما كان بها رجل أبر بوالده مني ، إني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله ، فأقتل مؤمناً بكافر ، فأدخل النار ، فقال له الرسول الكريم - بل تترقب به ، وتحسن صحبته .

لجَّ النفاق ، فقاتل لا يستحي مما يقول ، وسامعٌ لا يأنف (١)
ما بال من جمحت به أهواؤه أفما يزال على الغواية يكف؟ (٢)
يؤذي رسول الله يزعم أنه في قومه منه أعزُّ وأشرف
ويقول : موعدنا المدينة إذ يرى أيُّ الفريقين الأذل الأضف
فلنخرجنَّ محمداً منها غداً وليعلن الأمر ساعة يأنف (٣)

* * *

سمع ابن أرقم ما يقول : فهاجبه غضبٌ يضيق به التقيُّ الأحنف (٤)
ومضى يقصّ على النبي حديثه فيكاد عنه من الكراهة يصدف (٥)
قال : أتد ، فلقد يغان على الفتى فيزلُّ منه السمع أو يتحرف (٦)
فمضى على أسف يلوذ بعمه فيلامُ غير مكذبٍ ويُعمَف (٧)

== أن أسمع هانفاً يهتف بما سمعت . أما والله لئن رجعتا لى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل -
يعنى بالأعرز نفسه . وبالأذل النبي صلى الله عليه وسلم .

(١) لج عمادى .

(٢) جمحت به أهواؤه غلبته .

(٣) أرف الأمر حان وقرب .

(٤) كان زيد بن أرقم . وهو غلام حديث السن - عند عبد الله بن أبي ورهطه وهو يقول لهم ما قال . فثنى به لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكره ذلك وتغير وجهه ، وقال له - يا غلام لملك غضبت عليه - قال . والله لقد سمعتة أى الحديث منه ، قال - لعله أخطأ سمعت والأحنف هنا الشديد الميل لى الحق .

(٥) يصدف يعرض .

(٦) يغان عليه بمعنى يغطى على قلبه .

(٧) لما قال النبي لزيد بن أرقم ما قال : عظم عليه الأمر وذهب لى عمه في غم شديد ، فقال له : ما أردت إلا أن كذبك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومثلك ، قال زيد . والله لقد سمعت ما قال ، ولو سمعت هذه المقالة من أبي لقلتها لى رسول الله ، ولانى لأرجو أن ينزل الله عليه ما يصدق حديثى . ولاذ به لجا .

عبد الله بن أبي بن سلول

بعد نزول (سورة المنافقون)

كان مما قاله النبي صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يستأذنه في قتل عبد الله بن أبي - ترعد له لاذن أنت كثيرة يئرب - فلما نزلت سورة المنافقين صار قومه يعاتبونه ويعنفونه ، فقال النبي لعمر : كيف ترى يا عمر ؟ إني والله لو قتلته يوم قلت لأرعدت له أتوف لو أمرتها اليوم بقتله لنتنته : قال عمر : قد والله عدت لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمري .

ما يكسب المرء من إثم ولا يزر إلا أحاط به من ربه قدر (١)
وليس للنفس إن خابت وإن خسرت إلا عواقب ما تأتي وما تذر (٢)
جلبت يا ابن أبي شر ما جابت نفس على قومها ، لو كنت تعتبر
زودت قومك خزيًا لم يدع أحدًا إلا قلائك وأمسى صدره يغر (٣)
تتابع الوحي ، ترميم قوارعه لما تتابع مذك اللغو والهيدر

قالوا : استجر برسول الله ملتمسًا سبل النجاة ، فما يفنيك منتظر (٤)
إن تُلغه حين ترجوه وتساله مستفقرًا لك لا يعلق بك الغمر (٥)

(١) يزر يحمل .

(٢) تذر تترك .

(٣) قلاه أبفضه ووغر صدره توقد من الفيض .

(٤) قال له أصحابه : اذهب إلى النبي يستغفر لك . فلوى رأسه وقال أمرتوني أن أؤمن فأمنت ، وأن أعطي زكاة أموال فأعطيت ، فلم يبق إلا أن أسجد لحمد ، فأنزل الله تعالى (ولمذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوأروؤوسهم - الآية) .

(٥) هو في الأصل دسم اللحم يتعلق باليد .

للقاذف الجبار زلزل قلبه
ضاعت مذاهبه ، فأقبل ضارعًا
جحد الحديث ، وراح يخلف ماجرى
إن ابن أرقم لم تكن لتخونه
يبقى بها نقش الكلام ، كأنما
صَوَّرُ إذا وَلَى اللسان أداها
مارمتُ وصدقًا ، حسب زيد أنه
الله أنزله بيانًا صادقًا
كشف الغطاء عن النفاق بسورة
جُرْمٌ إذا استخفى مخافة ذاكر
بالرعب يأتى ، والمخافة تقذف (١)
وأخو الهوان الضارع المستعطف (٢)
صدق النبي وأفتى من يخلف
أذن تعى وتصون ما تتأقف (٣)
نقشت على الصخر الأصم الأحرف
فالزور من أعدائها والزخرف
بفرائد الوحي المنظم يوصف
كبت الألى قلبوا الأمور وزيفوا
نزات ، وكان غطاؤه لا يكشف
نادى الزمان به ، وضج المصحف

(١) هو عبد الله بن أبي - جاءه رجل من الأنصار الذين سمعوا حديث زيد بن أرقم عنه فقال له : يا أبا الجباب إن كنت قلت ما نقل عنك فأخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فبيستغفر لك . ولا تجده فينزل فيك ما يكذبك ، وإن كنت لم نقله فائمه واعتذر . واحلف ما قلته ، فحلف بالله العظيم ما قال من ذلك شيئًا ، ومشى إلى النبي فقال له : يا ابن أبي إن كانت سبقت منك مقالة فتب . فجعل يخلف بالله ما قلت ما قال زيد وما تكلمت به .
(٢) الضارع الدليل .

(٣) كان يقال لزيد بن أرقم رضي الله عنه - ذو الأذن الواعية - لقول الله تعالى فيه (وأيها أذن واعية) وعنه أنه لما نزلت سورة المنافقين ، أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بأذنه وهو على راحلته يرفعهما إلى السماء حتى ارتفع عن مقدمه وهو يقول - وعت أذنك يا غلام ، وصدق الله حديثك وكذب المنافقين .

﴿١﴾ دون المدينة المختار ينتصر ﴿٢﴾
 حتى تقيء ، وحتى يُعلم الخبر
 إن كنت حُرّاً ، فبئس الكاذب الأشمر ﴿٢﴾
 كأنها روحه من فيه تنحدر
 قدرأ ، وأرفعهم ذكرأ إذا ذكروا
 لا النصر يخطئه فيها ، ولا الظفر
 وارتنأ قائدهم خزبان يعتذر
 هذا ابنه جاءه غضبان يمسكه
 يقول : تلك ديار لست تدخلها
 أنت الأذل فقها غير كاذبة
 فقالمها مرة حرى ، وأرسالها
 مشى أعزبني الدنيا وأشرفهم
 حل المدينة منه ليث ملحمة
 فليعرف الحق قوم ضل رائدهم

فقال : يا ويلكم ، مازلت أتبعكم
 لم يبق فيما أرى إلا السجود له
 أذلك الجد منكم ، أم هو السخر؟
 وصدأ مستكبرأ يلوى لشقوته
 يزيد الجهل طغيانأ ، ويصرفه
 حتى هلكت ، فلا جاء ولا خطر
 يقضى به الحق ، أو يقضى به الوطر
 دعوا اللجاج ، فهذا مطلب عسر
 رأسأ يغيظ الظبي أن ليس يهتصرا ﴿١﴾
 عن الهدى من أفانين الهوى سكر

* * *

قال الرسول ونار الغيظ تلفحهم
 لو قت يومئذ بالسيف تأخذه
 تلك الأنوف التي كنا نحاذرها
 لو قلت للقوم : جينوني بهامته
 ألم أقل لك : لا تقتله يا عمر؟
 بعثها غضبة جاواء تستعر ﴿٢﴾
 أمست سلامأ ، فلاخوف ولا حذر
 رأيتهم يفغنون اليوم ما أمروا

* * *

تبيّن الرشد للفاروق وأحسرت
 فقال : بوركت من هاد أئمة
 لسنا كمثلك في علم ومعرفة
 تدري من الأمر ما تخفي ظواهره
 في معجزاتك للغاوين تبصرة
 صلى عليك الذي آتاك من شرف
 عن جانبه غواشي الظن والستر
 تعيا بحكمته الألباب والفكر
 أنت الإمام وهذا النهج والأثر
 وما لنا فيه إلا الرأي والنظر
 وفي علومك للجهال مزدجر
 ما ليس يبلغه جن ولا بشر

* * *

(١) لما انتهى الجيش إلى وادي العقيق جعل عبد الله بن عبد الله بن أبي بلتمس أباه ،
 فلما رآه أناخ بعيره وقال - والله لا تدخلها (المدينة) حتى يأذن لك رسول الله ، لتعلم الأعر
 من الأذل - فصار يقول : لأنا أذل من الصبيان ، لأنا أذل من النساء : فجاء النبي صلى الله
 عليه وسلم وقال : خل عن أهلك فخل عنك .
 (٢) أشر الرجل مرح وبطر .

(١) الظبي السيف ، ويهتصر من هصر الغصن إذا أماله .
 (٢) جاواء ، حراء في كدرة تستعرت تشتعل .

قِصَّةُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم بالمسلمين من غزوة بني المصطلق ، وكانت عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما معه ، بات الجيش في مكان على مسافة من المدينة ، وقيل أن يؤذن الناس بالرحيل ذهبت تنقضي حاجتها فجاوزت الجيش . وفي عودتها إلى رحلها أحست أنها فقدت عقداً لها ، فرجعت إلى الخيل الذي كانت فيه تلتصقه ، وأمر الجيش بالرحيل وهي لا تزال في التماسه ، وأقبل الموكلون بها فحملوا هودجها ، ووضعوه على البعير الذي كانت تركبه وهم يظنون أنها فيه ، ثم سار الجيش وعادت هي فلم تجد أحداً وغلبتها عنها فنامت ، وكان صفوان بن المهطل السلمي على ساقه الجيش ، فتخلف عنه وأصبح عند المنزل الذي بقيت فيه أم المؤمنين رضى الله عنها ، فرأى سواد إنسان نائم ، واقترب منه ، ولما عرفها أخذته الحزن ورفع صوته قائلاً : إنا لله وإنا إليه راجعون : فاستيقظت على صوته وخرجت وجهها بجلبابها ، وصمت صفوان بعد ذلك فلم يزد على أن أناخ راحته وقال أمه ، قومي فاركبي ، ثم سار بها فأدرك الجيش بعد ما نزل عند الظهر قالت رضى الله عنها : فلما نزلنا هلك من هلك بالقول والافتراء
والذي تولى كبره عبد الله بن أبي بن ساول ، فإنه أول من أشاع الإفك في العسكر ، ثم برأها الله فمصرح صدر النبي والمؤمنين بهذه البراءة (إن الدين جاؤوا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم - إلى بقية الآيات العشر (سورة النور) .

سيّد الرسل وأم المؤمنين بشر الأبطال بالنصر المبين
خرجت في الجيش ترجو ربها عصمة الراجي ، وعون المستعين
ينصر الحق ، ويقضى أمره إن رماه كل أفك مبین
إصبرى إن جل أمر ، إنها يا ابنة الصديق دنيا الصالحين
أرأيت الأرض لما رجفت إذ هوى عقداك؟ بل لا تشعرين^(١)

(١) كان العقدا من جرج - خرز ظفار ، وهي قرية من قرى اليمن ، قيل إنه كان يساوي اثني عشر درهماً) وقد وجدته رضى الله عنها في ذلك المكان .

اقتشعرت ، وتمنت لو هوى كل عال من رواسيها مكين .
أنت في شأنك إذ تبغينه وهي في همٍ وغمٍ وأنين
سوف يبدي الخطب عن روعته بعد حين ، فاصبرى حتى يحين

* * *

رفعوا هودج ، والظنُّ بها أنها فيه ، وساروا مُدلجين^(١)
وانجلى الليل عن الخطب الذي غادر الإصباح مسودَّ الجبين
أين غابت أى أرض نزلت كيف غم الأمر؟ هل من مستبين؟
يا رسول صبراً إنها في ذمام الله رب العالمين
يا أبا بكر رويداً ، إنسا لتراها في حمى الروح الأمين .

* * *

رجعت والليل في بردته دائم الإطراق كالشيخ الرزين
ذهب الجيش ، وأمست وحدها غير أصداء من الوادى الخزين
خطرت في الجو من أنفاسها خطرات للأسى ، ما ينقضين
ماج كالبحر طفت أتباجه وارتمت أهواله حول السفين^(٢)
نام عنها الهرم لما رقدت فهو في الأحشاء مكتوم دفين
وأنى صفوان ما يبسوله غير شيء مائل للناظرين
يرسل الطرف ، ويمشى نحوها مشية المرتاب في رفق ولين
عرف الخطب ، فما أصدقه حين يدعو دعوة المسترجمين
دعوة رنت ، فلو قيل : اسمعوا لسمعنا اليوم ترداد الرنين

(١) من أذلج إذا سار بالتهار .

(٢) أعاليه جمع تبع .

أبقت عائشة من نومها مثلما يوقظها صوت الأذنين^(١)
 جفّت منه ، فغطت وجهها وهي في سترين من عقل ودين
 يصرف اللّحظ قليلا دونها خاشع القلب ، كدأب المتقين
 قرّب الناقاة منها ، ودعا إركبي أماء ، ملّيت البنين^(٢)
 أخذ المقود يمتأ ، ومضى يتبع الماضين من أهل اليمن
 ينتحى يثرب بالنور الذي يملأ الدنيا ، ويُعيى المطفئين^(٣)

* * *

نشروا الإفك فساداً وأذى وعلى الله جزاء المنسدين
 لا ينال الحق في سلطانه كذب الحق ، وإفك المرجفين
 يالها من عصبه فاسقة هاجها للشر شيخ الناسقين^(٤)
 وجدت فيه زعيماً حاذقاً وإماماً بارعاً للمفترين

* * *

هكذا يا ابن أبي هكذا لا يكن شأنك شأن المسلمين
 انتفت السم ، وخضها فتنة تناظلي نارها للخائضين

* * *

يا ابنة الصديق صبراً ، ليته ألم المرضي وهمّ الموجهين^(٥)
 يالها من علة لوتعلمين إنها أبرح مما تشكين

أعقب البشر عبوساً وبدا من رسول الله مالا ترتضين^(١)
 كيف تيكم ليس من عاداته كيف تيكم؟ يالهم من مجرمين
 غَيَّرُوهُ ، ففوى من عطفه وطوى من لطفه ما تمهدين
 وهو يُخفي لك مالا ينقضى من هوى صاف ، وشوق وحنين
 سجن السرّ ، وكم من روعة لك يا أماء في السرّ السجين

* * *

أنصتي ، فالليل مصغ ، أنصتي وقع الخطب ، فماذا تصنعين ؟
 جاشت النفس ، ولجت رعدة لم تدع في القلب من ركن ركين
 مسطح ، لاقرّ عيناً مسطح شهباً ناراً تهول المصطابين^(٢)
 فضحته عثرة من أمه فانظري كيد ذوبك الأقربين
 لا تؤميهما إذا ما غضبت إنها تعلم مالا تعلمين
 أرسلتها دعوة واحدة ليتها زادت على حد المثين
 تعس الشعب ما أخبته فدعى بدمراً وآساد العرين

* * *

رجعت في غمرة من همها لم تبت منها بليل الراقدين
 لوعة مشبوبة في سقم في شأيب من الدمع السخين
 يارسول الله هل تأذن لي؟ إن ييتي بمصابي لقمين^(٣)

(١) كان يريها اقباض النبي كما جاء يعودها وقوله : كيف تيكم ، ثم لا يزيد .
 (٢) خرجت مع أم مسطح خالة الصديق لقضاء حاجتها ليلا فعزّت أم مسطح في لزارها
 فقالت تعس مسطح ، فقالت لها : بشما قلت . أتسيين رجلا شهد بدمراً؟ قالت يا هنتاه
 (أى يا هذه) ألم تسمعي ما قال وأخبرتها بحديث أهل الافك . وكان مسطح منهم ، فأخذتها
 حتى نافضة وأصبحت تبكي .
 (٣) دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي ، وقال : كيف تيكم على عادته فقالت
 أتأذن لي أن آتي بيت أبوي فأذن لها . والقمين الحليق والجدير .

(١) المؤذن .

(٢) تمتع بطول حياتهم معك .

(٣) ينتحى يقصد .

(٤) عبد الله بن أبي .

(٥) مرضت بعد قدومها المدينة شهراً ، والناس يفيضون في الإنك وهي لا تعلم .

مر ودع هي لأمي وأبي إنما استأذنت خير الأمرين
بان حسن الصبر، والعزم انطوى وأرى السقم مقياً ما بين
قال: ما شئت، هلئى فافعلى لك يا صاحبتى ما تؤثرين

* * *

ذهبت، يحزنها أن لم تكن طوح الدهر بها فى الذاهبين
ثم قالت وهى تبكى: عجبا لك يا أماء، ماذا تكتمين؟^(١)
أفلا نبأنتى ما زعموا؟ ويحهم: ما حيلتى فى الزاعمين؟
ظاهونى، ما رعوا لى حرمة رب كن لى - ما أقل النصفين

* * *

جزع الصديق مما نابه إنه خطب يهول الأكرمين^(٢)
قال: أف لك من داهية مارمينا بك فى ماضى السنين
أفلا زاننا دين الهدى ساءنا ست حديث لا يزين؟

* * *

كيف تيكم؟ يالها صاعقة أرسلت من فى خير المرسلين
كيف تيكم؟ كيف تيكم كلما جاء، إن الله مولى الصابرين
إصبرى يا رببة العقيد الذى زين من عينيك بالدر الثمين

* * *

(١) قالت لأمها: يغفر الله لك، تحدث الناس بما تحدثوا به، وأنت لا تخبرينى بشيء،
قالت - يا بنية هونى عليك، قالت وهل علم أبى قالت نعم - قالت ورسول الله، قالت نعم -
فاستعبرت وبكت، وبانت لا يرقأ لها دمع.
(٢) قال - ما أعلم أهل بيت من العرب دخل عليهم ما دخل على - والله ما قيل لنا
هذا فى الجاهلية حيث لا يعبد الله أفقال لنا فى الإسلام؟

أوجعتها من على شاةة هى من رأب الأباة الأولين^(١)
سلط الضرب على مولاتها أى سر عندها للضاربيت؟؟
أقسمت صادقة ما علمت غير ما يدفع أدعوى الواهين
بالتقى والبر فى تأجيبنا هل رأى التاجين أعلى المالكين؟

* * *

مرجبا بالحق، يجمى جنده ما استباحت ترهات الباطلين^(٢)
مرجبا بالوحى، يخلو ما طوت ظلمات الشك من نور اليقين
مرجبا بالروح أيلتى من على رحمة الله، تفيث المؤمنين
فتنة جنت، فلما انكشفت أزلقوا الشكر وراحوا راشدين

وتجلى غمرة الهادى فلا ريبة تفتى، ولا ظن يرين^(٣)
يا ابنة الصديق طيبى وانعمى ذاك حكم الله خير الحاكمين
ضرب القوم بماضى مخدوم من مواضيه، فولوا مدبرين^(٤)
سقطوا صرعى، عليهم غيرة من قتام البغى تحزى الظالمين

* * *

(١) عن عائشة رضى الله عنها - أن النبي صلى الله عليه وسلم استشار الصحابة فى أمرها، فقال له عمر: من زوجها لك يا رسول الله؟ قال، الله تعالى، قال - أظن أن الله دلس عليك فيها؟ - سبحانه هذا بهتان عظيم، وقال أسامة بن زيد: أهلك يا رسول الله فما نعلم إلا خيراً، فأما على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك، والنساء - وهاها كثير، وإنك لتهدى أن تتحلف وأن تسألوا الجارية بريرة تصدق وجاءت بريرة فقالت والذى بعثك بالحق ما علمت عليها من شيء - فقام إليها على ضربها ضرباً شديداً ويقول لها: اصدقى رسول الله، فتقول، والله ما علمت إلا خيراً،
(٢) لمشارق إلى نزول الآيات المشريفة فى برامتها
(٣) وإن التفتى على القاب غاب عليه وكان له كالصدا ونحوه
(٤) الخدم السيف الفاطمى

عَنْزُوتُ الْخُنْدُقِ

لما أصاب بني النضير ما أصابهم شق ذلك على اليهود ، فسار من سادتهم إلى مكة حيي بن أخطب ، وسلام بن مشكم ، وكنانة بن أبي الحقيق ، وهودبة ابن قيس ، وأبو عامر الفاسق ، وجعلوا يحرضون المشركين على قتال النبي صلى الله عليه وسلم ، ويعاهدونهم على أن يكونوا معهم . فرحب بهم أبو سفيان وقال لهم : لا تأمنكم إلا إن سجدتم لآلهتنا ، فسجدوا ، وخرج من بضون قريش خمسون رجلاً فألصقوا أكبادهم بالكعبة ، وتملقوا بأستارها يتحالفون على التصرة وحرب النبي ، ثم جاءوا إلى غطفان ، وجعلوا لهم تمر خبير سنة إن هم نصرهم فرضوا . وتأهبت الجموع للحرب ، وكانت القيادة العليا لأبي سفيان ، وقدم المدينة ركب من خزاعة . فأخبر النبي بما أجمعوا عليه ، فجمع الصحابة وشاورهم في الأمر . وهل يخرجون من المدينة للقاء العدو أم يبقون فيها للدفاع عنها ؟ فقال سلمان الفارسي رضى الله عنه : يا رسول الله إنا كنا بأرض فارس إذا تخوفنا الخيل خندقنا علينا ، فركب النبي في رجال من المهاجرين والأنصار ، وجعل يرتاد أفضل المواقع خفر الخندق ، ثم أقبلوا يعملون فيه والنبي بينهم ، وقد انتهت هذه الفزوة بقهر المشركين ، وكسر شوكتهم ، وكانت في شهر شوال من السنة الخامسة . وهو قول الجمهور .

إذهب حيي مذمماً مشثوما أحشدت إلا جمعك المهزوما؟
 أين تفضبوا لبني النضير فإنه خطب يراه بنو أبيك عظيما
 القوة انصدعت ، فكيف بكم إذا ترك الهداة بناءكم مهذوما؟
 مرتم تحكّون الجراح ، ولا أرى مثل الجراح إذا امتلأت سموما
 رحبّ أباسفيان إن نثلهم من مثلك الترحيب والتسليما
 جمع الهوى بعد التفرق بينكم بئس الهوى يصلى النفوس جحيميا
 تذكى سيوف الله من أضغانكم ناراً تصيب من القلوب هشيا
 ختموا القبائل ، واجمعوا أحزابكم سترون بأس محمد مضموما

أمسك الصديق من معروفه ينكر القدر ، وينهى الغادرين^(١)
 وطوى عن مسطح نعمته ليرى حق الكرام المنعمين
 عاله دهرأ ، فمسا خانه راح يحزبه جزاء الخائفين^(٢)
 سنة العدل ، قضاها من قضى سنة الرحمة بين الزاحمين
 نزل الذكر بها قدسية فعفا الناقم وارتاح الضنين

إجعل الخير قريناً إن أبي كل غاو ، إنه نعم القرين
 جلاً تُرني وعلا ، كل امرئ بالذي يكسب من أمر رهين

(١) كان مسطح يتيماً في حجر أبي بكر ، يتولاه برعايته وينفق عليه لقرابه وترابته منه فلما قال ما قال من الإفك غضب عليه ، وقيل إنه أخرجه من منزله وقال له : لا وصلتك بدرهم أبداً ، فأنزل الله تعالى (ولا يأتل أولو النفل منكم والدمعة أن يؤتوا أولى القرن والمسكين والمهاجرين في سبيل الله وليفتوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) فرجع أبو بكر رضى الله عنه ينفق على مسطح .
 (٢) عاله أنفق عليه .

قال ابن حرب لليهود مقالة
إن كان حقاً ما زعمتم ، فاعبدوا
خزوا لآلهة ابن حرب سجداً
كفر على كفر رموا بركامه
ستلوا عن العلم القديم فزوروا
قالوا : شهدنا ، دينكم خير لكم
لم تلق إلا فاسقاً وأثيماً
ما نحن نعبد ، وانبدوا التحريماً
لا ينكرون صنيعه المذموماً
والكفر أقبح ما يرى مركوماً
وأذى المزور أن يكون عليماً^(١)
من دين صاحبكم وأصدق سياً

* * *

خفت الرجال إلى البنية إتهمهم
عقدوا لهم حلقة على أستارها
هل ألقوا الأكباد من سفه بها
كانوا أخف من اليهود حلوماً^(٢)
والله يعقد أمره الختوماً
أم ألقوا إحناً بها وكلوماً؟^(٣)

* * *

غطفان هبى للكريمة واغنى
كذب اليهود ، وخاب ظنك ، إتهمهم
لن يطعموك سوى سيوف محمد
ما أ كذب الأحزاب يوم تعاهدوا
جعلوا أباسفيان صاحب أمرهم
كن كيف شئت ، فلن ترى لك ناصرأ
من تمر خبير حظك المقسوما
لم يباغوا أن يُرزقوا المحروما
وستعلمين ذعافها المطعوما
أن لا يبالوا الصادق المعصوما
كن يا ابن حرب فائداً وزعيماً
مادمت لله العلي خصيماً

* * *

(١) قالت قريش : يا معشر اليهود . إنكم أهل الكتاب الأول والعلم القديم .
أخبرونا عما أصبحنا نخلف فيه نحن ومحمدأ ، فديننا خير أم دين محمد ؟ قالوا : بل دينكم خير
من دينه ، وأتم أولى بالحق منه ، فانزل الله تعالى (ألم تترك الذين أوتوا نصيباً من الكتاب
يؤمنون بالحبث والطاغوت - الآيات) .
(٢) البنية الكريمة .
(٣) الإحن جمع إحنة وهي الحقد والنصب والكوم جمع كلم وهو الحجج .

جمعوا الجنود ، وجاء ركب خزاعة
حمل الحديث إلى الرسول فزاده
نزلوا على الشورى بأمر نبينهم
قال : انظروا ، أقيم أم تمضى معاً
فأجابه سلمان : نحفر خندقاً
حملوا المساحي والمكاتل ما بهم
هي عندهم لله ، أوهم عندها
دلقت قروم محمد في شأنها
يسعى ويعمل بين عيني ربه
حأب الإمام فما ترى من رائث
حمل التراب ، فظل يثقل ظهره
وإذا رأيت خليفته رأيتـه
ومضت بعمارٍ وزيد همة
بيدي الخفي ، ويظهر أنكتوما
بأساً ، وزاد المسلمين عزيمتا^(١)
يعنى لأتمته السبيل قويمها
نلقى العدو إذا أراد هجوماً ؟
كصنيع فارس في الحروب قديما
أن يحملوها أنفساً وجسوماً^(٢)
خدماه ، سبجانه مخدوما
تاقي بيثرب من ذويه قروما^(٣)
طلق الجلالة ، بالهدى موسوماً^(٤)
إن الإمام يصرف المأموماً^(٥)
ويقاتل الأحشاء والحيزوماً^(٦)
الله في ثوبيهما مأموماً^(٧)
لم تبق من همم الجهاد مروما^(٨)

* * *

(١) العزيم عقد الإرادة على الأمر وامضاؤه من غير تردد .
(٢) جمع مسجاة آلة من حديد كالخرفة المكاتل جمع مكاتل وهو الزنبيل يعمل من الحوس -
(٣) دلقت تقدمت والقروم جمع قروم وهو السيد .
(٤) عمل النبي صلى الله عليه وسلم في الخندق وحمل التراب على ظهره الشريف .
(٥) رائث من راث إذا أبطأ .
(٦) الحيزوم الصدر .
(٧) أبو بكر وعمر رضي الله عنهما والضمير في (رأيتـه) عائد على التراب .

(٨) عمار بن ياسر ، وزيد بن ثابت . كانا يعملان مهمة عظيمة . فشح النبي صلى الله
عليه وسلم رأس عمار وقال : ابن سمية ، ثقلت الفتنة الباغية . . . وقال في زيد : أما إنه
نعم الغلام .

سلمان أحسنت الصنيع وثلته نسباً مضى ، فقضى لك التقديماً^(١)
لما تنافس فيك أعلام الهدى حكم النبي فأنصف المظلوما

* * *

سلمان منا آل بيت محمد ولقد نسبت فما نسبت زنيا^(٢)
لدين يجمع ، ليس منا من يرى في أهله عرباً ، ويعرف روما
والأكرم الأتقى تبارك ربنا إنا نطيع كتابه المرقوما^(٣)
الله مولاكم ، وأنتم شعبه لا تذكروا شعباً ولا إقلياً

* * *

سلمان دعها كدية توهمى القوى وترد كل محدد مثلوما^(٤)
يضرب رسول الله كم من صخرة لم تألها صدعاً ولا تحطياً
من ليس يبلغ من جيازة القوى ما أنت بالفه ، فليس ملوما
بشراً جنودك بالفتوح ثلاثة تدع العزيز من العروش مضياً
وصف اندائن والقصور معشر مثلها صوراً لهم ورسوما
أبصرتها في نور ربك ، مارأت عينك آفاقاً لها وتخوما

مازلت تحدث كل أمر معجز لولا النبوة لم يكن مفهوما
جهل العجائب معشر لم يعرفوا منهن إلا السحر والتنويماً
الله أسرار تريك جلاله إن شاء فض كتابها المحتوما
والعلم إن ضل السبيل ، ولم يلد ما يرشد الجهلاء كان عقياً
بلوى ذوى الأستقام أكرها أذى بلوى أخى عقل تراه سقيماً

* * *

بنع الطوى بالقوم غاية جهده وكأتما طعموا الصفايا الكوما^(١)
جيش بصوم على الدؤوب ، ولم يكن لولا أمانة ربه ليصوما
من كل مبتهل يضجُ مكبراً في الحرب ، يدعو الواحد القيوماً

* * *

كانت فتاتك يا ابن سعد إذ أتت غوثاً وخيراً للغزاة عمياً^(٢)
جاءت ببعض التمر ، تطعم والدأ برأ ، وخالا في الرجال كريمة
ألقى عليه الله من بركانه فكفى برحمته ، وكان رحماً
أخذ النبي قلبه ، فدعا الطوى داعى الرحيل ، وما يزال مقياً
جمع الجنود ، وقال : هذا رزقكم فكلوا هنيئاً ، واشكروه نعيماً
فرحوا بنعمة ربهم ، وتبدلوا حالا تزيد الكافرين وجوما

* * *

(١) كان سلمان رجلاً قوباً يعمل عمل عشرة رجال ، فتنافس فيه المهاجرون والأنصار ، وجعل كل فريق يقول سلمان منا فقال الرسول الكريم سلمان منا أهل البيت .

(٢) الزيم الدعى يلحق بالقوم وليس منهم ، وهم في غنى عنه .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) .

(٤) استعصت كدية على سلمان ، فأخذ النبي العول من يده وقال ، باسم الله ، وضرب ضربة فكسر نثها ، وبرقت برقة . فخرج نور من جهة اليمن . فكبر وقال : أعطيت مفاتيح اليمن ، إني لأبصر أبواب صنعاء من مكان الساعة . كأنها أبواب الكلاب ، ثم ضرب الثانية فقطع ثلثاً آخر ، فخرج نور من قبل الروم فكبر وقال : أعطيت مفاتيح الشام وإني لأبصر قصورها ، ثم ضرب الثالثة فقطع بقية الحجر ، وبرقت برقة فكبر وقال : أعطيت مفاتيح فارس ، والله إني لأبصر قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أبواب الكلاب في مكان هذا ، وجعل يصفها فيقول سلمان : صدقت ، أشهد أنك رسول الله - قال : هذه فتوح يفتحها الله بعنى يا سلمان ، والله كسر في حد العول .

(١) انضوى الجوع ، وقد أصاب النبي وجيئه من شدته في هذه الغزوة ما أصابهم ، حتى لقد لبثوا ثلاثة أيام بنهر زاد والصفايا من الإبل وغيرها أخبارها . والسكر جمع كوما . ومى ذات الشام الضخم من الإبل .

(٢) هى بنت بشير بن سعد ، لما بلغها أن المسلمين يعانون شدة الجوع وهم يفترون الخندق جاءت ومعهما جنة من التمر ضاماً لأبيها وخالها عبد الله بن رواحة فأخذ النبي التمر وهو لا يكاد يتلأ كفه الشريف ، ثم دعا بشير فيسطه ووضعه عليه ، وأمر أن ينادى المسلمون : هلموا إلى الغداء فجاءوا وجعلوا يأكلون منه وهو يزيد حتى صدروا وإنه ليسقط من أطراف الثوب .

بَعْدَ حَفْرِ الخَنْدَقِ

لما انتهى المسلمون من حفر الخندق أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعلوا ظهورهم إلى جبل (سلم) ، وأن يستعدوا للقاء العدو ، ثم أعطى لواء المهاجرين إلى زيد بن حارثة ، ولواء الأنصار إلى سعد بن عباد ، وأمر بصرف الغلمان الذين لم يبلغوا الخامسة عشرة من سنهم ، وكانوا يعملون في الخندق . وكان بنو قريظة على عهد معه صلى الله عليه وسلم ، فما زال حيي بن أخطب يسيدهم كعب بن أسد يقرض حتى نقص العهد ، ومزق الصحيفة . وكان أبو سفيان هو الذي حرض ابن أخطب على ذلك .

مضت السيوف ، وولت الأرباب
فإلى الهزيمة أيها الأحزاب
لا اللات نافعة ولا أخواتها
كل بلاء واقع وعذاب
في السفح من سلع قضاء رابض
والويل حين يشور أو ينساب
يبغى القريضة . والمنية مخاب
ويصول ، والأجل المعجل ناب
هو يا ابن حرب ما علمت وحرروا
الغيل بسئل ، والليوث غضاب^(١)
أشقى سليط وابن عوف ضعفكم
أم تمم ضعفن واغر وضباب^(٢) ؟
لا بوركت تلك السيوف ، فإنها
لنصيب من أعدائها فتصاب
كل الذي نلتم ونالت من دم
عطب أيتاح لكم معاً وتباب

* * *

زيد وسعد في الفوارس ، فانظروا
إن كان يصدق نفسه المرتاب^(٣)
الله أكبر ، كل شيء دونه
صدق الذين دعاهم فأجابوا
ثوبوا جموع المشركين ، فإنما
غررتكم الأوثان والأنصاب

(١) الغيل بيت الأسد وبسل محرم والليوث الأسد .

(٢) ذهب سليط وسفيان بن عوف من قبلى النبي ليستضعا أخبار النوم فقتلوا .

(٣) زيد بن حارثة وسعد بن عباد .

هذا الذي صنع الشويبة فادم
حيًا النبي وقال : جئتك داعياً
مالي رعاك الله غير شويبة
لو زادها ربي بذلت أجسامي
أعدتها لك يا محمد مطعماً
يشفيك من سغب أراه ألياً^(١)
يكنيك من ألم الطوى وعذابه
حجز يظل على الخشاء محزوما
* * *
صنع الشويبة حائراً مهموما
سار الرسول بجنده ، ومشى الذي
دبر ودأب ، فقد دعوت حكيماً
يارب ، صاع واحد وشويبة
بشراً ، وكان من الخياء كطيماً^(٢)
رب يزيد رسوله تكريماً
وضع الطعام ، فظل يشرق وجهه
شمل الشعوب ، رأيته منظوما
تلك الموائد لو يقال لها : انظمي
شرفاً بقوت الوارثين صليماً
وضع النبي يديه فيه ، فزاده
* * *
يشى بحفتها أغر وسياً^(٥)
كرم صميم ، زاح بورث جابراً
فشقى الخيال ، وأحسن التعليماً
والأشهاية إذ يحيى رسولها
لم يعرفوا الإصلاح والتقويتا
الله علمها مناقب دينه
لم يبرحوا في القاعدتين جثوما
لولا مرأشده تقوم خلقه
نهض الحماة به ، ولو لم يهتدوا

(١) هو جابر بن عبد الله صنع شويبة وصاعاً من شعير ، وجاء إلى النبي فدعاه إلى بيته وهو يظن أنه سيجيء وحده أو مع رجل أو رجلين من أصحابه ، فأمر بلناداة في الجيش : أن هلموا مع النبي إلى بيت جابر بن عبد الله . قال جابر ، فقلت لانا لله وإننا إليه راجعون ، وأخرجنا الشويبة فبرك النبي ثم سمي الله تعالى وأكل وأكنا حتى أضدروا عنها وهم أمم ، وإن برمتنا لفظ كما هي وإن عجيننا ليخبز كما هو .

(٢) العديم الفقير .

(٣) السغب الجوع والأليم المؤلم .

(٤) الكطيم المكروب .

(٥) أم عامر الأشهبية ، أرسلت إلى النبي صلى الله عليه وسلم قصة فيها حنين وهو

في القبة عنده أم سلمة . فأكلت منها ما كفاها ، ثم خرج بها على المسلمين فذكروا منها جملة حتى نهلوا وهي كما هي والوسيم الجميل .

لا يُعجبنيّ بنى قريظة غدُرهم فحمد للفادرين عقاب
هب ابن أخطب فاستزلّ بكره كعباً ، وأمرُ الجاهلين عجاب^(١)
باللصحية إذ يمزقها ، أما ينهيه عن خطأ الغواة صواب ؟

* * *

خطر الفحول، فأين تذهب فتية مُدُّ السواعد والسيوف رطاب؟^(٢)
قال النبي دعوا القتال مُعشر بلغوا النصاب ، فلقتال نصاب
إن تذهبوا ناجين من غمراته فَكُمُ إليه مرجع ومآب
لن يُحرموا في الله أجر جهادكم إذ تعملون ويعمل الأصحاب
عنق المجاهد ليس يُعبط حقه سيّان سيف قاطع وتراب
الخدق الهيجا ، حتمت عيبتها والأمر جدُّ ، والخطوب صعاب

* * *

هاتيك خيل ابن الوليد وصعبه تدنو فتقطع تارة وتهاب^(٣)

باب من الهيجاء ، لم تر مثله فيما تُسدُّ وتُفتح الأبواب
ذُعر الفوارس في متون جيادهم لما تردّي الفارس الوثاب^(١)
نظروا، فكان لهم بمصرع نوفل خطب تطيش لهوله الألباب^(٢)

* * *

الجو مستعر يشبُّ أواره وبعبٌ فيه من الالهيب عُباب
جرت النبال به ، يذيب وطيسها بأس الألى لولا الرجاء لذابوا
ماذا لهم بعد الغرور وما لقوا في الحرب، إن كذب الرجاء وخابوا؟

* * *

دفعوا الجياد، وصاح عمرو صيحة هاج الهزبرها ، وماج الغاب^(٣)
شيخ قضى في الغالبين لنفسه فقضى عليه الأشوسُ الغلاب
يا عمرو خذها من على ضربة هي إن سألت عن الجحيم جواب

* * *

حَبَّان لا سلمت يداك ، ولا سقى أحياء قومك ما حيت سحاب^(٤)

(١) متون الجياد ظهورها تردى هلك .

(٢) هو نوفل بن عبد الله بن المغيرة . أُقبل على فرس له ليوثيه الخندق فوقع فيه فاندقت عنقه ، وقيل إنه رى بالمجاعة ، وأن علياً بن أبي طالب كرم الله وجهه ضربه بالسيف فشقه نصفين .

(٣) هو عمرو بن عبدود ، أُقبل في طائفة من المشركين أكرهوا خيولهم على اقتحام الخندق من مضيق كان به ، وكان عمرو شيخاً في التسعين من عمره ، وجعل ينادى مرة بعد أخرى : من يبارز ؟ ثم يوبخ المسلمين ويقول لهم : أين جنتكم التي ترعمون أن من قتل منكم دخلها وينشد .

ولقد بجحت من النداء ، بجمعكم : هل من مبارز ؟

إن الشجاعة في الفتى والجلود من خير الفرائز
فقام إليه علي بن أبي طالب وضربه بالسيف على جبل عاتقه فسقط قتيلًا ، وكبر المسلمون واهزبر الأسد .

(٤) هو حبان بن العرقعة رى سعد بن معاذ رضى الله عنه بسهم في أكله عرق في وسط الذراع ، وقد أمر النبي بوضعه في خيمة ربيعة الأسلمية ليهوده من قرب ، والعرقعة اسم جده حبان . سميت به لطيب عرقها .

(١) قال أبو سفيان لحني بن أخطب : إئت قومك حتى يتقصوا العهد الذي بينهم وبين محمد فذهب إلى كعب بن أسد القرظي سيد بني قريظة وولى عهدهم الذي عاهدهم الرسول الكريم عليه ، وأخذ يدي باب حصنه وهو لا يفتح له ، وألح عليه ، فقال له : ويحك يا حي . إنك رجل مشنوم ، وإني قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بيني وبينه ، ولم أر منه إلا وفاء وصدقاً ثم ألح عليه ففتح له . فقال له : ويحك يا كعب ، جئتك بمن الدهر ، جئتك بقريش حتى أنزلتهم بجميع الأسيال (مكان) وبطفان حتى أنزلتهم بجباب (أحد) قد عاهدوني ألا يبرحوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه . فقال كعب - جئني والله ببدل الدهر وبكل ما يخشى ، فإن لم أر في عهد إلا صدقاً ووفاء ، فلم يزل به حتى نقض العهد ومزق الصحيفة .

(٢) هم القلمان الذين أمر النبي بردمهم إلى أهاليهم والمذبح أملود وهو الرطب الناعم .

(٣) لما نظر المشركون إلى الخندق قالوا : والله إن هذه لمسكيدة ما كانت العرب تكيدها وصاروا يتناوبون ، ويفندو أبو سفيان وأصحابه يوماً . ويفندو خالد بن الوليد يوماً ، ويفندو عمرو بن العاص يوماً ، ويفندو هبيرة بن أب وهب يوماً ، ويفندو عكرمة ابن أبي جهل يوماً . فلا يزالون يجلبون خيابهم ، ويفندون مرة . ويجتمعون أخرى وبنواوشون المسلمين ، وكان الأمر في هذه الحركة لا يتعدى لرى بنبل والخصى .

أرسلته سهماً ، تضعجُ هوله
من ذارميت؟ رماك ربك بالتي
أخزيت أمك لا تُحدث بعدها
دم من جرح ، وإن جهلت مكانه
سعد العشرة والكتيبة حوله
الفرس المرجوُّ يقدم قومه
إن جدَّ جدُّ الضرب ، فهو مهتد

أم الكتاب وتفزع الأحقاب
تمهدُّ من صدماتها الأصلاب
عن طيب أمك هاهنا الأطياب
في القوم ، مسك ساطع وملاب^(١)
أسد العرين ، تزينها الأحساب
عند الوغى ، والسيد المنتاب^(٢)
أوجنَّ ليل الخطب ، فهو شهاب

* * *

أغرى عيينة وابن عوف مطمع
تركا أباسفيان في غفلاته
لم يبصر الذئبين حين تسللا
قالا - رضينا السلم ، يشبع قومنا
تمر المدينة إن أصبنا نصفه
ندع القتال ، وإن أبي حاتمؤن

يعيا بأيسر أمره الطلاب^(٣)
وكانما يُلقى عليه حجاب
ومن الرجال ثعالب وذئاب
تمراً ، وراضى السلم ليس يعاب
فلكم علينا ذمة وكتاب
فاشتدَّ لوم ، واستحزَّ عتاب^(٤)

(١) اللاب نوع من الطيب .

(٢) الذي يقصد في الكبير من الأمور ، أو للغير .

(٣) عيينة بن حصن القرظي ، جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم مستخفياً من أبي سفيان ومعه الخارث بن عوف المري ، وطباً منه أن يقضيهما نصف ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه ، فأبى عليهما إلا الثقت ، وبعت إلى سعد بن معاذ وسعد بن عباد ، فذكر لهما ذلك واستشارهما فيه . فقالا : يا رسول الله . أمراً نحب فنصنعه ، أم شيئاً أمرك الله به إلى آخره فقال - لو أمرني الله ما شاورتكما - فلا : إن كان لإعما هو الرأي فما هم عندنا إلا السيف - وقال سعد بن معاذ : قد كنا نحن وهؤلاء القوم (يعني غطفان) على الشرك بالله وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يظنمون أن يأكلوا منا ثمرة إلا قرى أو يبعأ ، ونحن أكرمنا الله بالإسلام ، وهادنا له ، وأغرنا بك وبه . تقضيهم أموالنا ؟ وق قول آخر - فعطى الدنيا ما لنا بهما من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يبعكم الله - قال له النبي : فأنت وذلك . وقال لعيينة وصاحبه : لارجعا ، بيننا وبينكم السيف .

(٤) استحز بمعنى اشتد .

لم الكريهة ، يُطعمون سمومها
ولنا طعام سائح وشراب

* * *

هاجا من السعدين سورة غضبة
هي للضراغم شيمة أوداب
أبنا اصطناع الرأي في وهج الوغى
لم تصطنعه قواضب وحراب
وتنازعا نظراً يهول ومنطقاً
يوهي القلوب الصم ، وهي صلاب
من هم؟؟ أيحمل أن يقال : تحكوا
فينا ، ونحن السادة الأقطاب ؟
نحى مدينتنا وتمنع نخلها
من أن يحوم على جناه ذباب

* * *

قال النبي بدا المعيب ، فارجعا
ولكل نفس موعد وحساب
النصر عند الله ، يجعله لنا
إن شاء ، وهو النعم الوهاب
صبراً على حرِّ القتال ، فإنه
خطب يزول ، وغمرة تنجاب

* * *

شغل القتال عن الصلاة ، وإيها
سكن لنا من ربنا وثواب^(١)
قم يا بلال مؤذناً لتقيمها
سكن القتال ، وزالت الأسباب
رباً ارمهم بالنار ملء بيوتهم
وقبورهم ، فلو اتقوك لتابوا^(٢)
وبيأسك انصرنا ، وزلزل جمعهم
ترل الهوم ، وتذهب الأوصاب

(١) استمر القتال بين الجيشين إلى الليل ، فلم يصل النبي ولا أحد من المسلمين صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء . فصاروا يقولون . ما صلينا ، فيقول صلوات الله وسلامه عليه ولا أنا ، ثم أمر بلال فأذن وصلوا .

(٢) ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال - ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم ناراً كما شغلونا عن الصلاة الوسطى ، ومن دعائه عليهم - اللهم تنزل الكتاب سريع الحساب ، اهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم وزلزلهم .

عباد بن بشر رضي الله عنه

كان عباد بن بشر رضي الله عنه لا يفارق قبة الرسول الكريم ساعة من الليل ، فهو يبني طائفةً حولها يحرسها من الأعداء ، وكان بالحنديق ثلثة يتفقدنها صلى الله عليه وسلم بالليل مرة بعد أخرى ويقول : ما أخشى أن يؤتى المسلمون إلا منها ، وقال مرة : ليت رجلاً صالحاً يحرس هذه الثلثة الليلة ، فسمع صوت السلاح . فقال : من هذا ؟ قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : أنا يا رسول الله جئت أحرسك . قال : عليك هذه الثلثة فأحرسها ، وطافت خيل المشركين بالحنديق . فبعث عباد بن بشر وأصحابه في وجوههم ، ورممهم المسلمون بالنبل فاقشعوا .

هو إن طمَّ على الأرض الأذى رحمة الأرض ، وحيا الأمم^(١)
وإذا ما أظلمت أرجاؤها فهو نور الله ماحي الظلم

ذهب الصحب كراماً ، ورموا بيد الله الأعز الأكرم
يذهب السهم سديداً راشداً فهو ملء العين أو ملء الفم
وهو في النحر قضاء آخذ نافذ في كل سد محكم

عادت الخيل سراعا وبها من جنود الله مثل اللمم^(٢)
وتولَّى الجند في زلزلة تصدع الفيلق ، إن لم تهدم

حارت الأحزاب : ماذا تنقوى وبين فيما دهاها تحتمى^(٣)
خذلتها في الوغى آلهة لو هوى الوادى بها لم تعلم
تطلب الغوث وما من سامع أى غوث يرتجى من صنم ؟
يا زعيم القوم أيقن واستفق إنه الحق الذى لم تزعم
يا زعيم القوم هل من نادم ؟ إنما يهلك من لم يندم
نهض القوم برأى مبصر ودهتكم عثرة الرأى العم
استفيقوا ، وانبدوا أربابكم أو فذوقوا البأس مرَّ المطعم
إنكم ممن كرهتم دينهم بين نأبى كل صلٍ أرقم^(٤)

من يتم عن لهدم أو مخذم فابن بشر ساهر لم يتم^(١)
بحرس القبة ما فيها سوى حارس الجيش وحامى العلم
هبَّ يدعو : يا ابن بشر خننى إنما الخيل أراها ترمى
كل لحم من جنودى ودم فهو لحمى يا ابن بشر ودى
خننى واذهب إلى القوم الألى قذفونا بالرعييل المقدم^(٢)
إمض في صحبك ، إني هاهنا فى حمى الله الأجل الأعظم
إحرسوا الخندق وارموا دونه لاتخافوا كل غاو مجرم
أدرِكوا سعدا وكونوا مثله إن رمى فى الله سهماً أو رُمى
حارس الثلثة ، يُلقى حولها لصخرة من عزمه لم تُثلم
أدرِكوه ، واهزموها قوة لن تنالوا النصر ما لم تُهزم
انصروا الله ، وصوتوا دينه إن خير الدين دين المسلم

(١) طم الأمر غلب وتفاقم .

(٢) اللمم الجنون أو طرف منه .

(٣) انتوى بمعنى قصد .

(٤) الصل الحية . والأرقم صفة لأخت الحيات وأطلبها للناس ، أو ما فيه يباس وسواد

منها ، أو هو الذكر خاصة .

(١) الهمزم الحاد الطامع من الأسته .

(٢) الرعييل القطعة من الخيل .

نَعِيمُ بْنُ مَسْعُودٍ الْأَشْجَعِيُّ وَجُنُودُ اللَّهِ

قدم نعيم بن مسعود الأشجعي على النبي صلى الله عليه وسلم فقال :
يا رسول الله إني أسلمت ، وإن قومي (غطفان) لم يعلموا بإسلامي . فرني
بما شئت : فقال له ، إنما أنت رجل واحد ، فخذل عنا ما استطعت ، فإن
أخرب خدعة ، وأجاز له أن يقول ما أراد ، فذهب إلى بني قريظة وكان
لهم نديماً ، فأخذهم بدهائه ، وقال لهم كالناصح الأمين ، لقد رأيتم ما وقع
لبي قينقاع وابني النضير من إجلالهم وأخذ أموالهم ، وإن قريشاً و غطفان
أيسوا مثلكم . البلد بلدكم ، وبها أموالكم ونساؤكم وأبناؤكم ، لا تقدرون
على أن ترحلوا منه إلى غيره ، فإن رأي هؤلاء نهزة أصابوها ، وإن كان
غير ذلك لحنوا ببلادهم ، وخلصوا بينكم وبين محمد ولا طاقة لكم به ، فلا
تفعلوا معهم حتى تأخذوا رهناً من أشرفهم سبعين رجلاً يكونون بأيديكم :
قالوا ، أشرت بالرأي والنصح ، ودعوا له وشكروه . . . ثم ذهب إلى
أبي سفيان ومن معه من أشرف قريش فقال - قد عرقتم ودى لكم وفراق
لحمد ، ولأن ناصح لكم ، إن معشر يهود ندموا على ما صنعوا من قرض
عهدهم الذي أعطوه محمداً ، وقد أرسلوا إليه وأنا عندهم يقولون : حل
يرضيك أن تأخذ لك من قريش و غطفان سبعين رجلاً من أشرفهم تضرب
أعناقهم وترد جناحنا الذي كسرت إلى ديارهم ، ثم نكون معك على من بقي
منهم حتى نستأصلهم فقبل ذلك منهم . . . ثم ذهب نعيم إلى غطفان فقال :
إنكم أهلى وعشيري ، وأحب الناس لي ، ولا أراكم تهمونني : قالوا صدقت
ما أنت عندنا بمتهم ، فقال لهم مثل ما قال لقريش ، فلما كان ليلة السبت
أرسل أبو سفيان وروس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في
نفر منهم ، فقالوا لهم ، إنما لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر ،
فأعدوا للقتال حتى نأجز محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه . . . قالوا إن غداً
تسبت وقد علمتم ما أصاب الذين اعتدوا منا يوم السبت . ومع ذلك فإننا
لا نقائل معكم حتى تعطونا سبعين رجلاً رهناً - قالوا صدق والله نعيم .

اختلقت كلتهم وبعث الله عليهم ريحاً عاصفاً نقلت بيوتهم وكفأت
قصورهم ، وسفت عليهم التراب ، ورمتهم بالحصى ، وكانوا يسمعون في
أرجاء معسكرهم التكبير وقهقهة السلاح ، ومزق الله جمعهم فاقبلوا
خاسرين . يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فارسنة
عليهم ريحاً وجنوداً ثم تروها .

أقبل نعيم هداك ربك ساريا
جئت النبي فقلت ، إني مسلم
مرني بما أحببت في القوم الألى
قال: ارمهم بالرأى ، يصدع بأسهم
عد يا ابن مسعود إليهم راشداً
قال : استعنت بمن هداك بنوره
ومضى فهزّ بنى قريظة هزة
قال : اتبعوا يا قوم رأى نديمكم
أفما رأيتم ما أصاب محمد
جهلوا ، فعاجلهم بيأس عاصف
فدعوا قريشاً لا تظنوا أمرها
إن البلاد بلادكم ، فإذا اثنت
إن تأخذوا سبعين من أبطالهم

وأنى قريشاً في مخيلة ناصح
يا قوم إن بنى قريظة أحدثوا
قال المنبئ . إنهم ندموا على
بعثوا فقالوا يا محمد ما ترى

وكفى بربك ذى الجلالة هادياً^(١)
من أشجع لم يدرك قومي ما يبيا
كرهوا الرشاد أكن لأمرك واعيا
عنا ، ويتركه ضعيفاً واهيا
واصنع صنيعك آمراً أو ناهيا
ومحا بملكك الظلام الداجيا
يقتال راجفها الأشم الراسيا
إني محضتكم الوداد الصافيا
من قومكم لما أطاغوا الغاويا؟^(٢)
لم يبق منهم في الجزيرة ثاويا
من أسركم أما ولا متدانيا^(٣)
ومضى البلاء ، فلن تصيبوا واقيا
رهناً ، يكن حزمًا ورأيًا شافيا

بيدى الهوى ، ويذيع سرّاً خافياً^(٤)
أمراً طفتت له أعضى بنانيا
ما كان منهم ، إذ أجابوا الداعيا^(٥)
إن نحن أحسنًا؟ أتصبح راضيا؟

- (١) كان يجيء إلى النبي صلى الله عليه وسلم بالليل .
- (٢) حي بن أخطب .
- (٣) الأمم القريب .
- (٤) المخيلة هنا ما يظن ويتوهم .
- (٥) حي بن أخطب .

نعمى سيفوك من قریش مُثَلَّةٌ ونسوق من غطفان جمعاً راييا^(١)
من هؤلاء وهؤلاء نعمدهم سبعين تقتلهم جزاء وافيأ
وترد إخواننا إلى أوطانهم بعد الجلاء، وكان حكمتك ماضيا
كانوا على حدث الزمان جناحنا فتركت ناهضه كسيراً داميا

* * *

ومشى إلى غطفان ينبئهم بما سمعت قریش أو يزيد مُحاييا
أهلى منحت نصيحتى، وعشيرتى نبهت، أخشى أن يحل مصاييا

* * *

هفت الحواف بالنفوس، فزُزلت ومضت بها هوج الظنون سوافيا^(٢)
لم يُبق منها الأشجعى بمكره ودهائه غير الهواجس باقيا

* * *

جلس ابن حرب فى سراه رجاله هماً يطالعهم، وخطباً جاثيا
والرهنط من غطفان ينظر واجماً حيناً، ويهدر عاتباً أو لاحيا
لبشوا، يدير الرأى كل محرب منهم، فيالك حيرة هى ماهيا

* * *

بعشوا، فقالوا لليهود تأهبوا للحرب، نظوى شرها المتاديا
لم يبق من خفت ولا من حافر إلا سيصبح هالكا أو فانيا^(٣)
ظال المقام، ولا مقام لمعشر نزلوا من الأرض البعيدة الثانيا
أمست منازلهم بأرض عدوهم والموت يحظر رأحا أو غاديا

(١) الثلة الجماعة، وراييا زائدا.

(٢) من الهوج بفتحين وهو الطيش والتسرع. وهوج جمع أهوج وهو جاد.

(٣) المراد ذوات الخف والخافر من الإبل والميل ونحوها.

قالوا: أيوم السبت نبرز للوغى ولقد علمنا ما أصاب الباغيا؟
لسنا نقاتل، أو تؤدُّ وارهنكم إنا نرى الداء المكمم باديا
سبعين إن ختم قضينا أمرنا فيهم، ولن يجدوا هنالك فاديا

* * *

غضب ابن حرب ثم قال لقومه صدق ابن مسعود وخاب رجائيا
غدر اليهود وتلك من عاداتهم يا قوم، ما للغادرين وماليأ؟
ها كنت أحسب، والخطوب كثيرة أن الأحبة يصبحون أعاديا

* * *

هذا بناء القوم مال عموده فوهى، وأصبح ركنه متداعيا
هدم الإمام العبرى أساسه وسما بدين العبرية بانيا
شيخ السياسة ليس يبعث غارة أو يبعث الرأى المظفر غازيا
الله علمه. فليس كفته فن، وإن بهر العقول معانيا

* * *

الله أرسله عليهم عاصفاً متمرداً يدع الجبال نوازيا
شرس القوى. عجلان أهوج يرتى يزجى الفوائل مستبداً عاتيا
ما لامرى عهد يظن بمثله من بعد عاد رائياً أو راويا
قلب المنازل والبيوت فلم يدع إلا مصائب مثلاً ودواھيا
ألقى على القوم العذاب، فما يرى متزحزحاً عنهم، ولا متجافيا
الأرض واسعة الجوانب حولهم مامس منها عامراً أو خاليا^(١)

* * *

(١) كانت الريح تغلبهم وتضربهم بالحجارة وهم لا يتجاوز عسكرهم.

نزلت جنود الله رعباً بالماً
وأتى حذيفة في مدارع غيب
يتلمس الأخبار : ماذا عندهم ؟
جاء الرجال ، يدسُ فيهم نفسه
بيدَي معاوية وعمر بن أم مكتوم
لولا الرسول ودعوة منه مضت
بلغ البلاء بهم مداه ، فلم يجد
يدعو أبو سفيان يا قوم انظروا
فيم المقام ؟ كفى التعلل بالنبي
حسبي على ألم الرحيل وحسبكم
ثم اعتلى ظهر البعير ، وقال : سر
فأحتاج عكرمة وقال : أهكذا

ملاً القلوب ، فما برحن هوافياً^(١)
ألقى على الدنيا حجاباً ضافياً^(٢)
أفاق غاويهم ، فيصبح صاحبياً ؟
والخفُ يرقبه مخوقاً عادياً^(٣)
كلنا يديه موارباً ومداجياً
لنقى الأسنه والسيوف مواضياً
منهم سوى شاك يطارح شاكياً
إنا وجدنا الأمر صعباً قاسياً
هبوا ، فإنى قد مللت مقامياً
أن يرجع الجيش العرمرم ناجياً^(٤)
لا كان ذا الوادى المروع وادياً
بين الزعيم ألا تقيم ليالياً ؟^(٥)

(١) أرسل الله الملائكة في هذه الغزوة ففقدت الرعب في قلوب المشركين وهوافياً من هفا القلب إذا ذهب في أثر الشيء والنقصود ذهل .

(٢) حذيفة بن اليمان رضى الله عنه ، دعاه الرسول الكريم ليأتيه بأخبار القوم وقال له إذهب حفظك الله من أمامك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك حتى ترجع إلينا .

قال حذيفة : فجئت إليهم ودخلت في غمارهم ، فسمعت أبا سفيان يقول : يا معشر قريش ، ليعرف كل امرئ منكم جلسه ، واحذروا الجواسيس والعيون ، فأخذت بيد جليسى الذى على يميني ، وقلت من أنت ؟ قال : معاوية بن أبي سفيان ، وقبضت يد من على يساري . وقلت من أنت ؟ قال : عمرو بن العاص ، - فعلت ذلك خشية أن يفظن بي ، فقال أبو سفيان يا معشر قريش إنكم والله لستم بدار مقام ، ولقد هلك الكراع والخف ، وأخلفنا بنو قريظة وبقينا عنهم الذى نكره ، ولقينا من هذه الريح ما ترون . فارتحلوا فإنى مرتحل ، ووثب على جمه . . والنهب الظلمة الشديدة .

(٣) الخف - الموت .

(٤) الجيش العرمرم الكثير .

(٥) عكرمة بن أبي جهل ، قال لأبي سفيان ، إنك رأس التوم وقائدهم : تذهب وتترك الناس ؟ فاستجيب أبو سفيان واناخ جمه ، وأخذ بزمامه وهو يقوده ، وقال للناس : إرحلوا فعملوا يرحلون .

انزل ، وسرفى القوم سيرة ماجد
نزل الزعيم يجرُّ حبل بعيره
ويقول : سيروا مسرعين وراثياً

ساروا وقال ابن الوليد أماننا
إن كنت صاحب نجدة فأقم معي
أبياً الرحيل حمية فتخلفا
ثم استبد بهم قضاء غالب

يا عمرو أن تلقى الليوث ضوارياً ؟^(١)
وليبق من رزقوا النفوس أوأبياً
وأباه قوم يتقون الزارياً
فمضوا ، وأدير جمعهم مترامياً

ومضى حذيفة بالبشارة يتنقى
وإفاه في حرم الصلاة وقدسها
حتى قضاها سمحة مقبولة
ركعات ميمون النقبية مشرق

عند النبي بها الحلّ العالياً^(٢)
والنور نور الله يسطع زاهياً
متهجداً ، يتلو الكتاب مناجياً
ترد السماء أهلة ودرارياً

سمع الحديث ، فراح يحمد ربه
فرحاً ، ويشكر فضله المتواالياً

إن يجمع القوم الجنود ، فإنما
جمعوا لأغوال يطول غليلها
من كل مقتحم ، سواء عنده
ورد المنية شارباً أو ساقياً

جمعوا مزاعم تفتري ودعوايا
تأتما تحامها النون تحامياً
عنده

سر في عبيدك يا ابن حرب إنما
لاقيت منهم سادة ومواليا

(١) أقام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص في مائتي فارس بعد مسير أبي سفيان وعسكره ثم لحقوا بهم .
(٢) رجم حذيفة بن اليمان إلى الرسول الكريم وهو يصلى ، فلما قضيت الصلاة نبأه بما كان من أمره وأمر المشركين فضحك حتى بدت ثناياه ثم حمد الله وشكره .

غزوة بني قريظة

كانت هذه الغزوة يوم رجم المسلمون من غزوة الخندق ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بلالا رضى الله عنه فأذن في الناس بالقتال ، وبعث منادياً يقول : يا خيل الله أركبي ، ثم سار إلى بني قريظة في ثلاثة آلاف مقاتل ، وكانت الزاية في يد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .
وجأ اليهود إلى حصنهم فحوصروا فيه خساً وعشرين ليلة - على أصح الروايات - .

ونصح كعب بن أسد كبير اليهود لقومه وعمرو بن سعدى . فلم يقبلوا وضاق بهم الأمر . فبعثوا إلى النبي يطلبون أن يرسل إليهم أبا إبابة - من الأوس حلفائهم - فلما جاءهم قالوا : تحقن دماؤنا ، وتأخذ ما تحمل الجبال إلا الخاتمة السلاح وعرض ذلك على النبي فأبى ، وطلبوه ثانية ونزلوا عن الأموال والخلفة فأبى ، ثم نزلوا على حكمه صلى الله عليه وسلم . وحكم سعد ابن معاذ رضى الله عنه ، فأمر بهم فكفوا ، وبالنساء والذراري فجعلوا ناحية ، وقتل حي بن أخطب في من قتل منهم .

ترامى الجيش ، واندفع الرعيل فقل لبني قريظة ما السبيل؟^(١)
سلوا كعباً وصاحبه حياً نزيل الشؤم هل صدق النزيل؟^(٢)
أطعمتم أمره ، فتلقفتكم من الأحداث داهية أكل
وكان دليلكم ، فحفي عليكم وقد ينجي على القوم الدليل
دليل السوء ، لا عقل حصيف يسده ، ولا رأى أصيل
تفرقت الجموع وأدركتكم جنود الله يقدمها الرسول^(٣)
جهتم ما وراء الغدر حتى رأيتم كيف يتعظ الجويل

(١) الرعيل مقدمة الخيل أو لقطعة القليلة منه تقدر بالعشرين أو الخمسة والعشرين .
(٢) إشارة إلى ما كان من أمر حي بن أخطب مع كعب بن أسد حين ذهب إليه وحمله على نقض المعهود وتزييق الصحيفة راجع غزوة الخندق وإلى أنه معه في الحصن وفي بعده .
(٣) الذين جاءوا خرب النبي في غزوة الخندق .

لن تبلغ النصر المروم ، ولن ترى
ذهبت لطيتها الكتاب حياً
بئس الكتاب ، عويت فيه ولن ترى
ورفعت للأصنام فيه لواءها
أتميتها أن لم تكن عربية؟
أنكرت حسن الفارسية غيرة
زدها من الوصف البديع ، وغننا
ماذا أصابك من كتاب محمد
أفما صعقت له ، وبت بليلة
إنهض أباسفيان نهضة مهتد
إلا ظي مهزومة وعوالي^(١)
وذهبت تبعث بالكتاب مُناويا^(٢)
ضرغامة الوادي يخاف العاويا^(٣)
وهي التي تركت لواءك هاويا
أفما رأيت جمالها المتناهايا؟
وحسدتها ، فجعلت نفسك واشيا
لله درك يا ابن حرب شاديا
لا تُخف مابك إن أردت مواسيا^(٤)
تسرى أراقها ، فتعبي الراقيا؟^(٥)
أفما تزال القاعد المتوانيا؟

(١) لضي السيوف ونحوها ارماع .

(٢) الضية الشية والمقصد والنزل التنوي .

(٣) أرسل أبو سفيان كتاباً إلى النبي يقول فيه : بسمك اللهم فإني أحلف باللات والعزى وأساف ، ونائلة ، وهبل . لقد سرت إليك في جمع وأنا أريد أن لا أعود إليك أبداً حتى أستأصلكم ، فرأيتك قد كرهت لقاءنا ، واعتصمت بمكيدة الخندق ما كانت العرب تعرفها ، وإنما تعرف ظل رماحها ، وشبا سيوفها ، وما فعلت هذا إلا فراراً من سيوفنا ولقائنا ، ولك مني كيوم أحد .

(٤) أجابه النبي بكتاب قال فيه : أما بعد فقد أتاني كتابك ، وقديماً غرك بالله الفرور ، أما ما ذكرت أنك سرت إلينا وأنت لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا ، فذلك أمر يحول الله بينك وبينه ، ويجعل لنا العاقبة . وليأتين عليك يوم أكسر فيه اللات والعزى وأسافاً ونائلة وهبل .

(٥) الأراقم جمع أرقم وهو أخبث الحيات أو ما فيه بياض وسواد .

ألم تروا اللواء مشى إليكم
حذار بني قريظة من على
وما يجديكم الهذيان شيئاً
وما لبني القروذ سوى المواضي
به وبسيفه البطل المهول؟
ولا يفرركم الأطم الطويل^(١)
وهل يجدي المُخَبِّل ما يقول؟
يكون لها بأرضهم صليل^(٢)

* * *

تواروا كالنساء محجَّبات
خلا الميدان ، لا بطل ينادى
أقاموا مُحَجَّرِينَ على هوان
يرتق عيشهم جوع وخوف
يبيت الهم منتشراً عليهم
ياقهم السهاد ، فلا رقاد
يخاف النوم أكثرهم سهاداً
إذا مالت به سِنَّة تنزى
تطوف بهم منايهم ظنوناً
حمتها في المقاصير البعول
ألا بطل؟ ولا فرس يحول
أقام ، فما يريم ولا يحول^(٣)
كلا الخطبين أيسره جليل^(٤)
إذا انتشرت من الليل السدول^(٥)
يطيب لهم ، ولا صبر جميل
كأن النوم في عينيه غول
يظن جوانب الدنيا تميل^(٦)
توهج في مخالبتها النصول

(١) الأطم الحصن .

(٢) إشارة إلى قول الرسول الكريم لهم وقدنا من حصنهم - يا إخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقته؟ ، فإن علياً كرم الله وجهه أقبل على الحصن في جماعة من المهاجرين والأنصار ، وبرز اللواء عند أصله . فسمع من بني قريظة كلاماً بذيلاً في رسول الله وأزواجه ، ثم رآه مقبلاً فأوصى أبا قتادة الأنصاري رضى الله عنه أن يلزم اللواء وخف إليه فقال : يا رسول الله لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخاب ، قال : لعلك سمعت منهم لى أذى قال نعم فدنا من الحصن وقال لهم : يا إخوان القردة . . .

(٣) أحجره غطاءه وستره ، كناية عن بقائهم في الحصن رام مكانه زال عنه وفرقه .

(٤) يرتق بمعنى يكدر .

(٥) جمع سدول وهو الستر .

(٦) تنزى توثب وتسرع .

بهم وبحصنهم مما دهام
وحاق بهم جنون أو ذهول

* * *

يقول كبيرهم يا قوم ماذا
أليس محمد من قد علمتم
رسول الله ما عنه صدوف
أبعد العلم شك؟ بل ضلتم
هلموا نتبعه ، فإن أيتم
نضحي بالنساء وبالذراري
بأيدينا السيوف مسالات
فإلا تفعلوا فاتقوم منا
لهم منا غداً بالسبت أمن
هلموا بالقواضب إن أردتم
ترون؟ أهكذا تعمى العقول؟^(١)
فما الخَبَل المملح ، وما الغفول؟^(٢)
من يعنى النجاة ، ولا عدول
على علم ، وذلكم الغول^(٣)
فليس لنا سوى الأخرى بدليل
ونخرج ، والدم الجارى يسيل
نصون بها الذمار إذا نصول
بمنزلة تنال بها الذحول^(٤)
فإن تك غرة شفي الغليل
فما يعنى التردد والنكول

(١) كعب بن أسد ، قال لهم - يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون ولانى عارض عليكم خلا ثلاثنا ، أيها شتمت فذاك قالوا . وما هي؟ قال تابع هذا الرجل ونصده ، فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل ، وأنه الذي تجدونه في كتابكم ، فتأمنون على دمائكم وأموالكم ونسائكم وأبنائكم ، وما منعنا من الدخول معه إلا الحسد للعرب ، حيث لم يكن من بني إسرائيل ، واقد كنت كارهاً لنقض العهد ، ولم يكن البلاء والشؤم إلا من هذا الجالس (يعنى حبي بن أخطب) أنذركون ما قال ابن خراش حين قدم عليكم ، أنه يخرج بهذه القرية نبي فاتبعوه وكونوا له أنصاراً فتسكوتوا قد أمتم بالكتابين . الأول والآخر - قالوا : لا نفارق حكم التوراة أبداً ولا نستبدل به غيره : قال : فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين السيوف فإن تهلك تهلك ولم نترك وراءنا ثقلاً ، وإن نظفر فلعمري لنجدن النساء والأبناء . . . قالوا : نقتل هؤلاء المساكين ، فما خير العيش بعدهم؟ قال - إن الليلة ليلة السبت . وأن عسى أن يكون محمد وأصحابه قد آمنوا فيها ، فنزلوا لعلنا نصيب منهم غرة ، فقالوا فصد سبتنا وأبوا .

(٢) الغفول بمعنى الغفلة .

(٣) الغول - الحياطة .

(٤) الذحول جمع ذحل والتدحل التآثر .

عصوه ، وراضهم عمرو بن سعدى
أبوها جزية ثقلت عليهم
ففرقتهم على سخط وضغن
نهابهم قبل ذلك أن يخونوا
فما اجْتَنِبَ الجُمُوحَ ولا الجُفُولَ^(١)
وقالوا : بسما يرضى الذليل
وراح يقول : لانعم القبيلى
فكان الغدر والداء الويل

* * *

توالى الشر عبثاً بعد عبء
دَعَوْا يستصرخون : ألا دواء
لعل أبا لبابة إن ظفرنا
وأرسله النبي نجانفوه
لكم منا السلاح إذا أردتم
وعاد ، فراجعوه على اضطرار
إليك أبا لبابة ما منعنا
خذوه مع السلاح ، وأطلقونا
فقال : دماؤكم لا بد منها
أجب يا كعب إن الأمر حتم
وما من معشر يا كعب إلا
فهذه قواهم العبء الثقيل
فقد أشفى على الموت العليل ؟
بتقدمه لعثرنا مقيلاً^(٢)
وقالوا : لا يصاب لنا قتيل
وتنطلق الركائب والمحول
وهان عليهم المال الجزيل
وشرُّ المال مامع البخيل
فحسب محمد منا الرحيل
وذلك حكمه ، فمتى القبول ؟
فماذا بعد إلا المستحيل
على حكم النبي لهم نزول

(١) قال لهم عمرو بن سعدى : خالفتم محمداً ولم أشرككم في غدركم ، فإن أبيتم أن تدخلوا
معه فابتوا على اليهودية ، وأعضوا الجزية . فأبوا ، وغضب فقال - إنى يرى منكم ، ثم
فارقهم ولم يعد إليهم .

الجفول النفور من كل شيء .
(٢) لما جاءهم أبو لبابة رضى الله عنه واسمه (رفاعه بن المنذر) قام إليه الرجال وأسرع
النساء والأطفال يبكون في وجهه ، وقالوا يا أبا لبابة أترى أن نزل على حكم محمد (أن
لا تحن دماؤهم وأن لا تترك لهم نساؤهم وأبناؤهم) قال - نعم ، فأبوا وقالوا : نترك السلاح
ونجلبو ، فلم يقبل النبي ، وعادوا فقالوا نترك السلاح والمال ، فكذلك .

نصحت لكم ، وما للقوم عذر
إذا نصح الخليف أو الخليل

* * *

هَوُوا من حصنهم ، وكذلك تهوى
وجاءوا ضارعين ، لهم خوار
بيثُ الوجْدِ مبتئس حزين
قضاء الله من قتل وسبى
وتهبط من معاقبها الوعول^(١)
يجابوه بكاء أو عويل
وتذرى الدمع والهة ثكول
مضى ، والبغى دولته تدول

* * *

يقول الأوس إن القوم منا
موالينا ، إذا خَطَبُ عنانهم
وهم حلفائونا ، نحنو عليهم
أقتلهم بأيدينا ؟ ؟ فغفواً
فقال : جعلت أمر القوم طراً
وجيء به ، يقول له ذووه
فقال : دعوا للججاج فان سعداً
على عهد ، وقد طمست السيول^(٢)
عنانا ما يشقُّ وما يعول
ونحذب إن جفا الحديب الوصول
رسول الله إن أثم الضلول
إلى سعد فتعم هو الوكيل
ترفق ، إنك المولى النبيل^(٣)
بنصرة ربه الأعلى كفيل

(١) نزلوا على حكمه صلى الله عليه وسلم فبرزوا من الحصن . وجاءوه أذلاء ضارعين .
فأمر بهم فكفوا ، وأخرج النساء والذراري فجعلوا ناحية - الوعول جمع وعل . وهو النيس .
الجبل أو ذكر الأروى .

(٢) توائبت الأوس وقالوا يارسول الله . موالينا وحلفائونا ، وقد لغت في موالى اخواننا
بالأمس ما قد فعلت يعنون بنى قينقاع حلفاء المزرج وقد كلمه فيهم عبد الله بن أبي بن سلول ،
فوهبهم له على أن يجلبوا - فقال : أما يرضيكم يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا :
بلى - فقال : فذلك إلى سعد بن معاذ .

(٣) بعث النبي إلى سعد بن معاذ وكان في خيمة ربيعة الأسلمية فحمله بعض قومه على
حمار وهم يقولون له : يا أبا عمرو أحسن في مواليك . فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ولاك
ذلك لتحسن فيهم ، فقد رأيت ابن أبي وما صنع في حلفائه - كانوا يقولون ذلك له وهو
ساكت فلما أكثروا عليه قال رضى الله عنه : لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لأثم .
فصاح بعضهم : وقوماه .

فصاح يقول : واقوماه منهم رجال عزمهم واه كليـل^(١)
 أتى ، فأقرَّ حكم الله فيهم وآل الأمر أحسن ما يؤول^(٢)
 عليٌّ والزبير لكل غضب صقيل منهما غضب صقيل^(٣)
 هما استبقا نفوس القوم نهياً وروح الله بينهما رسـيل^(٤)

* * *

تقدم يا حيُّ فلا يحيص وردُّ يا كعب ماورد الزميل^(٥)
 لكل من شقاء الجدِّ ورد وسجل من منيته سـجيل^(٦)
 أصابكم من الأقدار رام هوى بكما ، فشأنكما ضليل
 لبئس السيدان لشر قوم هم البرحاء والداء الدخيـل^(٧)
 منابت فتنة خبت وساءت فلم تطب الفروع ولا الأصول
 قلوب من سواد القوم عمى وألباب من الزعماء حول
 أضلُّهم الغياء ، فهم كثير وعمهم البلاء ، فهم قليل

* * *

(١) واه كليـل : بمعنى ضعيف .
 (٢) جاء سعد فتنازلني قريظة : آترضون بحكمي ؟ قالوا نعم - قال : فإنني أحكم فيكم أن تقتل الرجال ، وتغنم الأموال . وتسي الذراري والنساء .
 (٣) كان الذي تولى قتلهم علي بن أبي طالب والزبير بن العوام . رضي الله عنهما .
 (٤) الرسيل المرسل ، والمواقف في النضال وغيره .
 (٥) جرى بجي بن أخضب مجموعة يداه إلى عنقه بجبل . فقال له النبي : ألم تمكن الله منك يا عدو الله ؟ قال بلى ، أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ، ولكن من يخذل الله يخذل ، ثم أقبل على الناس فقال : أيها الناس إنه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر ، وملحمة كتبها الله على بني إسرائيل ، ثم جلس فضربت عنقه . أما كعب بن أسد فقال له بعض قومه : يا كعب ما تراه يصنع بنا ؟ قال : في كل موضع لا تعقلون ، أما ترون أن من ذهب منكم لا يرجع ؟ هو والله القتل . - قد دعوتكم إلى غير هذا فأبىتم علي ، قالوا : ليس حين عتاب .
 (٦) السجل الدلو . وسجيل بمعنى عظيم ، ولا يقال له سجل إلا إذا كان ممتكناً ،
 والجد الخط .
 (٧) البرحاء الأذى الشديد .

تحفظهم هريت الشدق صار له من محكم التنزيل غيل^(١)
 فأنجت النساء ولا الذراري ولا سلم الشباب ولا الكهول
 تهلت المنازل والمغاني وأشرقت المزارع والحقول
 وبات الحصن مبهجاً ، عليه لآل محمد ظل ظليل

* * *

لعمر المالكين لقد تأذى تراب في حفائرهم مهيـل^(٢)
 طوى رجساً تكاد الأرض منه تمور بمن عليها أو تزول^(٣)
 يساق السبي ، شردمةً بنجد وأخرى بالشام لها أليل^(٤)
 جلائب ، لا أب في السوق يحمي ولا ولد يذب ، ولا حليل^(٥)
 تجر على الموان ، ولا مغيث بأرض ما تجرَّ بها الذبول
 أصاب المسلمون بها سلاحاً وخيلاً في قوائمها الحجول
 مكرمة ، تُعدُّ لكل يوم كريم الذكر ، ليس له مثيل
 إذا ذكرت مناقبه الفوالى تعالت أمة ، واعتزَّ جيل
 مناقب ما يزال لها طلوع إذا الأفق أدركها الأفول
 لها من نابه الأدب انبعاث فما يخفى زواهرها الخول
 ضمنت لها البقاء وإن عنقني من الدهر العوائق والشغول
 وما تغني الخزائم حين تُلوَى إذا انطلقت لحاجتها الفحول

(١) واسع الشدق . من صفات الأسد ، والمراد به النبي صلى الله عليه وسلم .
 (٢) أمر النبي فحفرت الحفائر ، ثم أتى قتلى بني قريظة فيها وهيل عليهم التراب .
 (٣) تمور تضطرب .
 (٤) بعث النبي سعد بن زيد الأنصاري ببعض سبائ بني قريظة إلى نجد ، وسعد بن عباد .
 بعض منها إلى المشاهم لبتاعا بها خيلاً وسلاحاً - الأليل الأتني ، ورفع الصوت بالصراخ عند المصيبة .
 (٥) جلائب مسوقات يذب يدفع .

ثابت بن قيس رضي الله عنه والزبير بن ساطا

كان الزبير بن باطا (بزاي مفتوحة ، وقيل مضمونة) شيخاً من بني قريظة من على ثابت بن قيس في الجاهلية يوم بعثت حرب بين الأوس والخزرج كان الظفر فيها للأولين أخذه فخرنا صيته ، ثم خلى سبيله .
سأل ثابتاً رضى الله عنه أن يشفع له لدى النبي صلى الله عليه وسلم لينجو من القتل ، فجاءه وذكر له ما كان من أمره معه ، وقال : يا رسول الله لأنها يد أحفظها له ، وأحب أن أجزيه بها ، فقال : هو لك ، وعاد فأخبر الزبير فقال : شيخ كبير لا أهل له ولا ولد ، فما يصنع بالحياة ؟ ورجع ثابت فسكلم النبي في أهله وولده . فقال : هم لك ، وأخبر الشيخ فقال أهل بيت بالحجاز لا مال لهم ، فما بقاؤهم على ذلك ؟ ؟ وشفع ثابت في ماله ، فقال له الرسول الكريم : هو لك .

قال اليهودى : أما أنت فقد قضيت ما عليك . فإذا فعل بالذي كان وجهه امرأة مضيئة ، ترا آى منها عذارى الحى يعنى كعب بن أسد سيد بني قريظة قال ثابت . قتل ، قال ، فافعل بسيد الحاضر والبادى من يحملهم في الجذب . ويضعهم في المحل . حى بن أخطب ؟ قال . قتل . ثم سأله عن آخرين من سادات قومه . فقال ، قتلوا ، قال أسألك يا ثابت أن تلحقني بالقوم ، فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير ، أ أرجع إلى دار قد كانوا فيها حلولا فأخلد فيها ؟ ؟
قال ثابت : ما كنت لأقتلك ، وقدمه إلى الزبير بن العوام رضى الله عنه فقتله .

كذلك يشقى الجامع المتعسف
يموت بسوء الرأي من ساء خلقه
أضاع الزبير الأمر والأمر مقبل
سعى ثابت يحزبه سالف صنعه
فقال رسول الله جنتك شافعاً
حبانى دى يوم البعث وفكفى
ففيه رسول الله لى إننى به
ويركب متن الظلم من ليس ينصف
والهراء ذى التقوى عن الغى مصرف
وآثر حد السيف ، والسيف يصدف
لدى محسن بسدى الجميل ويعطف
لشيخ دعانى ضارعا يتألف
وتلك يد بيضاء للشيخ تُعرف
على ماترى من شأنه مكاف

تخلدها مصونات حسان
صفايا الشعر ، لا خلق زرى
لعل الله يجعلها ربيعا
فوا أسفا ، أتطمعنى القوافى
وواحربا ، أما يُرحى فكاك
حرائر ، مالهأ أبداً مُذيل
يخالطها ، ولا أدب هزيل
لألباب أضراً بها المحول
فيخلف مطمع ، ويحيب سول ؟
لأسرى ماتفارقها الكبول ؟ (١)

(١) يقصد أهم الاسلاية المغلوبة على أمرها في أيامنا هذه .

سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي خِيْمَةِ رَفِيْدَةِ الْأَسْلَمِيَّةِ

نا رى حيان بن العرقه سعد بن معاذ رضى الله عنه في غزوة الخندق
بسم في أكمله أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يوضع في خيمة رفيدة الأسديّة
رضى الله عنها ، وكانت في جانب من مسجده ليهوده من قرب ، فلما عاد
إليها بعد أن أمضى رأيه في بني قريظة انفجر جرحه ، فاذا الذين في المسجد
يروون الدم يسيل إليهم - وله هدير من خيمة زوج رفيدة ، وهو من (بنى
غفار) فسألوا فقيل لهم : إنه سعد بن معاذ انفجرت جراحته فات - وقد
كان سأل الله حين أصابه ذلك السهم أن لا يميته حتى يشق صدره من بنى
قريظة وقد شفاه .

هدأ الخيم ، واطمأن المضعج وأبى الهدوء الصارخ المتوجع
الحق جنبٌ بالجراحة مثنج وحشاشة تهفو وقلب يفرغ^(١)
يا سعد خطبك عند كل موحد خطب يحيى به الزمان ويرجع
السهم حيث تراه ، لا آلامه تُرجى عواقبها ، ولا هو ينزع
ما أنت حيث يكون - سيد قومه أين الولائد والفتاء الأوسع؟^(٢)
لك من رُفيدة خيمة في مسجد للمعشر الجفلى تقام وترفع^(٣)
بل تلك منزلة الصقي ، بلغتها فوق الرجاء ، وصحّ منك المطمع
حدب الرسول عليك ، يكره أن يرى مثواك مطرّح الجوار ويجزع^(٤)
جار الرسول وما بليت بحاسد الخير والرضوان عندك أجمع

يقال : فعلنا ، ثم عاد شفيعه يبشره بالعمو ، والشيخ يرجف
فجدّ له في المحسن السمح مطمع وقال : حياة شرها ليس يوصف
بني وأهلى ليس لى إن فقدتهم سوى الموت ، إنى عن حياتى لأعزف
فلمّا تسنى الأمر قال لثابت أنبى بلامال ، فنشقى وتلف ؟
وجاد رسول الله بالمال رحمة ويُطرى سجايام ، فيغلو ويسرف
يسائل عن كعب وسادات قومه وقال : أريد الموت ، فالعيش أخوف
توجّع لما قيل : ذاقوا حمامهم هم الصعب ، مالى بعدهم متخلف
خذا السيف واضرب يا ابن قيس فإنهم ديار بهم كانت تُحبُّ وتولف
أرحنى أرحنى يا ابن قيس بضربة تبيت لها نفسى ترف وتنطف
تزودت من نأى الأحبة غلة فهل أنت للصادى المذب مسعف ؟
فقال : معاذ الله ، لست بفاعل ومثلى يأبى ما تريد ويأنف
وجاء به يلقي الزبير على أسى يفالبه ، والموت بالشيخ يهتف
وقال : اسقه رى الغليل من الردى فطاح به ماضى الفرارين مرهف^(١)
فيالك من رأى سفية ومركب كربه ، وخطب فادح ليس يكشف
قضى ثابت حق الرومة وإفيا وبرّ رسول الله والبرّ مجحف
ولكن شيخ السوء أهلك نفسه وذو الجهل يرمى من يديه ويقذف

(١) أثنته الجراحة أو هنته وأعجزت قواه .

(٢) جمع وليدة وهى الصبية والأمة ، أو التى تستوصف قبل أن تحلم .

(٣) الجفلى جماعة الناس وطامهم .

(٤) حدب بمعنى عطف .

قال : اجعلوا البطل المنوّه باسمه
وأعوذُهُ ما شئتُ ، أفضى حقه
حسب المجاهد أن يكون بمسجدي
مَنى على كُتُب ، أراه وأسمع^(١)
وأرى قضاء الله : ماذا يصنع ؟
فَلَدَلِك الحرم الأعزُّ الأَمع

* * *

الله خصمك يا ابن قيس إنه
لا أخطأتك من الجحيم وحرها
سهم أصيب به التقى الأروع^(٢)
مشبو به فيها تدع وتُدفع^(٣)

* * *

نن الدم الجاري ، يظل هديره
أفما ترون بني غفار أنه
ماذا يسعد يارقيدة خبري
يا حسرتا : هو جرحه يجرى دمًا
حضرت منيته ، وحُمّ قضاؤه
ملء السامع دائماً ما يُقلع ؟
من عند خيمتكم فيفيض وينبع ؟
إن القلوب من الجنوب تطّلع ؟
بعد الشفاء ، ونفسه تتمزع
ولكل نفس يومها والمصرع

* * *

ضجّ النعاة ، فهزّ يثرب وجدها
ركن من الإسلام ، زال وما انتهى
خطب أصاب المسلمين ، فذاهل
وهفا بمكة شجوها المتنوع^(٤)
بأنه ، ذلك المهيم المفظع
ما يستفيق ، وجازع يتفجع

* * *

صبراً رسول الله إن تك شدة
أنت المعلم لا شريعة للهدى
نزلت ، فإنك للأشدُّ الأضلع
إلا تُسنّ على يديك وتشرع

(١) على كتب على قرب .

(٢) هو ابن العرقه .

(٣) دعه دفعه دفماً عنيفاً .

(٤) الوجد الألم والشجو الحزن .

تمضى على المثلى ، وكل يقتفى
أنفم الصلاة على الشهيد وسر به
يتشون حول سريره عدد الحصى
تمشى بأطراف الأصابع ، تتقى
العرش مهتز الجوانب ، يحتفى
وتجىء بالفضلى ، وكل يتبع
في ظل ربك ، والملائك خُشع^(١)
فالأرض ما فيها لرجلك موضع
ولقد تكون وما توفى الإصبع
والله يضحك ، والسما ترجع^(٢)

* * *

يا ناهضاً بالدين ، يحمل عباه
إهناً بها حلالا حملت حسناتها
هذا مكانك ، لا العطاء مقتر
لك يوم بدر عند ربك مشهد
نصير النبي به على أعداه
واللبأس بعثر ، والسوابق تظلع
نوراً على نور يضيء ويسطع^(٣)
عند الإله ، ولا الجزاء مُضَيِّع
هو للهدى والحق عرس مُتمتع
والجو يُظلم ، والمنيايا تلمع

(١) ورد في خبر وفاته رضى الله عنه أن سبعين ألفاً من الملائكة نزلوا لتشيعه إلى قبره
هوان شأنه في ذلك كان كعثان نعلية بن عبد الرحمن الأنصاري رضى الله عنه ، فإن النبي صلى الله
عليه وسلم سئل بعد دفنه : لم كان يمشى على أطراف أنامله وهو يشيم جنازته فقال :
والذي بعثني بالحق ما قدرت أن أضع قدمي من كثرة ما نزل من الملائكة لتشيعه .

وعن سلمة بن أسلم بن جريش رضى الله عنه ، قال - دخل رسول الله صلى الله عليه
وسلم وما في البيت أحد إلا سعد مسجى - فرأيتُه يتخطى - وأوما إلى قف . فوقفت ورددت
من ورائي ، وجلس ساعة ثم خرج فقالت يارسول الله ما رأيت أحداً ورأيتك تتخطى فقال :
ما قدرت على مجلس حتى قبض لى ملك من الملائكة أحد جناحيه .

(٢) تواترت الروايات باهتزاز العرش لموته ، وهذا لفرح الملائكة بقدوم روحه ولما
حمل على نعشه جعلت أمه تبكي فقال لها النبي - ليرقاً دمعك ، ويذهب حزنك . فإن ابنك
يضحك الله له - قال صاحب السيرة : وهذا كناية عن إقبال الله تعالى عليه بالروح والريحان
والمنفرة والرضوان ، ورجع الرجل ، قال ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، وردد صوته في حلقه ،
والمؤذن أتى بكل من الشهادتين مرتين خافضاً صوته ، ومرتين رافعاً لياه .

(٣) أهديت إلى النبي حلة من الحرير فجعل أصحابه يمسونها ويعجبون من لينها فقال لهم
أتعجبون من لين هذه الحلة ، والذي نفس محمد بيده لتبادل سعد في الجنة خير منها وألين .

رفيدة الأسلمية رضي الله عنها

أقامت هذه السيدة الفاضلة خيمة مداواة جرحى المسلمين الذين ليس لهم من أهلهم وذوي قرابتهم من يقوم عليهم ، ويتولى أمورهم ، وكانت هذه الخيمة المباركة في ناحية من مسجد الرسول الكريم بالمدينة .

رفيدة علمى الناس الخنا
خذى الجرحى إليك فأكرمهم
وإن جمع النيام ، فلا تنامى
أعيني الساهرين على كلوم
هم الأهلون ، ما عرفوا أنيساً
حبائك الله من تقواه قلباً
رفعت لأسلم ذكراً جليلاً
ضيوف الله عندك في محل
فيالك خيمة لابر فيها
جلال الله ألقاه عليها
نسيج من شعاع الحق بدع
تقل بدائع النجاج عنه
وما يجد الأديب الفرد وصفاً
له في الذهن ترجمة ومعنى

وزيدى قومك المالين شانا
وطوفى حولهم آناً قانا
عن الصوت المردد حيث كانا
تؤرقهم ، فثلك من أعانا^(١)
سواك لهم ، ولا وجدوا مكانا
وسوى من مراحه البنانا
يزاحم في مواكبه الزمانا
تذكرنا محاسنه الجنانا
جلال لا يرام ولا يدانى
فجعلها بروعته وزانا
تزيد على الزمان به افتنانا
وإن نسجوا اللجين أو الجمانا^(٢)
يحيط به ، ولو أفنى البيانا
جليل الشأن ، يعي الترجمانا

كانت مقالة مؤمن صدعت قوى
بعثت من الأنصار كل مدرّب
يا سعد ما نسي العريش مقيمته
لما توالى الزحف جثت تحوطه
في عصابة ممن بليك دعوتها
فتم صفوقاً كالهضاب ، يشدها
ولقد رميت بنى قريظة بالتي
أحببها من دعوة لك لم تمت
تقع الإله غليل صدرك ، إنه
إن شيعوك . فلم تجدى بينهم
الدهر معمور بذكرك أهل

زعمت قريش أنها لا تصدع^(١)
يقظ المضارب ، والقواضب هُجَم
يحمى غياث العالمين ويمنع^(٢)
وترد عنه المشركين وتردع
فالبأس يذلف ، والحية تسرع
راس على الأهوال ، ما يتزعزع
سمع الجيب فهالك ومروع^(٣)
حتى أصابك خيرها المتوقع
بشقى صدور المؤمنين وينقع
فانلطب خطبي ، والبيان مشيع
ما في جوانبه مكان بلقع

(١) إشارة إلى قوله هو والمقداد بن عمرو الملقب بابن الأسود لاني صلى الله عليه وسلم عند الخروج لغزوة بدر الكبرى - ولم يخرج الأنصار معه قبل هذه الغزوة - يا رسول الله إني لما أمرتك الله فتجن معك ، لسا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام : إذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون - ولكننا نحامل عن عينك وعن شمالك ، وبين يديك وخلفك ، إلى آخر ما قال -

(٢) توسل إلى النبي يوم بدر أن يبي له عمريشاً على تل يشرف منه على الحركة فقبل ، ولما التحم القتال جاء مع جملة من الأنصار فوقوا أمام العريش بسيفوفهم مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه -

(٣) هو الله تبارك وتعالى -

(١) الكلوم الجروح .

(٢) اللجين والجمان الفضة والذهب .

لساني مُوثق ، يارب هب لي جناح الريح أجعله لساناً
فأذهب حيث شئت من القوافي وأرساها بحبيرة حسنا
وألبسها رفيده معجيات ضوامن أن تُجَلَّ وأن تصاننا

رُفيدة جاهدي ودعي الهويني فما شرف الحياة لمن تواني
وربَّ مجاهد بلغ الثرياً وما عرف الضراب ولا الطمانا
وكم هزَّ الممالك في علاها فتى ماهزَّ سيفاً أو سنانا
ومن لم يمتحن دنيا المال فما امتحن الشجاع ولا الجبانا
رُفيدة ذلك الإسلام حقاً تبارك من هداك ومن هدانا
تبارك ربُّنا ألقى علينا سنا الوحي المنزَّل واصطفانا
هدينا العالين به ، وإنا لنحن القوم ، لا هادٍ سوانا

سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

كان طعام المسلمين في هذه الغزوة التمر يرسله سعد بن عبادة رضي الله عنه ، فهو الذي دون الجيش ، ومن مناقبه أنه أبن علي عبيدة بن حصن والحارث بن عوف أن يأخذوا نصف تمر المدينة ليرجعا بمن معهم في غزوة الخندق ، وكان سعد بن معاذ رضي الله عنه على رأيه في ذلك ، ومن هذه المناقب ضوافته على الأنصار يستنفرهم للقتال في غزوة بدر ، وقد غاب عن هذه الغزوة المباركة لأن حبة نهشته فلم يقدر على الغزو ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك : لئن لم يشهدنا سعد لقد كان حريصاً عليها : ثم ضرب له بسهمه وأجره .

كان رضي الله عنه نقيب بني ساعدة (من الخزرج) ومات بمجوران من أرض الشام في السنة الرابعة عشرة - في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقبره بالمنجعة (قرية من غوطة دمشق) .

يامطعم الجيش أشبعت السيوف دما لولاك ما شبت يوماً ولا طمها
أنت الحياة جرت في كل منطلق تغشى الكمي ، وتغشى الصارم الخدماً^(١)
تتابع الجود ، لا بخل ولا سأم دين المروءة يأبى البخل والسأما
المسلمون يدُّ الله عاملة تمضي أصابعها في شأنها قدما
لا تشتكي إصبع من إصبع وهناً ولا تغايرها إذ تشتكي الأنا

ياسعد أديت حق الله من ثمر لو كان من ذهب ما زدته عظما
كذلك الخير ، يدعى المرء مفتئماً إن راح ينهبه في القوم مفتئماً
زادتك نخلك يا سعد بن ساعدة فضلا ، وزادت على أمثالها كرماً

(١) الكمي الشجاع والصارم الخدم السيف القاطع .

هذا جناها بأيدي القوم منتهب
أحصاه ياسعد عدداً ثم ضاعفه
والله يكتب ، فانظر ، هل ترى القلما؟
فلمست تحصيه حتى تحصى الأما

* * *

إدفع عينته وارفع جهل صاحبه
تمر المدينة ما فيه مساومة
إن الحديث حديث الدهر لو عفا
أويرجع السيف عنه مترعاً بشما^(١)
لا يفعد السيف عن يطعم الصنا
من عصبة الشرك لا يرضونه حكماً
لا يحفظ العرض من لا يحفظ العدا
وما على الأرض أن لا تحمل الرما؟

* * *

ألم تهب يوم بدر بالألى نفروا
يا قوم إن جموع الكفر حاشدة
للحرب ، يصون من نيرانها ضرماً؟
فأين يذهب دين الله إن هزماً؟
فلا نجا أحد منا ولا سماً

* * *

يا باعث القوم شتى من مجاثمهم
من حية السوء ألقيت السلاح على
ما بال عزمك في آثارهم جماً؟
كره ، ورحت تعانى لهم والسقا
لم تبق للكفر من أطامه أطاً^(٢)
منك المشاهد لم تنقل لها قدما
شريعة الله ، ما حاجي ولا ظلما
كنت الحريص عليها وقعة جلالا
كذلك قال رسول الله فاتبعت
أعطاك سهمك يجزى نية صدقت

غزوة بني كميان

كانت في ربيع الأول من السنة السادسة . وسببها حزن النبي صلى الله عليه وسلم لما أصاب عاصم بن ثابت وأصحابه . والتنذر بن عمرو الخزرجي وأصحابه (القراء السبعين) رضى الله عنهم من غدر بني كميان وفتكهم ، وكانوا قد طلبوا منه أن يعث إليهم من يفقههم في الدين ، ويدعوهم إلى الاسلام ، فقتلوا من قتلوا من الأولين في (الرجيع) واستأصلوا هؤلاء عند (بئر معونة) وكانت الواقعة الأولى في مستهل السنة الرابعة ، والثانية في صفر من هذه السنة .

والواقعتان داخلتان في باب السرايا ، وقد اعتمدنا في ملاحظنا هذه أن نبداً بالغزوات ثم نأتى بعدد السرايا* في مجموعة خاصة . فنحن إذأ لا نجرى على الترتيب التاريخي في هذين البابين احتفاظاً بالوحدة النوعية في كل باب

خرج النبي إلى هذه الغزوة في مائة من أصحابه ، فلما بلغ (وادي غراب) من منازل بني كميان . وهو السكان الذي قتل فيه أصحاب الرجيع ترحم عليهم ، ودعا لهم بالغفرة فسمع القوم وهربوا في رؤوس الجبال ، فأقام يوماً - أو يومين - بعث السرايا في كل ناحية من نواحيهم فلا تجد منهم أحداً ، ثم رجع صلى الله عليه وسلم .

بني كميان لو ذوا بالجبال وقوا مهجاتكم حرّ القتل
أمن غدر إلى جبن؟ لعمرى لقد ضقت بأخلاق الرجال
لكم من خصمكم عذرمبين فليس لناره في الحرب صال
أما انصدعت قواكم إذ أخذتم صحابته بمكر واحتيال؟^(١)

(*) يفهم من هذا أنه سيأتى بالسرايا فقط ولكنه جاء من بعد ذلك بمدد من الغزوات .
(١) أصحاب الرجيع وهم عاصم بن ثابت ، ومرثد بن أبي مرثد الغنوي ، وخبيب بن عدى الأوسى البدرى ، وزيد بن الدثنة ، وعبد الله بن طارق ، وخالد بن البكير ، وزاد بعضهم معتب بن عبيد وبعضهم مغيث بن عوف رضى الله عنهم ، لما بلغوا الرجيع - اسم ماء لهذيل ابن مدركة بن إلياس بين مكة وعسفان - مع الذين بعثهم النبي معهم غدر هؤلاء بهم ، واستصرخوا هذيلاً ليعينهم عليهم . فثار إليهم القوم بأيديهم السيوف . وهم في رحلهم ، وكانوا نحو مائتي =

(١) مترعاً متمكاً بشما متضمناً .

(٢) الآطام الحصون .

كذبتهم ، ما لأهل الشرك عهد
قتلهم عاصماً بطلاً مجيداً^(١)
فنون الحرب تعرفه عابداً
وتشهد أنه البطل المرجى
رماكم ، ثم جالدم ، فأدى
وقاتل عقبة في يوم بدر
أردتم بيعه لئمال وتر
وليس لدى سلافة من كفاء
حماه الله من دنس ورجس
شهيده الحق تحرسه جنود
وما الكفار إلا في ضلال
مخوف الكفر ، مرهوب النزال^(٢)
بأسرار الأستة والنصال
إذا فزع الرماة إلى النبال
أمانته ، وأودى غير آل
أيحفل حين يقتل أو يبالي؟^(٣)
رويداً ، إن صاحبكم لغال^(٤)
لهامة ماجد سمح الخلال^(٥)
وسوء المنكرات من النعال
من الدبر المساح للنصال^(٥)

رجل ، فأخذ عاصم ومن معه أسيافهم ليقاتلوه فقالوا : إنا والله لا نريد قتلكم ، ولكم عهد الله وميثاقه ، فأما عاصم ومرند وخالد فقالوا : والله لا نقبل من معرك عهداً . وقالوا حتى قتلوا . وأما زيد وخبيب وعبد الله ، فرغبوا في الحياة واعتصموا ببعض الجبال . فأحاطوا بهم وقالوا : لكم العهد والميثاق أن لا نتخذكم إن نزلتم علينا ، فأنزلوا حتى ربطوهم بأوتار القسي ، فقتل عبد الله بن طارق . هذا أول القدر . لا أصححكم ، إن لي بهؤلاء (يعني القتلى) أسوة ، فخرده وعالجوه وهو بأبي فقتلوه وانطلقوا بحبيب وزيد إلى مكة ، فباعوا الأول لبني الحارث ابن نوفل ، لأنه هو الذي قتل عامر بن نوفل يوم بدر ، وباعوا الثاني لصفوان بن أمية لأنه هو الذي قتل أمية .

(١) لما كانت ليلة العقبة أو ليلة بدر قال النبي لمن عنده : كيف تقاتلون ؟ فقام عاصم ابن ثابت فأخذ القوس والنبيل وقال : إذا كان القوم قريباً من مائتي ذراع كان الرمي ، وإذا دنوا حتى تنالهم الرماح كانت المداعبة بالرماح حتى تنصف ، فإذا انقصت وضعناها وأخذنا السيوف وكانت المجادلة ، فقال النبي : هكذا أنزلت الحرب . من قاتل فليقاتل كما يقاتل عاصم .

(٢) عقبة بن أبي معيط - في رواية أنه قتله بعد الانصراف من بدر .

(٣) كانوا يريدون بيعه لولى القليل . والوتر النار .

(٤) امرأة قتل عاصم ابنها مسافراً وجلساً يوم أحد ، فجعلت لمن يجيئها برأسه مائة ناقة ، ونذرت لثمنين الخمر في فائقة حججته .

(٥) الزنابير ، أرسلها الله فحمت جسده الظاهر ، ولم يستطع أحد أن يناله بسوء . وكان

قد دعا الله فقال : اللهم لاني حيت لك دينك صدر النهار فاحم لحمي آخره .

وعبد الله فيم قتلتموه وسقم صاحبيه بشر حال؟^(١)
طلاب المال يولع بالدنيا ويولوى المرء عن طلب المعالي
رضيتم بيع أنفسكم ببخس قليل النفع من إبل ومال

* * *

خبيب في يدي جاف شديد يُسَدَّب في أدامه النقال^(٢)
وزيد عند جبار عنيد يصبُّ عليه مختلف النكال
كلا أبويهما قتلا بيدك فتلك حفاظ الرم البوالى
يزيدهما البلاء هدى وعلماً بأن الحادثات إلى زوال
وأن لكل نفس متباها وإن طمع المضلل في المحال
لكل مشهد عجب ، عليه جلال الحق ، بورك من جلال
يروح الموت حولهما ويغدو يكشر عن نواجذه الطوال
وذكر الله متصل ، بوالى من العيق المقدس ما بوالى^(٣)
هو الإيمان ، من يشدُّ قواه يزلزل في الخطوب قوى الجبال

* * *

هنيئاً يا خبيب بلغت شأوا رفيع الشان ، ممتنع المنال^(٤)
ملأت يديك من رزق كريم أذاك بغير كدٍ أو سؤال
تنزل من لدن رب رحيم عميم الجود ، فيأض النوال

(١) عبد الله بن طارق .

(٢) الأدام القيود .

(٣) كان خبيب رضى الله عنه يتعهد بالقرآن فإذا سمعه النساء بكين ورقفن عليه .

(٤) قالت زينب بنت الحارث ، والله ما رأيت أسيراً خيراً من خبيب ، لقد وجدته يأكل

قطفاً من عنب مثل رأس الرجل ، وإنه لموتق بالحديد ، وما يمك من ثمرة عنب وما كان

إلا رزقاً رزقه الله .

كل العنب الجنى ، وزده حمداً
تقول الحارثية مالعيني
أرى عنباً ، وما من ذلك شيء
وبالك من أسير ما علمنا
على حمديوم مدى الليالي
أفى سحر تقب أم خيال ؟
بمكة يالها عظة ويالى
له بين الأسارى من مثال

* * *

أتى الأجل الذى انتظروا وهذى
فماذا فى يمينك يا خبيب
كأن بأمه حذراً عليه
ترى موسى بكفك ، وهورهن
ولكن للكريم السمح ناه
وماذا كنت تحذر من عقاب
وسعت عدوك الموتور حاملاً
فأبوكا الذى رمت السجايا
وأبوكا القتل ؟ ومن سيبتي
سيوف القوم محدثة الصقال^(١)
وما بال الصغير من العيال؟^(٢)
نوازع من جنون أو خبال
بذبح فوق نخذك واغتيال
من الشيم السنية والحصال
وورد الموت محتضر السجال؟^(٣)
ومكرمة على ضيق المجال
مروءته بأسر واعتقال
حياة للأواخر والأولى؟

* * *

ألا إن الصلاة لخير زاد وإن الركب آذن بارتحال^(٤)

(١) كان شراؤهما فى ذى القعدة فحبسوهما حتى تنتهى الأشهر الحرم .

(٢) لا أجمعوا على قتلها استعار خبيب من زينب بنت الحارث موسى ليستجد به .
فغفلت عن ابن لها صغير أقبل حتى جلس على فخذه والموسى فى يده فخشيت أن يقتله وفرغت
لذلك ، فقال لها ، أنخسين أن أقتله ؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله .

(٣) جمع سجل وهو الدلو الملوأ .

(٤) لا أخرجوا بخبيب ليقتلوه قال : اتركوا أصلى ، فتركوه فضلى ركعتين ثم انصرف
اليهم وقال : لولا أن تقولوا جزع من الموت لودت ، ثم قال : اللهم أحصهم عدداً ، ولا تبق
منهم أحداً ، واقتلهم ببدأ ، وأنشد أبياتا منها :

ولست أبالى حين أقتل مسلماً
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ
على أى جنب كان فى الله مصرعى
يبارك على أوصال شلو مزرع

تروذ يا خبيب وثق برب
قصر فى نوره الوضاح ، والبس
هنالك معرض لله نغم
أترضى أن ترى خير البرايا
صدقت خبيب إنك للعوادى
تبيع بشوكة تؤذيه نفساً
كذلك قال زيد الخير لما
هو قتيوك مصلوبا وأغروا
رفيقك فى التجلد والتأسى
أعتزلان دين الله خوفاً ؟
معاذ الله ، إن الله حق
لدين الشرك أجدر باجتناج
هو الداء العضال لمبتقيه
كل النفس إيمان وتقوى
مثلك عنده حسن المآل
جمال الخلد فى وطن الجمال
بديع الصنع ، لم يحظر ببال
مكانك ؟ ساء ذلك من مقال^(١)
إذا هى أخطأته لذو احتمال
تشك صميمها صم العوالى
تردى فى السفاهة كل قال^(٢)
به وبك الضعاف من الموالى
وخذنك فى التقدم والصيال
فمن أولى بخوف وابتهال؟^(٣)
وإن الجرمين لنى وبال
وأخلق باطراح واعتزال
وكل الشر فى الداء العضال
وماذا بعد مرتبة الكمال ؟

* * *

حبس الأربعين ألا انطلاق
كفك : ألم تزل مُلقى الرحال؟^(٤)
تصح أسرك أن تظل مدى الايالى
جميع الشمل ، موصول الحبال ؟

(١) لا أرادوا قتله شدوه لى خشبة طويلة ، وأعملوا فيه الرماح والحراب ، ثم قالوا له :
أحب أن محمداً مكانك ؟ قال : لا والله ما أحب أن يهدى بشوكة فى قدمه .

(٢) كذلك قالوا لزيد بن الدثنة وقال لهم .

(٣) قالوا لحبيب لارجع عن الإسلام أو لنقتلك . قال : إن قتلى فى سبيل الله لقليل ،
وهكذا قالوا لصاحبه فأجاب بمثل هذا .

(٤) هو خبيب . تركوه مصلوباً على خشبته بعد قتله أربعين يوماً ، وحوله الحراس ليراه

على خرقاء يكره من يراها
علفتَ بها ، فما أحدثت هجراً
يمالُ المرءُ صاحبه فيشقي
ويساو كل ذي شجن ووجد
بليت بكل ذي قلب غبيٍّ
لأنت الحجة الكبرى عليهم
ولا حدثت نفسك بالزبال^(٢)
بصحبته ، ومابك من ملال
وأنت على مصابك غير سال
غداً من الإيمان خال^(٣)
فما نفع المرء أو الجدال ؟

* * *

تأهب يا خبيب أذاك غوث
مضى بك ، يتبع الغرماء منه
تقاضوه فما ظفر التقاضي
قطع من طعام القوم يعدو
فلما أوشكوا أن يدركوه
وألقى بالشهيد فنيته
يزين المسلمون إذا تداعت
طوت جسداً من الریحان رطباً
يؤمك في ركائبه العجـال^(٤)
بعيد مدى التعلل والمطال
بغير علاقة النقع المزال^(٥)
على آثاره عدو الرئال^(٦)
أهاب : عليك يارب اتكأني
طباق الأرض كنبزاً من لأن
شعوب الأرض من عطل وحال
عليه جلالة الشيخ البجال^(٧)

قضى ، وكأنه حتى يُرحى
يدير القوم أعينهم حيارى
وأسف معشر باتوا سهارى
أجاب الله دعوته ، فبادوا
لحسن الصنع من صعب وآل
كأن الله ليس بذي محال^(١)
تفيض جراحهم بعد اندمال
وعادوا مثل محترق الذبال^(٢)

* * *

بنى لحيان ما صنع ابن عمرو
قتلتم صحبه وصرعتموه
ولولا العذر لم يحشوا إذا كم
أصحابُ اليمين بكم أصيبوا
وماذا بالأُسود من النمال؟^(٣)
فيا للؤم والخلق الرذال
وهل تحشى القروم أذى الأفال؟^(٤)
لأتم شر أصحاب الشمال

* * *

بنى لحيان واعجبي لبأس
فرتم ، تتقون الموت زحفاً
هو المسخ المبين ، فمن أسود
دعوا الشرك المذل إلى حياة
خبت جمراته بعد اشتعال
على القم الشواهد وانقلال^(٥)
تصيد القانصين إلى وعال^(٦)
من الإسلام وارفقة الظلال

(١) المحال القوة .

(٢) الذبال جمع ذبالة ، وهي الفتيلة للسراج .

(٣) هو المنذر بن عمرو رضى الله عنه ، بعثه النبي صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه القراء مع أبي عامر بن مالك ملاعب الأسته لما قدم عليه فقال لأنى أرى أمرك هذا أمراً حسناً شرفاً ، فلو بعثت رجلاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعوتهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك ، قال له : لأنى أخشى أهل نجد عليهم . فقال أبو عامر : هم في جوارى وعهدى ، فساروا بكتاب من النبي إلى عامر بن الطفيل سيد بني عامر ، فلما انتهوا إلى بئر معونة ذهب أحدهم بهذا الكتاب إلى عامر فلم ينظر إليه وقتله . ثم صاح بقوم من بني لحيان ورعل وذكوان قتلوا القراء وبقى بكعب بن يزيد رمق فحمل من المعركة وعاش بعد ذلك واستشهد في غزوة الخندق ، ونجى الله منهم عمرو بن أمية الضمري ورجلا آخر .

(٤) الأفال جمع أفيل وهو الفصيل .

(٥) رءوس الجبال .

(٦) جمع وعلة وهي أنثى الوعل .

(١) المراد بها الخشبة .

(٢) الزبال الفراق .

(٣) الغداف القراب والغدافي ما أشبه لونه .

(٤) بعث النبي صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام والمقداد بن عمرو لإنزال خبيب عن خشبته ، فوجدوا عنده أربعين رجلاً يحرسونه ، ولكنهم سكارى نيام فحمله الزبير على فرسه وهو رطب لم يتغير منه شيء ، وشعر بهما المشركون فانطلقوا وراءهما : فلما لحقوا بهما بعد جهد فذفه الزبير فابتاعته الأرض .

(٥) المذال المسبل .

(٦) الرئال أفراخ النعام ، واحدها رأل .

(٧) البجال السيد العظيم البجل من الناس .

هو الدين الذي يُحْيِي البرايا ويصلح أمرهم بعد اختلال
يَظِلُّ النور في الآفاق يسرى ويسطع ماتلا القرآن تال

* * *

أرى أمماً على الغبراء مرضى تَبَطَّنَ جوفها داء السلال
تخال أشد خلق الله بأساً على الضعف المبرِّح والهزال
إذا ملأت جوانبها دويماً فلا تنترك جلجلة السعال
مخضبة الجنان لكل صيد يعنُّ ، وتلك أنياب السعال^(١)
حيارى لا تريد الحق نهجاً ولا تدع الحرام إلى الحلال
ألاهادٍ يقوّم من خطاها ويحسم داءها بعد اعتلال؟

عنزوة ذي قرد

كانت بعد أيام قلائل من غزوة بني الحليان ، وسببها أن عيينة بن حصن
أغار في خيل من غطفان على لقاخ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان
يرعاها رجل (١) من غفار ، وامرأة (٢) بمكان يقال له (الغابة) فقتلوا
الرجل ، واحتملوا المرأة مع اللقاخ ، وعلم بذلك سلامة بن الأكوع ، فجعل
يرميهم بالنبل بعد أن اشتد في أثرهم . وكان يسبق الفرس جرياً ، ففعل
بهم الأذاعيل ، واستنقذ منهم كثيراً من اللقاخ ، وصاح ابن الأكوع فسمعه
النبي وقال : الفرع الفرع ، يا خيل الله اركبي ، فجاء الرجال ، وجعل اللواء
اسعيد بن زيد ، رضى الله عنهم جميعاً .

ترفق يا عيينة باللقاح وبالحيل المغيرة والسلاح^(٣)
وخفض من غرورك والطاح فما مال النبي بمسباح
ولا هو يوم حرب أو كفاح

أحسبها صناديد الرجال تداعوا بالقواضب والعوالى ؟
وخفوا يا عيينة للقتال ؟ يلقون الرجال على الرجال ؟^(٤)
فليس على الفوارس من جناح ؟

رويداً ، إنها إبل تساق وراع واحد دمه يراق
وما بال التي احتمل الرفاق ؟ أخفتم أن يكون لها انطلاق
فترميكم بمصمته رداح ؟^(٥)

(١) هو ولد أبي ذر الفخاري .

(٢) زوجة أبي ذر .

(٣) كانت عشرين لفة وهي ذات اللبن القريبة من الولادة .

(٤) الرجال الجماعة المتقدمة من الحيل .

(٥) الشيء المصمت الخافي المبهم الذي يمتنع على من يريده أو يريد أن يعلم ما ينطوى
عليه ، وهو في الأصل ما لا جوف له ولا فراغ فيه والرداح الكتبية الثقيلة الحرارة . والمعنى :
أكنتم تخافون حين احتملت هذه المرأة الضميمة أن ترميكم بكتبية هذه صفتها ؟ ؟ .
(١٣ ديوان مجد الإسلام)

كفى ابن الأكوح البطل الجسور فذوقوا النار حامية تقور
رمى بالنبل ، فاضطرم السعير كذلك يفعل الراعى القدير^(١)
وتلك سهامه ، ما من براح

يؤالى الكرّ ، ساعده شديد وبين ضلوعه قلب حديد
عذاب إذ يكرّ وإذ يجيد يفوت الخيل منه ما تريد
وإن طارت بأجنحة الرياح

إذا طلبته لم تبلغ مداه وإن رجعت ، فليس لها سواه
يمزقها بما ترمى يدها فتذهب كلما جاشت قواه
حوامل للجراح على الجراح

تخطف لثغة من بعد أخرى وجاهد ، يرهق الفرسان عسرا
يريد لقاح خير الخلق طرا ويكره أن يساء وأن يُضرا^(٢)
وتلك مشاهد البطل الصراح

أذا قهم البلاء ، فما استطاعوا وغالم ارتجاف وارتباع
قوى ضاقت بها هم وساع فأسلت الأكف قوى شعاع
وألقت بالبرود وبالرماح^(٣)

وبالك صيحة ذهبت ترمى فنبهت الألى كانوا نياما^(٤)

(١) جعل يرميهم بالنبل ويقول إذا رمى : خذها وأنا ابن الأكوح . واليوم يوم الرضع
- أى يوم هلاك اللثام - فإذا وجهت الخيل نحوه انطلق هاربا ، وكانت إذا دخلت في بعض
مضائق الجبل علاه وأخذ يرميهم بالحجارة .

(٢) طرا جميعا .

(٣) ألقوا أكثر من ثلاثين بردة وثلاثين رمحا ليخففوا عن أنفسهم وهو يجهدهم
ويستفرغ قواهم .

(٤) لما علم بأمرهم علانية الوخاع ، وصرخ بأعلى صوته : واصباحاه ثلاث مرات .

تلقاها النبي فما أقاما وهب الجيش يحتدم احتداما
وحانت وقعة القدر المتاح

وطار الأخرم الأسدئ فردا يسبُ الجرمين وما تعدى^(١)
ولم ير من ورود الموت بدءا فجاد بنفسه ورعاه عهدا
دعا داعيه ، حتى على الفلاح

هي الرؤيا التي قصّ القتيلى على الصديق صدقها الدليل^(٢)
مضى لسبيله ، نعم السبيل فتى كالسيف مشهده جليل
هوى بمصارع البيض الصفاح

أتى جيش النبي فأى خطب أصاب القوم من فزع ورعب؟
إذا خفق اللواء ، فكل قلب من الخفقان في هم وكرب
فرققا يا ابن زيد بالقдах^(٣)

رموا ورميت بالأبطال شوسا تخوض إلى الوغى يوما عبوسا^(٤)

(١) هو محرز بن نضلة . كان أول من لحق بالفريق الأول من المسلمين في هذه الغزوة .
فلما انتهى إلى المعبرين تقدم فوقهم بين أيديهم وقال لهم : يا معشر بني الليثية (الليثية) قفوا
حتى يلحق بكم من وراءكم من المهاجرين والأنصار ، وقد أخذت سلمة بن الأكوح بمنان فرسه .
وقال له إحذر القوم لا يقتطفوك حتى يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فقال :
يا سلمة إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر ، وتعلم أن الجنة حق والنار حق ، فلا تحل بيني
وبين الشهادة . فحلى سبيله ، والتقى هو وعبد الرحمن بن عيينة ، فمقر فرس عبد الرحمن وطعته
وطعته عبد الرحمن فقتله رضى الله عنه ، ولم يقتل في هذه الغزوة من المسلمين غيره .

(٢) رأى قبل ذلك بيوم أن سماء الدنيا فرجت له من وما فوقها حتى انتهى إلى السماء
السابعة ، ثم انتهى إلى سدرة المنتهى ، فقيل له . هذا منزلك . وقص رؤياه على أبي بكر فقال
له : ابصر بالشهادة .

(٣) سعيد بن زيد أمير الجيش القдах سهام الميسر ، وكان من عاداتها أن تقلب وتقلقل
والمعنى أن قلوب القوم كانت تشبه هذه القдах في خفقها واضطرابها .

(٤) جم أشوس وهو الذى ينظر بمؤخر عينه .

تُفَلِّقُ مِنْ أَعَادِيهَا الرُّوسَا وَتَبْذُلُ دُونَ بِيضَتِهَا النُّفُوسَا
كَذَلِكَ فَلْيَكُنْ بَذْلُ السَّمَاخِ

إِلَى ابْنِ عُيَيْنَةَ انْطَلَقَ الْقَضَاءُ فَمَا بَأْيِهِ إِذْ أُوْدِيَ غِنَاءُ^(١)
لَهُ مِنْ حَوْلِ مِصْرَعِهِ عَوَاءٌ إِذَا شَفَتِ الصَّدَى الْبَيْضُ الْيَظَاءُ
فَأَهْوُونَ بِالْعَوَاءِ وَبِالنَّبَاخِ

وَأَيْنَ دَمِ ابْنِ نَضَلَةَ هَلْ يَضِيعُ وَيَبْقَى بَعْدَهُ الْحَدِثُ الْفَطِيعُ؟
لِعَمْرِكَ مَا لَقَاتَلَهُ شَفِيعُ صَرِيحِ طَاخٍ فِي دَمِهِ صَرِيحُ
أَحْيَطُ بِهِ ، فَعُوجِلُ بِاجْتِيَاخِ

هُوَ الْمَقْدَادُ إِنْ دَعَيْتُ نَزَالٍ تَقَدَّمَ لِأَيَّابٍ وَلَا يَبَالِي^(٢)
وَمَا بَأْيِ قِتَادَةَ فِي الرِّجَالِ خَفَاءُ حِينَ تَشْتَجِرُ الْعَوَالِي^(٣)
وَحِينَ يُقَالُ : أَيْنَ ذُووُ النَّطَاخِ؟

أَصَابَ السَّهْمُ وَجْهًا مِنْهُ نَضْرًا وَأَبْصَرَهُ النَّبِيُّ قَقَالَ : صَبْرًا
وَعَالِجَهُ ، فَأَخْرَجَ مِنْهُ شِرَاً وَأَلْقَى نَفْتَةً كَرَمًا وَبِرًا
فِرَاحِ يَزْفُ فِي الْقَوْمِ الصَّحَاخِ^(٤)

تَزُوْدٌ مِنْهُ كَنْزًا لَيْسَ بِغَفَى تَزُوْدُ دَعْوَةَ سَعْدًا وَيَمْنَا
تَزُوْدٌ رَحْمَةً ، وَهَدَى ، وَأَمْنَا تَزُوْدُ مَا أَحَبُّ وَمَا تَمْنَى
وَجَاوَزَ كُلَّ سَوْءٍ وَاقْتَرَاخِ

(١) قتله المقداد بن عمرو ، وأودى هلك .

(٢) كان المقداد بن عمرو أول من خف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . حين قال :
الفرع الفرع ، يا خيل الله أركبي .

(٣) قتل أبو قتادة رضي الله عنه مسعدة الفزاري ، وقد أصيب بسهم في وجهه فزعه
النبي بيده الشريفه نزاعاً دقيقاً ، ثم بزق فيه ووضع راحته عليه ثم قال : اللهم بارك له في شعره .
وبشره . مات في السبعين وكانه في السنة الخامسة عشرة وتشجر العوالي - تشبك الرماح .

(٤) يزف بمعنى يسرع .

شَفَيْتِ أَبَا قِتَادَةَ كُلَّ صَادٍ لَهَيْفِ الصَّدْرِ حِرَّانِ الْفُوَادِ
بِيَيْتِ عَلَى أَسَى مَنْ يِعَادَى رَسُوْلَ اللهِ فِي دِيْنِ الْجِمَادِ
وَفِي دُنْيَا الْمَرْوَةِ وَالصَّلَاخِ

غَنِمْتَ سَلَاخَ مَسْعَدَةَ الشَّقِيِّ وَفَزْتَ بِطَرْفِهِ فَوْزَ النَّقِيِّ^(١)
عَطَاءٌ مِنْ جَوَادِ أُرَيْحَى عَطَاءُ اللهِ مِنْ يَدِي النَّبِيِّ
رَسُوْلِ اللهِ أَفْضَلُ مَسْتَاخِ^(٢)

لَقَدْ أَحْدَثْتَ لِلْأَبْطَالِ شَفْلًا وَهَمًّا مَا أَشَدَّ وَمَا أَجْلًا^(٣)
سَقَوْا مَكْرُوْهُهُ نَهْلًا وَعَلَاءً وَلَوْلَا فَضْلَ رَبِّكَ مَا تَجَلَّى^(٤)
ذَعْوَا إِذْ أَبْصَرُوا الْبَرْدَ الْخَلِيَّ عَلَى الْجَسَدِ الَّذِي أَوْجَعْتَ قِتْلًا
نَعَاءُ أَبَا قِتَادَةَ إِذْ تَوَلَّى نَعَاءُ الْفَارِسِ الْبَطْلِ الْمَدْلَا^(٥)
مَوْضِعًا بِاللَّيْلِ فِي الْخَطْبِ تَتَلَّى فَتَنْفَعُ مِنْ تَجَلْدٍ أَوْ تَسْلَى^(٦)
قَتَالَ مُحَمَّدٌ : بِأَقْوَمِ كَلَا أَخُوْكُمْ لَمْ يَزَلْ حَيًّا ، فَمَهْلًا
كَفَاكُمْ رَبِّكُمْ قَدًّا وَتُكَلَّلًا فَأَشْرَقَتْ الْوُجُوْهُ ، وَكَانَ فَضْلًا
طَوَى قِرْحَى الْقَلْبِ عَلَى ارْتِيَاخِ^(٧)

(١) الطرف الكرم من الخيل .

(٢) استباحه سأله العطاء .

(٣) لما قتل أبو قتادة مسعدة الفزاري ألقي عليه برده برد أبي قتادة ففضاه ، فلما رآه
للمسلمون استرجعوا وقالوا : قتل أبو قتادة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ليس بأبي قتادة
ولكنه قتيل له وضع عليه برده ليعرف أنه صاحبه - أي قاتله فخرج عمر بن الخطاب حتى
جاءه ، وكشف البرد عن وجهه فإذا هو مسعدة .

(٤) النهل الشرب الأول والعل الشرب الثاني .

(٥) نعاء بالبناء على الكسر كغزال ، اسم فعل للأمر بمعنى لمنع ، قال الأصمعي . كانت
العرب إذا مات منها ميت له قدر ، ركب راكب فرساً . وجعل يسير في الناس ويقول : نعاء
خلاناً . أي لمنه وأظهر خبر وفاته .

(٦) كلمة الاسترجاع . إنا لله وإنا إليه راجعون .

(٧) قرحى جمع قريح والقريح الجريح .

تداعى القوم صفًا بعد صفًا ووثوا بعد إقدام وزحف^(١)
مضوا بالنصف، لو ذهبوا بألف من اللأى اصطفى النعمانُ صرف^(٢)
لما فرحوا بفوز أو نجاح

وأقبلت الأخيذة بعد بأس على العضباء في شعث وبؤس^(٣)
عناها الضُرُّ من أسر وحبس وسوء الصنع من ظلم ووكس
على يد كل عرّيض وقاح^(٤)

أنت، للمسلمين بها ابتهاج وللكفار إذ نجت احتياج
أبأذرى وللضيق انفراج وربّما حلا الورد الأجاج^(٥)
هنيئًا، بات صدرك في انشراح

أتذكر إذ يقول لك الرسول أقم فالأمر باطنه مهول؟
وما تدرى إلى مَ غداً يؤول ستعرفه وتذكر ما أقول

إذا ما الغيب آذن باتضاح

أنت فرحى، وقالت: حلّ ندرى فإن أذن الرسول قضيت أمرى

(١) من تداعى البناء إذا انهار .

(٢) نصف اللقاح والنعمان بن النذر كانت له إبل تسمى عصفير النعمان .

(٣) هي امرأة أبي ذر انفلتت من الوثاق ليلا . فأنت الإبل ، فجعلت إذا دنت من البعير
رغا فتتركة ، حتى انتهت إلى العضباء فلم ترغ ، فقعدت على عجزها ثم زجرتها . وعلوا بها
فطلبوها فأعجزتهم ، فنذرت لئن نجماها الله عز وجل لتنجرتها وتأكل من كبدها وسنامها ،
وأقبلت تخبر الرسول الكريم بذلك ، فتيسم وقال ، بثما جزيتها لا نذر في معصية الله ، ولا
فيما لا تملكين ، إنما هي ناقة من إبلي ، لارجعى لئن أهلك على بركة الله .

(٤) العريض الذى يتعرض للناس بالشر .

(٥) استأذن أبو ذر العقارى رسول الله أن يكون في اللقاح فقال له : لا تأمن عينه .
ابن حصن وذويه أن يغيروا عليك . فألح عليه فقال له : لسأكنى بك قد قتل ابنك ، وأخذت
امرأتك ، وجئت تتوكأ على عصاك . فلما وقعت الواقعة جعل أبو ذر يعجب ويشيع الحديث ،
والإجاج الماء الملح .

هي العضباء تعقر ما لإصرى سواها ، إن أردت شفاء صدرى^(١)
على اليوم بعد فكاك أسرى وفاء النذر ، مالى من مفر
وقانى الله من سوء وشر له سبحانه حمدى وشكرى
على أن صرت مطلقة السراح

فقال لها رسول الله إبه لبئس جزاءها أن تفعليه
دعى النذر الحرم وأتركه وخافى الله ربك وأتقىه
لشر النذر مالا يرتضيه وما لاحق للإنسان فيه
دعى لى ناقتى وتعلميه قضاء ما اهتدى من لا يعيه
وكيف تُقاس منزلة الفقيه بمنزلة الغبيّ أو السفيه
هنالك حتى أهلك ، فاطلبيه على بركات ربك واحمديه
إلهًا ما لما يقضيه ماح

قضيت الحق ، فاغتمم الجزاء وزد يا سعد فى الدنيا علاء^(٢)
وسعت غزاة ذى قراد سخاء وكنيت لهم أخًا يعرى الأخاء
بعثت التمر يعجبهم نماء وسقت البدن تطربهم رغاء^(٣)
قراك إذا هم التمسوا الغذاء وبركك ، لا يزال لهم رجاء
كذلك أنت ما تألوا وفاء وحبًا لللى صدقوا البلاء

(١) الأصر الثقل أو العيب الثقيل .

(٢) سعد بن عبادة رضى الله عنه ، بعث إلى المسلمين في هذه الغزوة بأحمال من التمر
ويعشر جزائر ، فقال النبي : اللهم ارحم سعداً وآل سعد ، نعم المرء سعد بن عبادة ، فقالت
الأنصار : هو سيدنا وابن سيدنا . من بيت يطعمون في المحل ، ويحملون السكل الضعيف
وينهضون بأمر المشيرة ، فقال صلى الله عليه وسلم : خيار الناس في الإسلام خيارهم في الجاهلية
إذا فقبوا في الدين .

(٣) البدن جمع بدنة ، وهي الأخمية السمينة .

بُنَاةُ الْحَقِّ ، مَا مَلُوا الْبِنَاءَ وَإِنْ عَلَتِ الدَّمَاءُ بِدِ الدَّمَاءِ
أَجَلُ يَأْسَعِدُ فَارْفَعُهَا سَمَاءَ تُجَاوِزُ كُلَّ مُطْلَعِ سَنَاءِ
جَرَى الْكِرْمَاءِ ، فَاتَهَبُوا الثَّنَاءَ وَمَا بَلْفُوكَ جُودًا أَوْ عَطَاءَ
رُزِقَتِ الْبَأْسَ أَجْمَعَ وَالْمَضَاءَ فَكُنْتَ أَحَقَّ مِنْ مَنَعَ الْآوَاءِ
بِشُكْرِ فِي الْهَزَاهِزِ وَامْتِدَاحِ (١)

رَسُولُ اللَّهِ يُؤَذِّنُ بِالْإِيَابِ وَيَرْجِعُ بِالْأَحْبَةِ وَالصَّحَابِ
يَسِيرُ مِنَ الْجَلَالَةِ فِي رِكَابِ تَدِينُ لِعِزِّهِ عُلْبُ الرِّقَابِ
تَسَايِرُهُ بآيَاتِ الْكِتَابِ مُرْتَلَّةً بِأَنْظَامِ عِذَابِ
صَفُوفٍ مِنْ مَلَائِكَةِ طَرَابِ تُظَلِّلُهُ بِأَجْنِحَةٍ رِطَابِ

ترفُّ على الروابي والبطاح

حَبَابُ ابْنِ الْأَكْوَعِ الشَّرَفِ النَّيْفَا وَحَسْبُكَ أَنْ يَكُونَ لَهُ رَدِيفَا (٢)
كَذَلِكَ يَرْفَعُ اللَّهُ الشَّرِيفَا وَيَجْزِي الْمُؤْمِنَ الْبِرَّ الْخَنِيفَا
أَطْلَى نَاقَةَ اللَّهِ الْوَجِيفَا وَوَالِي الْخَطُوطِ مَرْتَجِلَا خَفِيفَا (٣)
حَمَلَتْ أَجَلَ مِنْ يَحْمِي الضَّعِيفَا وَأَعْدَلَ مِنْ يَحَازِرُ أَنْ يَحِيفَا
حَمَاكُ ، وَعَطَّلَ النَّذْرَ السَّخِيفَا وَأَمْضَى حَكْمَهُ سَمْحًا عَفِيفَا
حَمَلَتْ اللَّيْثَ ، فَالْتَمَسَى الْغَرِيفَا جُرَيْتِ كِرَامَةٍ ، وَرَزَقَتْ رِيفَا (٤)
وبورك في غدوك والرواح

رسولُ الخير جاء بكلِّ سمح من الأخلاق في صدق ونصح

تَدَارَكَ سَوْرَةَ الْبَطْلِ الْمُنْحُ وَأَوْصَاهُ بِإِحْسَانِ وَصَفْحِ (١)
وَكَانَ الْقَوْمُ فِي جَهْدٍ وَبِرْحٍ وَرَاءَ الْمَاءِ مَا ظَفَرُوا بِرِشْحِ
تَنَحَّوْا عَنْهُ إِذْ كَرِهَ التَّنْحَى فَمَا ابْتَلَّتْ جَوَانِحَهُمْ بِنَضْحِ
وَلَوْ أُخِذُوا بِتَقْتِيلِ وَذِخِّ لِمَا عَتَصَمُوا بِسَيْفِ أَوْ بِرِمْحِ
صَنِيعَةٍ مَحْسَنِ يَمْسَى وَيَضْحَى لَهُ تَاجَانِ مِنْ شُكْرِ وَمَدْحِ
رَحِيمِ الْقَلْبِ ، يَأْسُوكُلُ جِرْحِ وَيَعْتَدُّ الْجَمِيلُ أَجَلَ فَتْحِ
وَمَا يَنْفَكُ فِي كَدِّ وَكَدْحِ يَقِيمُ الْحَقَّ صَرْحًا بَعْدَ صَرْحِ
وَيَحْمِي الدِّينَ مِنْ كُلِّ نَوَاحِي

(١) هو سلمة رضى الله عنه ، غارده قوم حتى أجلاهم عن الماء وهم عطاش ، وجاء بخبر النبي فقال له : ملكت فأسجح فتركهم يشربون .

(١) الهزاهز الأمور العظيمة تحرك الناس ، والمروب .
(٢) رجع النبي إلى المدينة على ناقته العضاء مردفا سلمة بن الأكوع رضى الله عنه .
(٣) الوجيف نوع من سير الإبل والجمال .
(٤) الغريف القبضة أو الأجمة ، والشجر المنف ، والمتصود هنا بيت الأسد .

غزوة الحديبية

ويقال لها عمرة الحديبية بئر قريبة من مكة ، خرج إليها النبي صلى الله عليه وسلم في ألف وأربعمائة - على أصح الروايات - من أصحابه يوم الإثنين مستهل ذي القعدة من السنة السادسة . وكان قد رأى أنه دخل مكة وأصحابه آمنين ، محققين رهوسهم ومفصرين ، وأنهم دخلوا البيت وطافوا به ، وأخذ هو مفتاحه ، ووقف على عرصات مع الوافقين .

فس هذه الرؤيا على أصحابه ففرحوا ، وخرجوا معه ممتارين محرمين من ذي الحليفة والهدى يساق بين أيديهم ، ولم يكن معهم من السلاح سوى السيوف ، وكانوا يخافون أن تصدم قريش عن البيت ، وعلم النبي أنهم خرجوا في نسائهم وصبياتهم متأهبين للقتال . فصف الجيش ومضى بعد أن استشار أصحابه ، واختلفت الرسل بين الفريقين ، ففقد الصلح على وضع الحرب مدة اختلف الرواة في تقديرها ، فقال بعضهم عشر سنين ، وقال بعضهم أربع ، وقبل سنتان ، وأن من جاء إلى النبي من المسلمين بغير إذن وليه رده إليه ، ومن أتى المشركين بمكة مرتداً من المسلمين احتسبوه عندهم وأن يرجع النبي وأصحابه ، ثم يعودون للطواف بالبيت في العام التالي ، لا يحملون سوى سلاح الراكب ، فتخلى لهم قريش مكة ثلاثة أيام يعودون بعدها إلى المدينة ، وقد نارت نفوس المسلمين لهذا الصلح ، ولكن الله ثبت قلوبهم ببركة رسوله الكريم وحكمته التي تجلت آثارها بعد ذلك ، وكانت بركة الرضوان من بركات هذه الغزوة الميمونة .

منك الحنين ، ومنه ما هو أعظم
البيت أنت به أحق وإن أبي
ما أصدق الرؤيا وأقرب حينها
إن يخل منها اليوم ، فالغد بعده
سريارسول الله جنسك بأسل
آثرت ربك وحده ، لا تشتكي
لو يستطيع أذاك لا يتلوم^(١)
من أهل مكة جاهل لا يعلم
فاصبر على ثقة ، وربك أكرم
بانخير والرضوان منها فمعم^(٢)
وقواك محصدة ورأيك محكم^(٣)
فيه من الأهوال ما تتجشم

(١) التلوم التمسك والانتظار .

(٢) ملآن .

(٣) المحصدة المحكم القتل .

ومضيت معتمراً بصحبك محرماً^(١) والهدى حال بالقلائد معلم^(٢)
والمؤمنات الصالحات كأنما^(٣) فيهن سارة والرضية مريم^(٤)
من كل أم برة لم يلها^(٥) بعل ، ولم يغلب نوازعها أبت^(٦)

* * *

يا طيب ماليت ربك إنه^(٧) للحق يزلفه فؤادك والقم^(٨)
أين الشريك لمن تصرف وحده^(٩) في ملكه ، أمن سواه المنعم ؟
لبيك ربى ، إن قضيت لنا الهدى^(١٠) فكتابك الهادى ، وأنت المالمهم

* * *

تلكم قريش أقيمت في غضبة^(١١) مشبوبة ، وحمية تنضم^(١٢)
قالت : أيدخلها علينا عنوة ؟^(١٣) السيف أولى أن يحكم^(١٤) والدم^(١٥)
وروى ابن سفيان الحديث ، فلودرى^(١٦) لغة السيوف خلها تتكلم^(١٧)
أصفت إليه ، فلم يقرّ بغمده^(١٨) منها على طول التحم مخذم^(١٩)
يجد التقاة الحرمون ولا كما^(٢٠) يجد التقى من السيوف المحرم

(١) الهدى ما يهتدى إلى الحرم من النعم .

(٢) خرجت أم سلمة وأم عمارة ، وأم منيع ، وأم عامر الأشهبية - رضى الله عنهن - مع الجيش في هذه الغزوة .

(٣) ابن .

(٤) لى صلى الله عليه وسلم بقوله - لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك ، والملك لا شريك لك يزلفه بمعنى يقربه .

(٥) قالوا : أيريد محمد أن يدخلها مكة علينا في جنوده معتمراً ، فتسمع العرب أنه دخل علينا عنوة . وبيننا وبينه من الحرب ما بيننا ؟ والله لا كان هذا أبداً ومناعبن تطرف .

(٦) هو بسر بن سفيان أرسله النبي إلى مكة لتعرف أخبارهم فعاد إليه يقول أنهم استنفروا من أطاعهم من العرب ، وخرجوا بالنساء والصبيان ، وليسوا جنود الثمر ، ولهم نزلوا بنى طوى يتعاهدون على صد المسلمين - قال : وهذا خالد ابن الوليد في خيامهم عند كراع النعم .

(٧) اتخذم السيف القاطع .

أبديت تباريح الموم شديدة وأشهد منها ما تُجئ وتكم
وددت لو ان الله قال لها، اضربي فضت ، تظللها النور الخوم

* * *

قال النبي أنتقيها خطبة هي ما علمت ، أم نجدت وتقدم (١)
فأجابته الصديق بلى نمضي إلى ما كنت تنوي بالخروج وتعزم
ورمي بها المسقداً خطبة مؤمن يرمي الخطوب بنفسه ، لا يحجم (٢)
ومضوا يرون المشركين بذي طوى والخليل شتى ، والحميس عرمم (٣)

* * *

أبلال أذن للصلاة ، فثبها أسنى وأشرف ما يجب المسلم (٤)
نهض النبي يقيمها في صحبه لله ، تبدأ بالخشوع وتحم
وأعد طائفة تقوم ، فتتقى كيد العدو إذا بكر ويهجم
حتى إذا سجد الرفاق تحننوا عنهم ، فضوعف أجرهم والمنعم

* * *

(١) لما سمع النبي أن المشركين يريدون منعه عن البيت ، قال لأصحابه : أشيروا على أيها
الناس ، أتريدون أن نؤم البيت فني صدنا عنه قائلناه ؟ قال أبو بكر : يا رسول الله خرجت
علمداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرباً . فتوجه له ، فمن صدنا عنه قائلناه .
(٢) المقداد بن عمرو ، قال يا رسول الله - لا تقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى
ولسكنا نقول : اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا معكما مقاتلون . والله لو سرت بنا إلى (برك
العقاد) سرنا معك ما بقي منا رجل ، قال : فامضوا على اسم الله ، فوالله لا أزال أجاهد على
الذي بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة صفحة العنق ، كناية عن القتل .
(٣) الحميس العرمم الجيش الكثير العدد .

(٤) صلاة العصر كانت بعصفان وهو موضع قريب من كراع الغميم - موقف خالد بن الوليد
بالخيل - صف النبي المسلمين صفين ثم أحرم بهم وركع فركعوا ، واعتدل فاعتدلوا ، فلما سجد
سجد معه الصف الأول سجديته ، وتحلف الصف الثاني فبقي معتدلاً للحراسة ، ثم قاموا فسجد
هؤلاء وقاموا ، ثم تقدم الصف الثاني وتأخر الأول ، فقام بالحراسة على النحو السابق ،
فلما جلس النبي للتمشهد في الركعة الأخيرة جلسوا جميعاً فتمت الصلاة .

جيش الهدى واليمن عند جلاله يمين قائده يُصف ويُنظم
جعل ابن بشر (٤) في الجهاد لخالد يلقاه إن جمع الفوارس مازم (١)

* * *

سلكوا الطريق الوعر يسطع نوره وأضل غيرهم الطريق المظلم (٢)
يمضي الدليل بهم ، ويذهب موقنا ثباتاً ، فما يرتاب أو يتوهم
بوركت ناجية بن جندب من فتى جلد على الضراء لا يتبرم
وجب الثناء لأسلمى ماجد شرفت به نسباً ، وعزت أسلم

* * *

تلك الحديدية الحبيب ذكرها للحق فيها منزل ونحيم
نزل الهداة بأرضها ، فكأنما طلعت لأهل الأرض فيها الأنجم
يامبرك القصوى أنك رسالة جاءتك ، أم هي من كلال ترزم ؟ (٣)
أبت المضي ، ولم يكن ليعوقها لو شاء ربك مبرك أو مجثم
لو شاء أرسلها فززل مكة خطب يضح له الحطيم وزمزم

* * *

أبديل أقبيل في رجالك ، والتمس علم اليقين لمن يظن ويزعم (٤)
قال النبي أتيت غير محارب وانظر ، فإن الحرب لا تتلثم
الهدى حولك ، والسيوف كما ترى مقروبة ، وكأنا هي نؤم (٥)

(١) لما صف النبي الجيش جعل عباد بن بشر يازاء خالد بن الوليد والمأزم المضيق .
(٢) قال النبي : من يخرج بنا على طريق غير طريقهم ؟ فقال رجل من أسلم هو ناجية
ابن جندب : أنا يا رسول الله ، ومشي أمام الجيش في طريق وعر حتى جاءوا الحديدية بأسفل مكة
(٣) ناقة النبي ، بركت في مكان هناك ، فعلم أن الله لا يجب أن يدخل مكة عنوة .
(٤) بديل بن ورقاء سيد قومه أسلم يوم فتح مكة قدم إلى النبي من قبل قريش في رجال
من خزاعة يسأله ماذا يريد ؟ فقال ، ما جئت للحرب ، ولكني جئت زائراً للبيت . ومعظماً
لحرمته ، فلما عادوا إلى قريش وأخبروهم بذلك اتهموهم وأحفظوهم بسبب القول .
(٥) مقروبة ممتدة في قريش جمع قراب وقراب السيف عمده .

ما جئت إلا للبيّنة زائراً
إرجع إلى القوم الغضاب، وقل لهم
إن تمنعوا البيت العتيق يكن لكم
البيت بيت الله، جل جلاله
أقضى لربي حقها وأعظم
ردّوا النفوس إلى التي هي أقوم
يوم من الحدّان أريد أقم
ولنحن أولى بالمناسك منهم

* * *

نصح ابن ورقاء الرجال، فياله
قالوا: أئذ عن صاغرين؟ وأقسموا
وتتابعت رسل، ففهم غادر
ومقسم الأخلاق يحسن مرة
أهوى على يده المغيرة ضارباً
ما انفكّ يضربه بمقبض سيفه
أسرفت عروة فاقصد، واقبض يداً
كيف ارتقيت إلى محلّ ماله
أبلى حية المختار تمسك؟ إنها
أحسن قولك في الذين ذمّتهم
من ذي مناصحة يسبّ ويؤتم
أن يبنذوا المثلى، فبئس المقسم
يبغى الفساد، وحاذر يتأثم^(١)
ويسىء أخرى في الحوار فيعزم^(٢)
لولا الأناة لطار منه المصم
والسيف يفضى، والمنية تحلم
ربيع السماك لها، وغيط المرزم^(٣)
راق، ولو أن الكواكب سلم؟
لنصان في حرم الجلال وتعصم
وأبي الذين طفوا، فأنت مذم^(٤)

عابوك إذ قلت الصواب جهالة
صدق الخليس فأوجعوه ملامة
بعث الهداة الهدى، ثم أقبوا
جاءوه شعناً يرفعون لربهم
فهفت جوانحه، وقال على أسيّ
سبحانه، أنصدّهم عن بيته؟
مولى الأحابيش الذين تألّوا
نبذت قريش رأيه، واستكبرت
أيعاب من يأبى النفاق ويوصم؟
والقوم لليقظ المسدد لوم^(١)
يلقونه، فعسناه هم مؤلم
صوتاً يردده الأصم الأبكم^(٢)
سبحان ربي، مالنا نتجرم؟
إنا إذا قوم نجور ونظلم
لا يتبعون سبيل أقوام عموا
والغى أنكذ ما علمت وأشام

* * *

أذهب خراش إلى قريش ناصحاً
عقروا بعيرك ناقين، وأوشكوا
لولا الأحابيش استحلّ بظاهم
فلملها تبغى الصواب ففهم^(٣)
أن يقتلوك، فأيّتهم لم يتقموا
منه دم ما يستحلّ محرم

* * *

لا يسلمونه لشيء أبداً، فروا رأيكم فإنه عرض عليكم رشداً، إقبوا معارض عليكم فإن ناصح
لكم، وأنكم لن تصروا عليه - قالوا: لا تتكلم بهذا يا أبا يعفور. قال ما أراكم إلا
ستصيبيكم قارعة، ثم انصرف هو ومن معه إلى الطائف - وعروة هذا هو ابن مسعود الثقفي
الذي عنده قريش بقولها (لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريشيين عظيم) وقيل هو الوليد
بن المغيرة.

(١) سيد الأحابيش لما رآه النبي قال: هذا من قوم يتألّون، أي يتمدون ويعظمون
أمر الله، لبثوا الهدى في وجهه حتى يراه فلما رآه يسيل عليه بقلائده من عرض الوادي قد
أكل أوباره من طول الحبس، واستقبله المسلمون يلبون قد شعثوا، صاح قائلاً: سبحان
الله. ما يبغى هؤلاء أن يصدوا عن البيت، هلكت قريش ورب الكعبة، وعاد إليهم
فهمهم عما اجتمعوا له، فغضبوا وقالوا: لجلس فإيما أنت أعرابي ولا علم لك، فثارت نفسه،
ونوى الإقصال عنهم.

(٢) تجرم الرجل على الآخر نسب إليه الجرم وهو بريء.

(٣) خراش بن أمية الخزاعي بعثه النبي إلى قريش وحمله على بعير له ليلبع رؤسهم أنه
ساجد محارباً فمقروا بعيره وأرادوا قتله فبغى الأحابيش.

(١) الغادر هو مكرز بن حصن، بعثوه إلى النبي، فلما رآه مقبلاً قال: هذا الرجل غادر،
وكان ما أخبره به كاذب سمعه بديل بن ورقاء والحاذر هو الخليس بن علقمة سيد الأحابيش.

(٢) عروة بن مسعود الثقفي أسلم بعد ذلك وقد على النبي فجلس بين يديه ثم قال يا محمد
جئت أوباش الناس ثم جئت فيهم إلى بيضتك لتفضها بهم، لأنها قريش خرجت معها العوذ الطائيل
قد لبسوا جلود النمر، يماهدون الله أن لا تدخلها عليهم عتوة أبداً، وأيم الله لكأنى بهؤلاء
قد انكشعوا عنك، ثم جعل يتناول لحيتة الغريفة وهو يكلمه على عادة العرب، والمغيرة بن
شعبة واقف على رأسه يضرب على يد عروة بمقبض السيف ويعرم بمعنى يفارق الفصد
وبجاوز الحد.

(٣) السماك نجم والمرزم الأسد.

(٤) لا رجع عروة إلى قريش قال: إن جئت كسرى في ملكة، وقصر في ملكة،
والنجاشي في ملكة، فوافقه ما رأيت ملكاً في قومه قط كحمدي في أصحابه، إن رأيت قوماً =

ذهب ابن عفان إليهم يبتغي
فأبوا وقالوا، لا فكاك لكم وما
هم أمسكوه ثلاثة في صحبه
أفلا رعو أرسل النبي وصهره؟
(١) أن يؤثروا الرأي الذي هو أحزم
نحن الألى نأبى الهوان ففرغ
ورموا بها ماسومة تتقحم
إن العقول على المراس لتعقم

* * *

دبّ ابن حصن في الظلام، فراعاه
حمل ابن مسلة ففادر صحبه
جاءوا للعسكر أربعين، يقودهم
وأنى الرماة فجال في أحشائهم
منع الأسى، وشفى كلوم قتيابهم
أشقى الأذى والعدر جدّ رجالهم
سقطوا، فحسب القوم ما يجدونه
يقضان مثل الصلّ ليس يهوم (٢)
ومضى، فلا رجع الجبان الأيهم (٣)
أسرى عليهم للمذلة مبسم
سهم تظل به السهام تحطم (٤)
شكوى قلوب من قريش تكلم (٥)
وجرى لهم بالأسر طيّز أسحهم
وكفى شهيد الحق ما يتسهم

* * *

بعثت قريش أطلقوا أصحابنا
وخذوا الرهائن والأسارى منكم (٦)

- (١) هو عثمان بن عفان رضى الله عنه، ذهب إليهم في عشرة رجال من أصحابه بأمر النبي صلى الله عليه وسلم ليصرفهم عما هم فيه فلم يقبلوا، واحتبسوه ومن معه ثلاثة أيام .
(٢) مكرز بن حصن، بعثته قريش في أربعين رجلاً ليطوفوا بمسكن المسلمين ليلاً، لعلمهم يصيبون منهم أحداً، أو يجدون منهم غرة، وكان المسكن في حراسة محمد بن مسلة رضى الله عنه، فحصل عليهم وأسروهم إلا مكرزاً (الفادر) فإنه أفلت والصل الثعبان وهو الرجل هوم رأسه من النعاس أو نام قليلاً .
(٣) الأيهم من لا عقل له ولا فهم .
(٤) لما أسر محمد بن مسلة من أسر بعثت قريش قوة من رجالها فرموا المسلمين بالنبل والحجارة، وأعان الله عليهم، فأمروا منهم اثني عشر رجلاً .
(٥) هو ابن زبير رضى الله عنه أصابه سهم فأت .
(٦) هم عثمان بن عفان وأصحابه رضى الله عنهم .

صدموا بقارعة تفاقم صدعها
لولا الضراعة من سهيل هدّهم
بئس المآب لعصبة تأبى الهدى
يا تارك الطفيان يعبس جده
من حق ذى النورين أن يدع الدجى
أإليك مد ذوو العمى أظفارهم؟
لولا سفاهة رأيهم لم يصدموا
بأس تهّد به الجنود وتهدم (١)
بيضاً معاملة، ونعم المقدم
أقبل، فخذك مقبل يتبسّم
خزيان، يُلطم وجهه المتجهّم
فانظر إلى الأظفار كيف تُقلّم

* * *

هي بيعة الرضوان لم تترك لهم
سهل يشق على العيون مبرح
فكأتما في كل عين مبرد
المسلمون يبأيعون نبيهم
لا يحسبون دم المجاهد مغرماً
إن ضمّهم عند الشهادة مورد
الله مولاهم، ونصر رسوله
ليلاً ينام، ولا صباحاً ينعّم (٢)
وأسى يعصّ على القلوب مسّم
وكأتما في كل قاب أرقم (٣)
يستمسكون بعروة ما تُفصم
هو عندهم إن لم يُرقه المغرم
لذّ المذاق لهم، وطاب المطعم
حقّ عليهم في الكتاب محتمّ

- (١) سهيل بن عمرو، بعثته قريش إلى النبي في جمع، فتقدم إليه صلى الله عليه وسلم وقال: يا محمد إن الذي كان من حبيس أصحابك وما كان من قتال من فالتك لم يكن من رأي ذوى رأينا، بل كنا كارهين له . حين بلغنا، ولم نعلم به، وكان من سفهاتنا، فأبعت إلينا بأصحابنا الذين أسرت أولاً وثانياً . قال رسول الله - إنى غير مرسلهم حتى ترسلوا أصحابي : فقالوا نعم، وقضى الأمر على هذا .
(٢) كان النبي صلى الله عليه وسلم جالساً تحت شجرة من السمر فدعا أصحابه - أيها الناس البيعة البيعة، نزل روح القدس، فأخرجوا على اسم الله - فأقبلوا فبايعوه على الصبر والثبات وأن لا يفروا، فأما الفتح، ولما الشهادة، وقد خطبوا بقوله: أتم خير أهل الأرض، وقد أحب الناس هذه الشجرة فاتخذوا لهم مسجداً عندها يصلون فيه، وعلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه بأمرهم فتوعدهم وأمر بقطعها لئلا يفتنوا بها .
(٣) الأرقم أختت الحيات وأطبلها للناس أو مافيه سواد وبياض أو ذكر الحيات .
(١٤) - ديوان مجد الإسلام)

نهضوا خِفافاً، لو رأيت جموعهم
 ما منهم إلا على يديه يدٌ
 لثمتَ بإيمان القلوب، وإنها
 نعم العطاء لمعشر ما بينهم
 ما جلّ مُدّخر نفيم شأنه
 لعلت أي الناس إيماناً هم
 الله، ينظر نورها انتوسم
 لترى على مرّ الزمان فتلتم
 نكيد يردّ، ولا شقي مجرم
 إلا الذي ادخروا أجلّ وأنعم

* * *

هذا سهيل جاء يحمل سؤلمهم
 ويقول: دعها يا محمد خطة
 إنا نخافُ العارَ، فأيكُ بيننا
 الحرب تُوضع بيننا أوزارها
 لك من سلاحك ما تقلد مُنجد
 واجعل سيوفك في العمود ولا تنضق
 حدّ المقام ثلاثة، فإذا انقضت
 من جاء منكم لا يردّ ومن يحيى
 هذا الذي نرضى، فهل من كاتب
 ويعيب ما صنع الرماة ويندم^(١)
 يرمى بها الشرف الرفيع فينم
 صلح ندين به، وعهد مبزم
 وتعود إن جمع الحجيج الموسم
 يبقى السلامة، أو تزودُ منهم^(٢)
 بالشر يُدراً، والمضرة تحسم
 فدعوا منازلنا ويثرب يئموا
 منا، فمردود إلينا مسلم
 يشفى الصدور بما يخطُ ويرقم؟

* * *

رضى النبي يريد رحمه ربه
 صاح الرجال، وراح فاروق الهدى
 ويقول للصدّيق من هو يا أبا
 أهو الرسول ونحن نتبع دينه؟
 اللين من خلق الضعيف ودأبه
 مهلا هداك الله، والزم غرزه
 إهنا أبا بكرٍ قضيت بحجّة
 وأبو عبيدة إذ يعوذ بربه
 يرقى من الفاروق نفساً صعبة
 قال النبي كفاك يا عمر اتشد
 أرضى وتأبى أنت؟؟ إن وراءنا
 إني رسول الله ليس بخاذلي
 الأمر غيب، ما مثلك مطمع
 هو عبده، وهو الأبرّ الأرحم
 يهتاج في برديه فحل مُقرم^(١)
 بكر؟ وأية ملة بتسم؟؟
 فلم الهوان؟ ومالنا نستسلم؟
 ومن العجائب أن يابن الضعيف
 إن كنت تطلب خير غررٍ يلزم^(٢)
 صدع اليقين بها، وأنت مترجم
 يخشى بوادر صدعها لا يلام^(٣)
 تأبى عوارمها إذا ما تعجّم
 فالحق في سلطانها لا يهزم
 لو كنت تعلم، ما نحب ونرام^(٤)
 والله يُقدّر ما يشاء ويقسم
 في علمه، والغيب باب مبهم^(٥)

* * *

اكتب على فلن ترى من جامع
 إلا يُزَمُّ على الزمان ويخطم^(٦)

(١) المقرم العير المكرم، لا يركب ولا يذلل.

(٢) الفرز ركاب الرجل من الجلد.

(٣) أبو عبيدة بن الجراح قال لعمر وهو يراجع النبي في الأمر: ألا تسمع يا ابن الخطاب رسول الله يقول ما يقول؟ نعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وجعل يكررها والصدع الشق ويلام يفتن.

(٤) قال الرسول الكريم لعمر: يا عمر إن رضيت وتأبى.

(٥) معلق.

(٦) قال النبي لعلي بن أبي طالب، اكتب باسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل: بل يكتب باسمك اللهم على عادة قريش - قالوا: وأول من كتبها أمية بن الصلت - وقال لعلي بعد أن كتبها، اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو، فقال سهيل: =

(١) سهيل بن عمرو، بعثته قريش لعرض الصلح على النبي، فرضيه حقناً للدماء، ولإثارة لما هو أحق وأولى. فبدأ التذمر من بعض المسلمين، وذهب عمر غاضباً حتى أتى أبا بكر فقال له: أليس هو رسول الله؟ قال: بلى، قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال بلى: قال أولسوا بالمشركين؟ قال: بلى - قال: فلام نعطى الدنيا في ديننا؟ فقال له أبو بكر يا عمر الزم غرزه فإني أشهد أنه رسول الله، قال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله، ثم أقبل عمر على النبي فقال له مثل ما قال لأبي بكر فقال له: أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره. ولئن أخاف أن يضيبي.

(٢) أعجب الرجل أن نجد أبا أو خرج إليها أو دخل في بلادها، وأتهم أن تهامة أو كان كذلك.

وأبي سهيل أن يصكون كتابه
قال : امح باسم الله وامح رسوله
الدين مختلف ، وليس لنا سوى
فأبي علي ما أراد ، وهاجه
قال النبي أفلع ، وسوف بمثلها

* * *

نظر ابن عمرو نظرة ، فرأى ابنه
قال : ارجعوه فذاك أول عهدكم
واقض يضربه ، فيالك مسلماً
رقت قلوب المسلمين لخطبه

لو شهدت أنك رسول الله لم أفاتلك ولم أصدك عن البيت . فليكتب باسمك واسم أبيك . فقال
النبي لعل . امح رسول الله واكتب محمد بن عبد الله . فشق عليه الأمر وقال . ما أنا بفاعل ،
فعا النبي الكلمة بيده الشريفه وقال لعل ، اكتب فإن لك مثلها تعطيها وأنت مضطهد - يشير
إلى ما وقع بين علي ومعاوية في حرب صفين ، فقد كتب الذي تولى عقد الصلح بينهما : هذا
ما صالح عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه معاوية بن أبي سفيان فقال عمرو
ابن العاص (أحد الحكيم) اكتب اسمه واسم أبيه . وقال معاوية لو كنت أعلم أنه أمير
المؤمنين ، فحيت كلة أمير المؤمنين وكتب مكانها (علي بن أبي طالب) ويزم يقاد بالزمام وهو
الحبل يخضم بوضع الخطام وهو الحبل في عنقه أو عليه وعلى أنه .

(١) الروشم الطابم .

(٢) تؤدم بمعنى تخطط .

(٣) المراد الغضب ، وكظام غيظه كتمه .

(٤) هو أبو جندل بن سهيل بن عمرو . كان يعذب بمكة لإسلامه فأفلت من المشركين

وجاء يرست في الحديد ثم رى نفسه بين أظهر المسلمين فجعلوا يرحبون به ويهشونه ، وقام
إليه أبوه فصار يضربه على وجهه . فرقوا عليه وبكوا ، وقال أبوه . يا محمد هذا أول
ما أقاضيك عليه . فقال : صدقت . وأخذ يرده يردده إلى قريش فجعل يصرخ بأعلى صوته :
يا معشر المسلمين أريد إلى المشركين يفتنون عن ديني ، ألا ترون ما لقيته ؟ قال النبي يا أبا جندل
اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولئن معك من المستضعفين قريباً ومخرجاً ، لما عقدنا بيننا
وبين القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك وأعطيناهم عهد الله أن لا تقدر بهم .

أأخذ النبي بثوبه فأعاده
قال : انقلب ، وكفى بربك حافظاً
فحضى يقول : ألا ذملم لامرئ
عُد في قيودك واصطبر ، إن الأذى
كم للألى أتبعوا الهدى من مغم
خير على خير يضم ركامه
يترم الباكي وإن بلغ الأسي
أخذوا الصحيفة فتهى في أوهامهم
طاروا بها فرحاً ، وبين سطورها
نصر مضى مظفرين أعزة
ليس التصرف للقواضب ، إنما
اللبغى حين ، ثم يقصم صلبه
ولقد يقام العرس من سفه الألى
من مكرمات الحق أن وآية
وأحق من حمل اللواء مجاهد
وف المطالب حقها ، واصبر تفر
هذا نظام للشعوب ، ومنهج
نزل الكتاب به ، فأيقن مهتد
طب الهدى الشافي ، وأعجب ما أرى

يبني لأمته البناء ويدعم
إن التوكل للسلامة تؤام
يبغى الفرار بدينه يستعصم ؟
لأضر ما اتجع الرجال وأوخم
في حرمة تنغى وحق يهضم
شر على شر يضم ويركم
منه ، ويبكي الناعم المترنم
كالكنز يأخذه الفقير المعدم
دهياء بارزة التواجد صيلم
لم يمض منهم مخدم أولهم
بالرأى تحكم في الرقاب وتحكم
والعدل صاب قائم ما يقصم
فرحوا ، وأولى أن يقام المأثم
بأشد ما يرمى يعان ويخدم
ماض على هول الخطوب مصم
ما خاب إلا من يمل ويسأم
حق يراه فصيحها والأعجم
وارتاب ضليل ، وج مرجم
طب تصح به النفوس وتسقم

أتقدح يا حويطب زندقاً سوءاً دع الرأي الرشيد، وزده قدحاً
لعنك إن رأيت له هيباً تكون أشدَّ من يصلاه برحاً

* * *

وراءك يا حويطب كلُّ غضب يسحُّ الموت من حدَّيه سحاً^(١)
يجرده لنصر الله قرم يصول فيمسح الأعناق مسحاً^(٢)
سحى النفس، والهيجاء تغلى فتملأ أنفاس الشجعان شحاً

* * *

بني بكر أما أبتهم حزاني كما آبت خزاعة وهي فرحي؟
هو الجذع الشقي علاه جدُّ تلقى نعمة، وأصاب نجحاً

خزاعية وبنو بكر

في هذه الغزوة المباركة دخلت خزاعة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ،
ودخل بنو بكر في عهد قريش ، فساء ذلك كثيراً من رجالهم ، ومنهم
حويطب بن عبد العزى ، فقال سهيل بن عمرو : باد أنا أخوالك بالمداومة
وكانوا يسترون منا . قال سهيل : ما هم إلا كغيرهم ، هؤلاء أقاربنا ولحمنا
قد دخلوا مع محمد منهم قوم اختاروا لأنفسهم أمراً ، فما نصح بهم ؟ .
قال حويطب : تنصر عليهم خلفاءنا بنو بكر ، قال سهيل : لياك
أن يسمع هذا منك بنو بكر ، فإنهم أهل شوأم ، فيسبوا خزاعة ، فيغضب
محمد لحلفائه ، وينقض العهد الذي بيننا وبينه .

خزاعة أبشرى بالعهد سمحاً وزيدى دولة الإسلام فتحاً
كفى بذمام أوفى الناس عهداً لكلِّ معاهد غمنا وربحاً
ألح على بني بكرٍ شقاءً تزلُّ له العقولُ إذا ألحاً
هم اتبعوا الألى انقلبوا بقرح فزادوهم بما اقترفوه قرحاً^(١)
حويطب ما يفيظك من رجال هموا ضربوا عن الغاوين صفحاً؟
أتيح لقذحهم فوزٌ مبينٌ وخيب من أحب ذويك قدحاً^(٢)

* * *

رويدك ، إن أخوال ابن عمرو لأرفع قبة وأعزُّ صرحاً
ولولا ما برأيك من ضلال لجانبت الملام ، وقلت : مرحى^(٣)
أمن عرف الرشاد فطاب نفساً وأقبل يبتغيه كمن تنحى ؟
تحاول أن تثير الحرب حتى تراها تلتفح الأبطال لفتحاً
لقد مضت النقالة من لبيب يقول الحق ، لا يألوك نصحاً

(١) القرح الجرح .

(٢) القدح السهم .

(٣) كلمة نعال للرأي إذا أصاب تعجيباً .

(١) الغضب من السيوف المقاطع .

(٢) القرم الفحل الكرم ، وبه يشبه السيد العظيم .

لكلٍّ منهما في الحىّ عينٌ
 وقلب دائم الخفقان هاف
 هنا كانت ، فأين مضت ؟ وأنى
 أما عند ابن عفانٍ شفاء
 أتذهب أختنا ، لأنحن ندرى
 كفى يا بنت عقبة ما تقينا
 تدور كأنها عين الحرب^(١)
 طويل الوجد ، متصل اللهب
 تعاود خدرها بعد المغيب ؟
 فيكشف كربة العاني الكتيب ؟
 ولا هو عنده علم اللبيب ؟
 من الأحداث بعدك والخطوب

* * *

قفي يا أمّ كلثومٍ فهذا
 حلت بفضل ربك خير دار
 تلقّك النبی فوی بشر
 يرحب ما يرحب ، ثم يضي
 وما نسب بأقرب من سبيل
 سبيل الله ، ليس إذا ما
 هدى السارى ، يسده فيمضي
 يمرّ بأخرين ، لهم عواء
 يرى سبل النجاة ، وكيف ضوا
 ويحمد فالتق الأصباح حدّ
 تعالى الله ينزل كل برّ
 محطّ الرحل للنسأى الغريب
 بطيبة فانعمى نفساً وطيبى
 رعت عينك في الكرم الخصب ؟
 عليك حنان ذى النسب القريب
 يؤتف بين أشتات القلوب
 بوت السبل أجمع من ضريب
 بمخترى السباب والسهوب^(٢)
 يشيع بالتوجع والنحيب
 فيعجب لمصارع والجنوب
 يهزّ جوانح الوادى الطروب
 بعال من منازله رحيب

* * *

عمارة والوليد ولا خفاء
 على فرط التجهم والشحوب

أمرُ كلثومٍ رضي الله عنها

هي بنت عقبة بن أبي معيط ، وأخت عثمان بن عفان رضى الله عنه ،
 أسلمت وبايعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل هجرته إلى المدينة ، وخرجت
 من مكة بعد رجوعه من المدينة مهاجرة لله ولرسوله . فلما بلغت المدينة
 ذهبت إلى دار أم سلمة رضى الله عنها وهي من أمهات المؤمنين ، فرحب
 بها الرسول الكريم ، وخرج أخاها عمارة والوليد في طلبها ، يريدان
 ردها بالحق الذى في العهد ، فقالت : يا رسول الله أنا امرأة ضعيفة لا تردنى
 إلى الكفار ، إلى أخافهم على ديني ، فنزل قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا
 إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فمتجنوهن - الآية) والامتحان أن تستجيب
 المهاجرة أنها إنما هاجرت لله ورسوله ، وبهذه الآية خرجت المؤمنات
 المهاجرات من حكم الرد الذى وضع في ذلك العهد ، فبقيت السيدة أم كلثوم
 وكانت أول مهاجرة ، ولم يكن لها زوج بمكة فتروجها زيد بن حارثة
 رضى الله عنه .

أجيبى أم كلثوم أجيبى
 لمكة إذ يضام الدين فيها
 خذى قصد السبيل إلى ديار
 حتى الإسلام يمنع كل عاد
 رعاك الله ، فانطلقى وسيرى
 أردت الدين معمور النواحي
 تطيبين التائق من حذار
 رويدك ، إن عين الله ترى
 أرى أخويك في أمر مريج
 يلف حشاها حزن عميب
 ترامت دعوة الداعى المهيب
 أحق بكل أفك مريب
 محببة المسالك والدروب
 وغيل الحق يدفع كل ذيب
 ولا تهنى على طول الدروب
 نفوضى اليد مقفرة وجوبى^(١)
 وقبلك لا يقر من الوجيب
 خطاك ، فلن يسوءك أن تؤوى
 وهم من مصابهما مذيب^(٢)
 إروعة ذلك الحدث العجيب

(١) الحرب الذى سلب ماله .

(٢) السباب جمع سبب ، وهو الغاظة أو الأرض المتوية البعيدة ، والسهوب بمعنىها

(١) من جاب قطع .

(٢) أمر مريج مختلط أو ملتبس .

هما عرفا السبيل ، فلا مقام
أهبا بالرسول أعدنا إلبنا
هو العهد الذي أخذت قريش
سجيتك الوفاء ، وما علمنا
برأيك فاقض ، واردها علينا
فإنك أنت ذو الرأي المصيب

* * *

عناها أن تُردَّ ولا ظهير
فصاحت : إنني امرأة ومالي
ربك يا محمد لا تدعني
يعذبني لأترك دين ربي
أرجع يا حي الضعفاء ولهي
ومالي في ظلالك من نصيب؟

* * *

أتى التنزيل يصدع كل شك
ويحكم حكمه عدلا وبرًا
إذا جاء النساء مهاجرات
يقين مع النبي وإن تمادت
ويخلو ما استكن من الغيوب
فيلقى بالدواء إلى الطبيب
يردن الله ديان الشعوب
لجاجة كل عريض شغوب

* * *

ليهنك أم كلثوم مقام
وزوج ذو محافظة نجيب
يقى إلى ذرى الإسلام منه
فتمى للسلم يرحى والحروب

وما زيد بن حارثة ينكس
أخو المختار من عليا قريش
إذا التقت الكفاة ولا هيوب^(١)
ومولاه الحبيب أبو الحبيب^(٢)

(١) النكس الضعيف الدنيء الذي لا خير فيه . والكفاة جمع كفى . وهو الشجاع
أولابس السلاح ، لأنه كفى نفسه ، أي سترها بالدرع والبيضة .

(٢) في البيت إشارة إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة رضي الله عنه أنت
أخونا ومولانا وأنه كان حبه كما كان ولده أسامة بن زيد يدعى الحب ابن الحب .

(١) النكوب الميل والرسول .

سألا العهد عند أكرم مسئو ل فأعطاها وفاء وحلما
إنقلب يا أبا بصير فليس الدين الهداة غدرأ وإتما
حبك الله إنه لك عون وسيكفيك كل خطب أتما
هو مولى المستضعفين ينجيهم إذا ما طغى البلاء وطما

* * *

عاد يُخفي لصاحبيه من الشنآن ما يملأ الجوانح سُما^(١)
وشفاها بذى الخليفة نفساً أو شكت أن تزول همًا وغما^(٢)
نظر السيف في يدي أحد الخصمين ، ييدى من المنية وسما
وهو يطريه في غرور ويسقيه نفوس الكمة ظنا وزعما
قال : بل أعطني أنظره ، إني بسجايا السيوف أكثر علما
ثم غشا ضربة عمت كيف يخشى الهزير من كان شهما
جاء بصطاده غرورا فأردا ه ، وكان الغرور شرا وشوما
صد عنه رفيقه وتولى يتوق قضاءه أن يحما
طار يهفو كالسهم ، يمضى بعيدا وهو أنأى مدى ، وأبعد سرى
طلب السيف نفسه وهى وهى لو تذوق الردى لما مر طمعا

* * *

كذب الوهم ، ما الحياة سوى الأمن ، وشر الأمور ما كان وهما
وقع الطائر المسيف على النسر الذى يملأ السماوات عزما
الرسول الذى تدين له الأراض ، وتهفو إليه حربا وسلما
قال : إني لهالك ، فأجرنى لا تدعنى لبعض صبيك غملا

(١) الشنآن البغض .

(٢) المكان الذى قتل الرجل فيه .

أبو بصير وأصحابه رضوا عنهم

جاء أبو بصير رضى الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان من
الختبيين بمكة ، فبعث أزهري بن عوف أسلم بعد ذلك يطلب رده من النبي في
كتاب يحميه رجل من بني عامر اسمه خنيس وجاء معه آخر يهديه الطريق
وقال النبي لأبي بصير : انطلق إلى قومك فليس الغدر من ديننا وسيجعل
الله لك فرجا ، فرجع معهما ، واحتال على أخذ السيف من أحدهما فقتله
به ، وحمل على الثاني ففر راجعا إلى المدينة وهو يعدو في أثره ، وقال
الرجل للنبي : قتل صاحبكم صاحبي وأقلت منه ولم أك ، ثم استغاث به ،
وقال أبو بصير للنبي : لقد وثيت بذمتك ، فقال له : اذهب حيث شئت :
فذهب إلى محل من طريق الشام تمر به تجارة قريش ، وطار الخبر ، فقدم
إليه أبو جندل في سبعين فارسا ، ولحق به آخرون من المسلمين ، فكانوا
ثلاثة مقاتل . ما رأوا عبدا لقريش إلا أخذوها ، ولا رجلا إلا قتلوه ،
فبعثوا يسألون النبي بالأرحام إلا آوى هذه القوة إليه ، وقال بعضهم - إنا
أستظنا شرط رد اللاجئين من العهد ، فن جاءك منهم فأمسك ولا حرج
عليك - فكتب إلى أبي بصير وأبي جندل يستقدمهما إليه ، ويأمر أن
يذهب من معهما إلى بلادهم وأهلهم غير متعرضين بأذى لقريش ، فأخذ
أبو بصير الكتاب وهو يحتضن فمات وهو في يده يقرؤه ، فدفعه أبو جندل
وعاد مع ناس من أصحابه إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

رحمة يا أبا بصير ونعمي أذن الله أن تحل وتحمي
جاءك الفوث ، فانطلقت حينئذ سر طليما ، كفاك حبسا وهما
أنت أقلت من حباثل قوم ذقت منهم أذى كثيرا وظلما
جعلوا الحق خصمهم من غباء وغبي من يحمل الحق خصما
جئت دار النبي فادخل وسلم وارع حق المقام روحا وجسما
كم تمنيت أن ترى لك حصنا فتأمل حصون ربك شيا
وارض حكم الرسول إنك مردود ، ومن مثله قضاء وحكما ؟
ذا خنيس وذا كتاب ابن عوف فالزم الصبر ، أصبح الأمر حتما

رَدَّ عَنِّي أَبَا بَصِيرٍ فَحَسْبِي مَا جَنَاهُ عَلَيَّ صَدْعًا وَكَلِمًا^(١)
 جَرَّعَ الْحَتْفَ صَاحِبِي وَانْبَرَى يَطْلُبُ قَتْلِي لِيَتَّبِعَ الْجُرْمَ جَرْمًا
 إِنَّهُ جَاءَ رَاكِضًا يَحْمِلُ السَّيْفَ فَهَبَ لِي دَمِي ، لَكَ الشُّكْرُ جَمًّا
 عَفَّ عَنْهُ ، وَقَالَ : مَا نَمَّ شَيْءٌ يَا نَبِيَّ الْهَدَى أَرَى الْأَمْرَ تَمًّا
 صَدَقَ الْعَهْدُ ، وَانْقَضَى الرَّدُّ فَانظُرْ مَا تَرَى فَاقْضِهِ سَدَادًا وَحَزْمًا
 قَالَ : فَازْهَبْ فَقَدْ بَرَّتَ ، وَظَلَمَ أَنْ يَلَامَ الْبَرِيءَ أَوْ أَنْ يَذْمَا
 لَكَ مَا شِئْتَ أَنْ تَحُلَّ مِنَ الْأَرْضِ سِوَى أَرْضِ يَثْرِبٍ أَوْ تَوْمًا
 فَتَوَلَّى إِلَى مَكَانٍ يُزِيدُ الْكَفْرَ وَالْكَافِرِينَ خَسْفًا وَرَغْمًا^(٢)
 كُلُّ مَالٍ تَقَلُّ عَيْرُ قُرَيْشٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ظَاهِرٌ لَيْسَ يَكْمِي^(٣)
 إِنَّهُ الْأَرْقَمُ الْأَصَمُّ تَدَاعَتْ فَارْتَمَتْ حَوْلَهُ الْأَرَاقِمُ صَمَا
 مُؤْمِنٌ حَلَّ فِي الْعِرَاءِ مَحَلًّا جَمَعَ الْمُؤْمِنِينَ فِيهِ وَضَمًّا
 أَقْبَلُوا يَنْسَلُونَ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ يَطْلُبُونَ الْمِصَالَ قَرْمًا قَرْمًا^(٤)
 لَمْ ذُو الْعَرْشِ شَمَلَهُمْ بَعْدَ صَدْعِ وَخَلِيقٌ بِشَمَلِهِمْ أَنْ يَأْمَسَا

* * *

يَا أَبَا جَنْدَلٍ عَلَيْكَ سَلَامٌ جِئْتُ بِالْخَلِيلِ تَرْجِمُ الْأَرْضَ رَجْمًا
 إِغْتَفَرَ مَا جَنَى أَبُوكَ سَهِيلٌ يَوْمَ يَطْفِي عَلَيْكَ ضَرْبًا وَلَطْمًا
 إِنَّمَا الصَّابِرُونَ أَوْفَى نَصِيبًا يَا أَبَا جَنْدَلٍ وَأَوْفَرُ قَسْمًا
 أَعْمَلُوا الْقَتْلَ وَالنَّهَابَ ، وَرَدُّوهُ كُلَّ غَمٍّ أَصَابَهُ الْقَوْمَ غَرْمًا

(١) الكلم الجرح .
 (٢) الرغم الكره والقسر .
 (٣) كمي الشيء ستره وغطاه .
 (٤) ينسلون يسرعون وأوب مكان والقرم الشجاع .

غَارَةٌ بَعْدَ غَارَةٍ تَأْكُلُ النَّاسَ ل ، وَتَطْوِي أَرْجَالَ خَضْمًا وَقَضْمًا^(١)
 زَلُّوْا مِنْ أَبِي بَصِيرٍ بِخَطْبِ بَالِغٍ صَدَعَهُ أَبِي أَنْ يَرْمَا
 مَخْذَمٌ قَاطِعٌ ، وَسَعْرٌ حَرْبٌ جَرِيْتُهُ الْبَيْضُ الْقَوَاطِعُ قَدَمًا^(٢)
 ضَاقَتْ السَّبِيلُ وَالْفَجَاجُ عَلَيْهِمْ وَاسْتَحَالَ الْغَضَاءُ سَدًّا وَرَدَمًا
 عَادَ رَتَقًا كَأَنَّهُ سَدٌّ يَا جَوْجَ وَمَأْجُوجَ مَا تَرَى فِيهِ ثَلَمًا^(٣)
 جَارُوا يَشْتَكُونَ ، وَادَّكَّرُوا الْأَرْضَ حَامٍ يَسْتَشْفَعُونَ جَبْنًا وَلَوْمًا
 وَاسْتَمَدُّوا الْحَنَانَ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ سِ حَفَانًا ، وَأَقْرَبِ الرُّسُلِ رَحْمًا
 قَالَ ذُو أَمْرَمٍ : أَغْنَانَا وَلَا تَمَّ نَفْ عَلَيْنَا ، إِنْ الْقُلُوبُ لَتَعْمَى
 أَفْسَدَ الْعَهْدُ أَمْرَنَا فَعَرَفْنَا ه ، وَمَاذَا لَنَا إِذَا الْأَمْرُ عُغْمًا ؟
 قَدْ تَرَكْنَا لَكَ الرِّجَالَ فَاْمَسِكْ كُلَّ مَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ أَنْ تُذِمَّا^(٤)
 حَسْبُنَا السَّلْمُ يَا مُحَمَّدُ إِنْ تَبَسَّطَ عَلَيْنَا ظِلَالَهُ ، فَنَعْمَا
 بَدَّدَ الضَّرَّ وَالْأَذَى بِكُتَابِ نَظْمِ الْبِرِّ وَالْمَرْوَةِ نَظْمًا
 لَمْ يَدْعُهُ أَبُو بَصِيرٍ وَرَامَى الْوَيْلَ مَوْتٍ يَلْقَى عَلَيْهِ سَهْمًا فَسَهْمًا
 جَادَ بِالنَّفْسِ وَهُوَ فِي يَدِهِ يَتْلُوهُ ، مَا أَعْظَمَ الْمَقَامَ وَأَسْمَى
 آخِرَ الزَّادِ إِنْ أَرَدْنَا لَهُ اسْمًا وَأَرَاهُ أَجْلٌ مِنْ أَنْ يُسْمَى
 قَالَ : أَقْبَلْ وَفَرِّقِ النَّاسَ وَليَعْفُوا ، فَحَسْبُ الطَّغَاةُ قَعْمًا وَوَقْفًا^(٥)

* * *

(١) الحضم الأكل بجميع اللحم والقضم الأكل بأطراف الأسنان .
 (٢) جاء في السيرة أن النبي صلى الله عليه وسلم أطلق على أبي بصير هذا الوصف (مسعر حرب) .
 (٣) الرتق السدود الملقق .
 (٤) أذم فلاناً أجاره .
 (٥) وقه قهره وأذله .

رجع القوم راشدين ، ومن أر شدُّ يَمُن رعى الضلال فأصمى ؟
 وأبو جندل يؤم رسول الله في رُقَّةٍ إلى الله تنمى
 كوكب الحق والهدى يتقى من ذويه الهداة نجماً فنجما
 طلَعوا والزمان أسودُ داج فجلوا من ظلامه ما أدلَّهنا
 ورَموا بالشعاع مقتل دين ردَّ وجه الحياة أشبر جهما
 إعرف الحق ، لاترعبك الدعاوى فالمرآت والمناقب تمَّنا
 أى مجد في الأرض ، أو أى فضل لم يكونوا له أساساً وجذما ؟^(١)

إن في حكمة الرسول لذكرى
 هدم الله ما بنى العهد من آ
 كم رأوا من مشاهد لوهم فيه
 لا يفرَّتهم من الغيث وكف
 همة من هدى الرسول ولود
 لم تزل تضرب الطواغيت حتى
 إن للحق بعد لين وضعف
 لبيب أصاب عقلا وفهما
 مل قوم يبيغون للدين هدماً
 مشهداً رائع التهاويل نجما
 إنه السيل موشك أن يعما
 تورث الشرك والضلالة عقما
 جرَّعتها الرزأين نكلا وتنا
 قوة تحسم الأباطيل حسما

عَنْزُوتُ خَيْبَرَ

كانت هذه الغزوة في المحرم من السنة السابعة ، فلما أشرف النبي صلى الله عليه وسلم في جيشه على مدينة خيبر عند الصبح ، وكان اليهود قد أصبحوا يحملون القنوس والمساحي ليعملوا في مزارعهم ، فأخذهم الربيع وعادوا إلى حصونهم ، فبقوا محاصرين فيها ، ثم خرج رؤسائهم يبارزون المسلمين فيأخذهم الله بسيوفهم ، ثم دارت رحى القتال بعد ذلك ، وكان على ابن أبي طالب كرم الله وجهه قد تحلف بالمدينة لرمد أصابه ، فبعث إليه النبي سلعة بن الأكوخ ، فجاء به يقوده وهو معصوب العينين ، وعقد له النبي اللواء فيأشر القتال ، وفتح الله على المسلمين ، وقد طلب اليهود الصلح على أن تحقن دماؤهم . وترك لهم النساء والذراري ، ثم ينقشعون عن خيبر لا يحمل الواحد منهم سوى ثوب واحد ، فقبل النبي ، وأراد الله له أن يقرم على أرضهم عمالا ، فساقم على النخل وزارعهم على الأرض ، وبقي أمرهم كذلك إلى أن كانت خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فحدث أن ابنة عبد الله ذهب إليهم فأصابوه بسوء بليغ ، فأجلاهم عن أرضهم وديارهم ، وذهب بعضهم إلى تيماء وبعضهم إلى أريحا .

أعدى النمل خيبر والذبابا أعدت يثرب الأسد الغضابا
 ومدى من حصونك كل عال ليرفع في السماوات القبابا
 سينزع بأسهم حصناً فحصناً ويفتح عزمهم باباً فبابا
 أتاك الفاتح المقدم يزجى مع الجيش الدعاء المستجابا^(١)
 أتوك مكبرين فلا تلوذى بغير الذعر واضطربى اضطرابا
 أما والذاكرين الله فرداً لقد هزوا المخارم والشعابا^(٢)
 أجيبي : أين جندك ؟ وأسأليه لمن جمع السلاح ؟ وكيف غابا ؟

(١) لما أشرف الرسول الكريم على خيبر قال لأصحابه قفوا ، ثم قال لهم قولوا - اللهم رب السماوات وما أطلن ، ورب الأرضين وما أقلن ، ورب الشياطين وما أضلن ، ورب الرياح وما أذرن ، فإننا نسألك من خير هذه القرية وخير أهلها ، وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها ، فلما قالوها قال : أقدموا باسم الله .

(٢) المخارم جمع مخرم ، وهو منقطع الأكمة وأنف الجبل والطريق في الأرض الفليضة .

تواروا في الحصون وخادعتهم
ولو جعلوا السحاب لهم محلا
جنود محمد كأنوت يمضى
وليسوا في الحروب إذا تلظت
وفي حصن النطاة لسان صدق
رأى الرأي الذي ذقت يهود
أصابتهم حميا اليأس لما
سل البطل الحزب لو أجابا
رماه بعامر قدر إذا ما
ولكن المنية آخرته
وخان السيف صاحبه ، فأودى

ظنون كنّ حلفاً أو سراياً^(١)
لطار الجيش يقتحم السحابا
على قدر صعوداً وانصبابا
كن جهل الأمور أو استرابا
يُعلم كل من جهل الحباب^(٢)
مراسته ، فكان لهم عذابا
تنحى الجيش يلمس الصوابا^(٣)
أيعلم أى داهية أصابا؟^(٤)
رمى المهجات غادرها خرابا
ليبلغ في غوايته الكتابا^(٥)
شهِداً ، برّ مصرعه وطابا

(١) لما بلغهم أن النبي سيفزوم جعلوا يخرجون ويقفون صفوة ثم يقولون ، محمد بغرونا ، هيهات ، وذكر أن عبد الله بن أبي بن سلول أرسل إليهم : أن خذوا حذرهم ، وأدخلوا أموالكم حصونكم ، وأخرجوا لقتاله ، ولا تخافوا منه . إن عددكم كثير كانوا عشرة آلاف وقوم محمد شرذمة قليلون - عزل لاسلح معهم إلا قليل .

(٢) وضع اليهود أموالهم وعيالهم في بعض حصونهم ، وعسكروا في حصن النطاة ، فترسل المسلمون قريباً من هذا الحصن . فتقدم الحباب بن المنذر إلى النبي وقال له : يا رسول الله إنك نزلت منزلك هذا ، فإن كان عن أمر أمرت به فلا تتكلم ، وإن كان الرأي نتكلمنا ، قال هو الرأي : فقال الحباب . إنهم قوم يجيدون الرمي ، وهم مرتفعون عنا ، ولا نؤمن من بياتهم يدخلون في حزة النخل ، تحول يا رسول الله . ففعل .

(٣) حميا الشيء شديته .

(٤) هو مرحب ملك اليهود خرج يرتجز .

قد علمت خير أتي مرحب شاكي السلاح ، بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلهب

فبرز له عامر بن الأكوع فضربه مرحب بسيفه ، فوقعت الضربة في ترس عامر فأراد أن يضرب مرحبا من الأسفل فماد إليه سيفه فأصابه فأت .

(٥) أى الأجل المكتوب له .

هنيئاً عامر رضوان رب
بسيفك ميت موت فتى كريم
برزت لمرحب بطلا مهيباً
ولولا نبوة للسيف طاشت

حباك الأجر جمّاً والثوابا
يحاذر أن يعير أو يعابا
أبي أن يتقى أو أن يهابا
بمضربه لأورده التبابا^(١)

* * *

توالى الزحف ، واستعرت نفوس
لئن خاضت غمار الموت ظمأى
سهامٌ بوسائلٍ لاقت سهاماً
تحدث عن مخاوف باعثها
دعهم للوغى بيض المواضى
ولو ملكت مسامعهم فلبوا
لوان الحصن أوتى ما تمنى
رماه محمد فألح حتى
يظلّ الظرب يحمل منه طوداً
وأمسك هذه الدنيا ، فأمت
لواء الفتح في يده رهين

مضت تنساب في الله انسيابا
لقد عرفت مشاركته العذابا
يكاد جبانها يخشى الترابا^(٢)
حديثاً يبعث العجب العجابا
وصيرت سهام لهم خطابا
لما ملكوا الجاجم والرقابا
أبي إلا هويّاً وانقلابا
لأوشك أن يقول : كفى عقابا^(٣)
طوى الأطواد ، وانتظم الهضابا
وما تخشى الزوال ، ولا الذهبا
بصاحبه الذي فاق الصحابا^(٤)

(١) التباب الهلاك .

(٢) اشتد التراب بالنبل بين المسلمين واليهود . حتى لقد أصابت سهام هؤلاء تباب

النبي صلى الله عليه وسلم وعلقت به .

(٣) ألم الرسول الكريم بالرمي على حصن ناعم إلحاحاً شديداً ويهود تقابل ، وهو

على فرسه الظرب وعليه درعان ومغفر وبيضة ، وفي يده فناة وترس .

(٤) لما اشتد الأمر واستعصت الحصون قال النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن مسleme

رضي الله عنه : لأعطين الراية إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه ، لا يولى أدر ، يفتح الله

عز وجل على يده ، فلم يكن من الصحابة أحدهم منزلة عنده إلا رجاً أن يكون هو المعنى بذلك

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : ما أحببت الامارة إلا ذلك اليوم ، وبعت النبي

على بن أبي طالب وهو أرمذ ، فدفع إليه الراية وكان أسماها العقاب ثم أعطاه سيفه

يشير إليه محتجبا بوصف يكاد سناه يخرق الحجابا
ويذكره وبالفاروق حرص على أن ليس يعدوه انتخابا
على للعقاب ، وما على سوى البطل الذي يحى العقابا
شهاب الحرب ، لا عجب ولكن عجت لفرقد قاد الشهابا
رسول جاء بالفرج المرجى وبالنور الذي كشف الضبابا
تقدم يا على رعاك رب كفى عينك داءك والعصابا
بطب محمد أدركت مالو أراد الطب أعجزه طلابا
شفي الرمد الذي آذاك حيناً وكان لعزمك الماضي قرابا
خذ السيف الذي أعطاك ، واصدع بيأسك هذه الصم الصلابا
حُصون كلما زيدت دعاء إلى البيضاء ، زادت اجتنابا
تُحبُّ الكبر ، لا ترضى سواه على آفاته خلقاً ودابا

* * *

تقدم ، ما لصيدك من قرار إذا لم توته ظفراً ونابا
خذ الذئب اللعين ولا تدعه صدود الليث ، يخرق الذئابا^(١)
كفى بالحارث المغرور علماً لمن رزق الغباء ومن تقابا
أرقت حياته ، فأرقت منها صريح الكفر يأتي أن يشابا
ورعت به أديم الأرض لما جعلت عليه من دمه خضابا

* * *

تَحْتَجِّجَ مرحب ما ليس حقاً ومنته الظنون متى كذابا
مشى يخال مرجزاً فلاق قضاء الله ينسرب انسرابا
سقاء الموت أبيض مشرفي يذيب الموت يجعله شرابا
لك الولايات من ملك غويي أحيط بملكه ، فهوى وذابا
أعدته اليهود لكل خطب فأفضل رجأؤهم فيه وخابا
أما نظروه مأخوذاً بيأس يهدئ البأس أخذاً واستلابا؟
وكل مغالب ، فله على غداة السكر يأخذه غلابا
توتب يا سير ، فتدققته تخالب فانتك ألف الوثابا^(٢)
أما سمعته خير حين يهدى فصددت عنه توجهه عتابا؟
ولو تستطيع لاتخذت حياء من البيض الرقاق لها نقابا
غراب الشوم يفرعها نعيماً فيالك بومة ولدت غرابا
فتى شاكي السلاح ، ولا سلاح لمن يبغى من الموت اقترابا
ألا إن الزبير لدو بلاء وإن خشيت صرته أن يصابا
حواري الرسول يكون منه بحيث يريد صبراً واحتسابا

* * *

تجلت غرة الفتح المرجى وأمسى النسر قد طرد الذبابا
وأعول النطاة لفقد حصن يُعمُّ يهود شجواً وانتحابا^(٣)

(١) لما قتل مرحب خرج أخوه ياسر وكان من مشاهير فرسان اليهود وشجعانهم وهو

يرتجز .

قد علمت خير أن ياسر شاكي السلاح بطل مغاور

ويقول ، هل من مبارز ؟ نخرج إليه الزبير بن العوام فقتله ، وكانت أمه صفية . قالت
عند خروجه : يا رسول الله أنه يقتل ابني ، فقال لها : بل ابنت يقتله إن شاء الله .

(٢) هو حصن ناعم ، فتحه الله على يد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، فانتقل
الذين بقوا فيه من اليهود إلى حصن الصعب .

== ذا القار قال على كرم الله وجهه ، يا رسول الله إن أرمدا كما ترى ، لا أبصر موضع قدمي .
فقتل في عينيه بعد أن وضع رأسه في حجره . وقيل أنه نفل في كفه الشريف ثم فتح عينيه
ودلكهما - فبرى .

(١) ذهب على لمن الحصن فركز الراية تحته ، وكان أول من خرج إليه الحارث أخو
مرحب ، وكان معروفاً بالشجاعة ، فثبت له وتضاربا فقتله ، وانتهزم اليهود إلى الحصن ، ثم
برز له مرحب فقتله .

هو البأس المدمّر يا عليّ
 وحصن الصعب أذعن بعد كبر
 وأدّى ما أعدّ القوم فيه
 فأمسى بين أعينهم نهابا
 وراح المسلمون بخير حال
 ولولا الله ما برحوا سغابا
 أناح لهم على الضراء رزقاً
 فأمسى اليسر بعد العسر ثابا
 مقام من عتاد القوم شتى
 تجاوز حين تحصيلها الحسابا
 كفى بالصبر للأقوام عوناً
 إذا حدثت من الأحداث نابا
 وما أمر اليهود إلى صلاح
 إذا الداعي إلى الهيجا أهابا
 متى لهم الحباب يحزّ جيشا
 شديد البأس ، يلتهب التهابا^(١)
 فززل حصنهم ، حتى لوذّوا
 لو ان له إلى الطير انتسابا
 ولو ملك الجناح لطار يطوى
 طباق الجوّ ذعراً وارتعابا
 تنادوا للقتال ، فبادرتهم
 سيوف الله شيقّة طرابا
 وليس لقوم يوشع من بقاء
 إذا طعموا الطعان أو الضرابا^(٢)
 عباب الموت يملك جانبيهم
 فنعم القوم إن ملكوا العبابا

* * *

تتابعت الفتوح محجّلات
 تزايد يهود حزناً واكتسابا
 أصيبوا بالقوارع راجفات
 تهدّ الشيب منهم والشبابا

(١) كان اليهود قد وضعوا في حصن الصعب شعيرم وتمرم ، وسمّتهم وزيتهم وشحمهم
 وماشيئهم ومتاعهم ، فنعّم المسلمون كل ذلك ، وكانوا في حاجة إليه شديدة .

(٢) الحباب بن المنذر ، دفع النبي اللواء إليه ووجهه إلى حصن الصعب ففتح
 على يده .

(٣) يوشع هذا رجل من اليهود خرج من هذا الحصن قبل فتحه مبارزاً ، فقتله الحباب
 رضى الله عنه .

فتلك حصونهم أمست خلاء
 كأن لم يعمرها منها جنابا^(١)
 تساقوا بالعراء الذل مرّاً
 يود طفاتهم لو كان صابا
 وأنقوا بالسلاح وما أصابوا
 من الأموال جمعاً واكتسابا
 وضاقوا بالجلاء فأدركتهم
 عواطف محسن تسع الرحابا
 أصابوا من رسول الله مولى
 يتوب على المسىء إذا أنابا
 قضى لهم القضاء ، فلا ابتزاحاً
 لقوا بعد المقام ، ولا اغترابا
 ثووا في الأرض عمّلاً عليها
 يؤدّون الإتاوة والنصابا
 ولاة الزرع للإسلام منهم
 شريك ليس يظلم أو يحابي
 هداة الناس أرشدهم سبيلا
 وأحسنهم إذا انقلبوا مآبا

(١) الجناب الفناء أو ما قرب من محلة القوم .

كَنْزُ بَنِي النَّضِيرِ

هو حليهم الذي كان سلام بن أبي الحقيق حمله في جلد بغير - وقيل في جلد نور - يوم إجلاله بنى النضير وهو يقول : إنا أعددنا هذا لرفع الأرض وخفضها - لما فتحت خيبر سأل النبي عنه فقالوا : أذهنته الحروب والنزقات ، فدفع رجلاً منهم اسمه سعية بن عمرو عم حبي بن أخطب إلى الزبير بن العوام فشمه بمذاب ، فدل على مكانه ، وكان حبي قد دفنه في ذلك المكان .

منايا القوم في جلد البعير
مردُّ الأمر في رفع وخفض
كذلك قال أكذبهم مقالاً
هم اتخذوا الخداع لهم سبيلاً
فما صدقوا النبي ولا استحسبوا
وما الكنز الذي دفنوه إلا
يقول غواتهم : لم يبق شيء
فما مسَّ صاحبهم عذاب
وحىء بكنزهم إرثاً عتيداً
ولو جحدوه أقبلت المنايا
فبادوا في مصارعهم وعادوا
وما برحت عوادي الدهر تجري
لهم في ذمة الفاروق يوم
فصبراً ، إنه لا بد آت

فأين يضع كَنْزُ بَنِي النَّضِيرِ؟
لهذا الأرض في الحدث الكبير
وأجابه بعقاب الأمور
وكانوا أهل بهتان وزور
سوى الطمع الحبيب والغرور
نذير الويل أجمع والشور
مقال ذوى السقاهاة والتمجور
بدا الشرُّ العييب في الصدور
لوراث أمالك والندهور
تؤذن في الرقاب وفي النحور
كطسم أو كعاد في الدثور
على أهل المآثم والشرور
بطانهم بشرٍ مستطير^(١)
فما ليهود خيبر من مجير

المِحْنَةُ

جاء الذين تخلفوا عن غزوة الحديبية إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليخرجوا معه طلباً للفتنة فقال لهم ، لا تخرجوا معي إلا راغبين في الجهاد ، فأما الفتنة فلا ، ثم أمر منادياً ينادى بذلك .

هو الدين ، ما في الدين غمٌ ولا غمٌ
أتى القوم ييغون القتال نأرب
فقال : ارجعوا لا تجعلوا المال همكم
فمن جاءنا يبغي مغانم خيبر
هو الدين دين الله يا قوم خلصا
ألم أدعكم من قبل ، فأنصرفتُ بكم
عصيتم عن المثلى ، وأقبل معشر
رموا في صدور المبتلين وجاهدوا
أولئك أهل الرأي ، لا نفر الألى
أولئك أوفى الناس قسماً وخيرهم
هو الدم والحق الحتم فاعاءوا

هو الغم الوافى ، هو المقتنى الضخم
وعند رسول الله من أمرهم علم
ولا تجهلوا ، إن الجهاد هو الهمة
فليس له فيها نصيب ولا سهم
فإن تلحدوا فيه ، فذلك الظلم
عن الله دنيا الناس وانتقض العزم؟
مناجيد ، لا عسى القلوب ولا ضم
لنصرة رب حقه واجب حتم
تولوا ، فلا رأى لديهم ، ولا حزم
جزاء ، فعودوا ، لا جزاء ولا قسم
ولله ما يقضى ، له الأمر والحكم

(١) إشارة إلى إجلالهم في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

عبد الله بن أبي بن سلول

عقرب السوء تهادى فى الأذى والأذى بعض سجايا العقرب
 وىلك عبد الله ماذا تبتغى؟ تعب الشر ولما تعب
 إتَّئب يا ابن أبى واجتنب خطل الرأى وسوء المذهب (١)
 أنت أضلت الألى طمعتهم من وصاياك يبرق خلب (٢)
 ليس فىنا نابههم من عجب خائب طاح بقوم خيب
 قومك الأبطال : ماذا صنعوا بالحصون الشم؟ قل ، لا تكذب
 أتراها فى صياصيبها العلى دافعت عن ياسر أو مرحب؟ (٣)
 إمتلىء يا ابن أبى غضباً ليس يرضى الحق إن لم تقضب
 أفأ يرضيك فى الدنيا سوى موقف الجانى ومثوى المذنب؟
 لو صدقت الله فى دين الهدى فزت منه بالذمام الأقرب
 خطة المؤمن يمن ماله دونها من خطة أو مركب
 لك فى الإسلام من أعدائه خلق الذئب ، وطبع الثعلب
 هكذا قدر رى وقضى ما الخبيث النفس مثل الطيب

صِفَةِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَّة

هى بنت حى بن أخطب سيد بنى النضير ، وهو من سبط هارون بن
 عمران أخى موسى عليهما السلام . سببت من حصن الوضوح وكان اسمها
 زينب . فلما هداها الله إلى الإسلام سميت صفيية وكانت زوجا الكنانة بن
 الربيع بن أبى الحقيق ، تزوجها بعد أن طلقها سلام بن مشكم الذى روى
 أنه لم يدخل بها - خيرها انبى صلى الله عليه وسلم بين أن يعتقها فترجم لى
 من بقى من أهلها ، أو أسلم فيتخذها لنفسه ، فقالت : أخنار الله ورسوله

إن جال غم المسلمين بخير فيما غنمت أجل منه وأكبر
 الله أكبر يا عروس محمد هذا هو الشرف الأعم الأوفر
 هذا مكانك عاليا ما مثله فى السؤدد العالى مكان يؤثر
 يادرة صينيت لتاج جلاله الدر من لحاته والجوهر
 الشأن شأنك ، أنت خير صفيية والتاج أنت به أحق وأجدر
 أدركت بالإسلام فى حرم الهدى جهد المنى مما يتاح ويقدر
 أدركت دنيا الصالحين ودينهم فظفرت بالحسنى ، ومثلك يظفر
 ولقد غنيت ودون ما تجدينه دنيا مذممة ، ودبن منكر
 زعر الوطيح فأسلمتكم حمته وحلت بالحصن الذى لا يذعر
 ما مثل رؤياك التى كانت أذى رؤيا تقسر للنيام وتعبر (١)
 أفكنت ناسية ، فجدد ذكرها أثر بعينك يا صفيية أخضر؟
 يا ويلتنا لابن الربيع يفيظه هذا المقام الصعب كيف يُيسر
 لطمتك من سفه وسوء خليقة يده ، وتلك جناية ما تغفر

(١) رأى النبى صلى الله عليه وسلم خضرة فى إحدى عينيها فسألها ما خبرها فقالت إنها نامت فى حجر زوجها كنانة بن الربيع وهى عروس . فرأت كأن الفجر وقع فى حجرها ، وأخبرته بذلك فطمها وقال ، تريدن ملك لعرب فكان هذا الأثر الأخضر .

(١) إتَّئب بمعنى استعج خطل الرأى فساد .
 (٢) البرق الخلب الحادع الذى لا مض فيه .
 (٣) الصياصى الحصون .

ماذا رأيت من الذى أبفضته
أردى أباك وهدد زوجك بأسه
ماذا رأيت؟ أما عذرت سيوفه
وتقد بلوتِ خلاله فوجدتو
أحبته الحب الكثير على القلى
ذهب الرعاة ، فما يسرك صاحب
آثرتو ، ورضيت ربك إنها
أعلى محلك فانعمى وتقدمى
ولأنت إن عظمت فوائد خير

* * *

يا قبة المختار دونك ما بنى
مشوى يهول الناظرين ومنظر
فيه الجلال الضخم ، ترتد المنى
فيه السلام لكل جيل يبتغى
فيه الحياة تسلى من أكفاتها

* * *

إيه أبا أيوب ما بك ريبة إن الحب على الحبيب ليسهر^(٣)

(١) قالت : اتهمت لى رسول الله وما من الناس أحد أكره إلى منه ، قتل أبى وزوجى
وقوى ، فما فت من مقعدى ومن الناس أحد أحب إلى منه .

(٢) أعرس بها النبی فی قبة بکبان يقال له الصبياء بين خيبر والمدينة .

(٣) بنت أبو أيوب الأنصارى رضى الله عنه ليلة العرس متوشحاً سيفه يحرس النبي
ويطوف حول قبه فلما أصبح ورأى مكانه سأله : ما جمه يفعل ذلك ، فقال : خفت عليك
من هذه المرأة . قتلت أبأها وزوجها وقومها وهى حديثة عهد بكفر فت أحفظك : قال :
اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظنى ، فما دفن ببلاد الروم أرادوا به شراً فحفظه الله . . .

تأبى الكرى وتطوف حول محمد
ماذا تخاف على حبيبك من أذى
إهنأ بدعوته ، فتلك وقاية
تلك الولائم فى رحاب محمد
الصحب من فرح عليها عكف
عرس النبي وأى عرس مثله ؟

والسيف يقظان المضارب ينظر
والله كاف ما تخاف وتحذر؟؟
من كل ذى جبرية ينمر
شقى ، تُسرُّ بها النفوس وتخبر
والرسل أجمع والملائك حضر
هيئات ، تلك فضيلة لا تنكر

رجوع المهاجرين من الحبشة

كانت هجرة المستضعفين من المسلمين من مكة إلى الحبشة مرتين ، الأولى في شهر رجب من السنة الخامسة للنبوّة والثانية بعد رجوع أكثرهم في شهر رمضان - وقيل شوال - عند ما بلغهم إن مشركي مكة أسلموا ثم ظهر لهم غير ذلك ، وسبب هذه الهجرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للمسلمين لا أصابهم الأذى : تفرقوا في الأرض : قالوا وأين نذهب ؟ فأشار إلى جبة أرض الحبشة وقال : إن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد - وكان عدد المهاجرين في المرتين ثلاثة وثمانين رجلاً ، وثمان عشرة امرأة وبمشت قريش في أثرهم عمرو بن العاص . وعمارة بن الوليد يهدية إلى النجاشي وعظماء رجاله ليرد هؤلاء المهاجرين إليهم ، وقال عمرو وصاحبه : إنهم لا يسجدون لك كما يسجد الناس - ويقولون في عيسى بن مريم عليه السلام مالا يرضيك ، فبعث النجاشي إلى الأساقفة فجاءوا بمصاحفهم ، وتولى جعفر بن أبي طالب الكلام عن المهاجرين الذين كان يسميهم (حزب الله) فقال : إنا لا نسجد إلا لله عز وجل ولا نقول في عيسى عليه السلام إلا ما يقول إنه روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم . قال النجاشي : يا معشر القساوسة هذا ما عندهم في المصاحف ، أشهد أنه رسول الله الذي بشر به عيسى في الإنجيل ، ثم قال للمسلمين : إنزلوا حيث شئتم من أرضي آمنين ، وأمر لهم بما يصاحبهم من الرزق ، وقال : من نظر إلى هؤلاء الرهط نظرة تؤذيهم فقد عصاني - ردوا هذه الهدايا فلا حاجة لي بها ، وكان عودة هؤلاء المهاجرين في غزوة خيبر فأمر لهم النبي بأخذ أنصبتهم من الغنم .

مرحباً بالأحبة المقبلينا أطفنوا شوقكم ، وقضوا الحيننا
أذن الله باللقاء ، وكانت لوعة للفراق دامت سنينا
إن هذى دياركم فادخوها طيبات لمعشر طيبينا
ادخلوها بنعمة وسلام واعمروها بأهلكم والبنينا
أقبلوا أقبلوا ، وحيوا رسول الله مستبشراً بيد اليميننا
صاغوه محبب الوجه سمحاً والزموه مباركا ميمونا
وانظروا حوله الجنود ألوفا بعد أن لم تكن تداني المثينا

واذكروا خطبكم وكيف ذهبت خيفة الضيم في البلاد عزيزنا^(١)
تركبون العباب يأخذه الكبر ، فيأبى عنانه أن يلينا
يضرب الموج في جوانبه للموج ، وترجى السفين فيه السفينا
إتخذتم أرض النجاشي داراً وتركتم دياركم والقطينا
ملك عادل أقام عليكم من كريم الجوار حصناً حصينا
ورعاًكم رعى الحق يودى حق أضيافه وقيماً أميننا
وجد العار في هدية عمرو فأبأها ورداً عمراً حزيننا
قال : يا ويلتنا ، أهدم مجدى وأعادى أبوتى الأولينا ؟
أبيع الضيوف يا عمرو دعها خطة تجعل العزيز مهينا
إنها سبة على الدهر يابى كل حرٍ مهذب أن تكونا
رأه جعفر بقول مبين فرأى الحق واضحاً واليقينا
ودرى أنما السجود لغير الله ثم يحيق بالساجديننا
واهتدى قلبه فآثر دين الحق في مجمع القساوس ديننا
دلف القوم بالمصاحف لا يدرون ماذا يريد أن يستيننا
قال : ما عندكم ؟ أما قال عيسى سوف يأتي من بعده من يلينا ؟
بطل الشرك ، وانتهى الأفك هذا خاتم الأنبياء والمرسلينا
كيف نأبى محمداً وهو حق ؟؟ أيقول الهداة إنا عمينا
رب إنى آمنت . فاغفر ذنوبى واهدنى في عبادك المؤمنينا
هكذا فاز بالكرامة حزب الله طوبى لحزبه المفلحيننا

ادن يا جعفر لك الرتب العدا ، وكنت أمراً بهن قينا

(١) عزيز بمعنى متفرقين .

وخذ القبلة التي هي أقصى ما ترجيه أنفس المتقين^(١)
 إدف يا أشبه الرجال بأعلى الناس قدراً وخيرهم أجمعين^(٢)
 ولك العذر إن رققت فهذي نشوة الحب تأخذ المخلصين^(٣)
 ناد يا شاعر العروبة واهتف مرحباً بالأماجد الأكرمين^(٤)
 هذه خير العصية دالت لسيوف البواسل الفاتحين^(٥)
 نصر الله جنده وجباه في لواء النبي فتحاً مينا
 فخذوا حكم هنيئاً مريئاً واشكروا الله أكرم المنعمين^(٦)

أم حبيبة رضوان الله عليها

هي بنت أبي سفيان . هاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش ، فارتد عن الإسلام هناك ومات نصرانياً - أرسل النبي صلى عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري رضى الله عنه في المحرم سنة سبع إلى النجاشي ليزوجها منه ، ففعل ودفن الصداق من ماله أربعمائة دينار . أو أربعمائة مثقال ذهب ثم أومأ للناس بعد ذلك ، وكانت إحدى جواريه قد أخذت منها بعض الهدايا والأموال لما بشرتها بخطبة الرسول الكريم ، فأمرها برد ما أخذت ، وأمر نساءه أن يقدمن إليها العطر والطيب ، ثم أرسلها إلى النبي مع شر حبيبل بن حسنة .

بشراك أم حبيبة بمحمد تمت لك النعمى فقوزى واسعدى
 هذا بشير الخير أى طلاقة تحكى طلاقة وجهه الغض الندى^(١)
 حمل الرسالة مشرعا من رحمة فيه الشفاء لغاة القلب الصد^(٢)
 بشراك أم المؤمنين فهذه رؤياك عند أوتانها وللموعد^(٣)
 بعث النجاشي الوليدة فاسمى أشهى الحديث إلى الكرايم واشهدى
 هذا عطاؤك لو يكون مكانة أغلى الكنفوز خشيت أن لا تحمدى^(٤)
 نعم العطاء بذلته مرضية في الله راضية . وبالك من يد
 قلدت أمرك خالداً ففضى به شرفاً على شرف أسم محمد

(١) عمرو بن أمية الضمري .

(٢) المصريح المورث .

(٣) رأت في المنام كأن قائلاً يقول لها . يا أم المؤمنين ، ففرغت وأوتانها بأن النبي يتزوجها ، قالت : فما شعرت إلا وقد دخلت على جارية النجاشي فقالت لى . إن الملك يقول لك إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إليه أن يزوجه منك . فقالت بدمه الله بالخير ، ووكلت عني خالد بن سعيد بن العاص (رضى الله عنه) .

(٤) أعطت الجارية سوارين وخانجابين وخواتم فضة سروراً بما بشرت به .

(١٦ - ديوان مجد الإسلام)

(١) عاتقه النبي وقيل ما بين عينيه .

(٢) قال له صلى الله عليه وسلم : أشبهت حاني وحاني .

(٣) لما قال له ذلك رقص من لذة هذا الخطاب .

(٤) إشارة إلى أخذ أنصبتهم من الغنائم .

هتف الرسول : أجب وكييل محمد
 يلقاه في تاج الهدى وسريه
 في مشهد زاتته غرة جعفر
 جمع الأحبة والرفاق ، فأقبلوا
 أذى النجاشي الصادق مباركا
 وأقام لله الولائم كلها
 فشى إلى الملك الأعز الأصيل^(١)
 بين الأرائك والجموع الحشد
 زين الندى ونور عين المنتدى^(٢)
 من كل عال في الرجال ممجد
 ملء اليدين يسوقه من عسجد
 زادت وفود القوم قال لها : ازددى

* * *

مضت الوليدة بالصادق فصادفت
 نالت . ولم تسأل . ولم تمدد يداً
 فضلٌ لأم المؤمنين تفجرت عنه ، فراح يفيض غير مصرّد^(٥)
 كرمًا يجاوز مطعم المسترفد^(٣)
 خمسين ديناراً عطاء كالدد^(٤)

* * *

تلك الوليدة قال سيدها : ارجعي
 لا ترزني زوج النبي بأرضنا
 أنسيت حقّ الضيف عند السيّد؟^(٦)
 آلاء ربك ذي الجلال الأوحد
 شيناً ، فبئس الزاد للمتزود

* * *

(١) عمر بن أمية .

(٢) أمر النجاشي أن يحضر جعفر بن أبي طالب ومن معه من المسلمين حفل عقد الزواج

(٣) دفع النجاشي الصادق إلى خالد بن سعيد بن العاص فأرسله إلى أم حبيبة مع جارية

النجاشي فأعطها خمسين ديناراً .

(٤) الدد اللعب .

(٥) المصرد المتلل .

(٦) أمر النجاشي أن ترد الجارية جميع ما أخذت ففعلت . وأمر نساءه أن يهدرن الطيب

لأم حبيبة ففعلن ، وقالت الجارية لها حاجتي إليك أن تفرقني النبي والسلام وتبلغني إلى قد

اتبعت دينه .

قالت : إليك المال والحلي الذي
 أمر للمليك فلا مردّ - لأمره
 لي في ذمامك حاجة منشودة
 هل تحملين إلى الرسول تحية
 حبيبه مُنعمه وقولي : إنني
 ورضيتُ منته لنفسي ، إنه
 أعطيتني . فليس أمرى في يدي
 ولك الكرامة في الفریق الأرشد
 لولا الهدى وسبيله لم تُنشد
 مني إذا انطلقت ركابك في غد؟
 أحبته حبّ التقى المهتدى
 لعلّ طريق للسداد معبد

* * *

رضيَ للمليك وراح يحمد ربه
 ودعا إلى الصنع الجميل نساءه
 تمشي الولائد خلفه يحملنه
 يأتين أمّ المؤمنين يزدها
 حمد امرئٍ للصالحات مُسدّد
 فالطيب ذوعبق يروح ويفتدى
 في ملتقى بهج وحسن توذّد
 ويقلن : مهلا كلفانات : قدى

* * *

سبى هداك الله شطر نبيّه
 إلا يكن من هاشم وفد فكم
 جبريل يمشي في ركابك خاشعاً
 الله بوأك الكرامة منزلاً
 في موكب من نوره المتوقّد
 الله حولك من رسول موفّد
 بين الملائك . فاشهدى وتفقدى
 وأعزّ جدك بالنبى محمد

أهل نك

م قوم من اليهود بعث إليهم النبي صلى الله عليه وسلم محيصة بن مسعود رضى الله عنه وهو على مقربة من خيبر يدعوهم إلى الإسلام وينذرهم عاقبة أمرهم إذا عصوا فقالوا: إن في خير عشرة آلاف مقاتل فيهم عامر وياسر والحارث ومرحب، فإن يئلبهم المسلمون، على أننا سنبت معك بعد يومين رجالاً للصلح، وذلك من مكرم ليروا لمن يكون النصر، فلما جاءهم الذين هربوا من حصن ناعم بعد فتحه، أرسلوا نون بن يوشع وهو رجل من رؤسائهم في جماعة منهم إلى النبي يطلبون الصلح فأجاب سؤلهم.

محيصة بلغ ما أمرت قائماً هو الدين دين المسلمين، أو القتل إلى فذك فاحمل بلاغ محمد وأنذر بها قوماً أضلهم الجهل أبوا أن يجيبوا داعي الله وابتغوا سبيل الألى أعماهم الحقد والغلُّ يقولون: لن يستطيع جيش محمد بخير نصراً، إنها مطاب بسئل يدافع عنها من صناديد أهلها رجال إذا خاضوا الوغى بطل الهزل لها عمر عند البلاء وياسر لها مرحب والحارث البطل الفحل وإن بها من كل رام وضارب ألقاً، هم السم الذعاف لمن يبلو على أننا لنكره السلم، فانتظر محيصة واصبر إنها خطة فصل

كذلك قالوا، يمكرون كدابهم وماذا يفيد المكر أو ينفع الختل؟ أطلوا المدى حتى يروا جد قومهم وجد رسول الله أيهما يعلو وقيل لهم: ضاقت بقومكم السبل ففكروا بالحق من حصن ناعم قلوب. هي الكتب الخبيثة والرسل مشت رسلهم للصلح، تهوى أمامها

يظل عميد القوم نون بن يوشع يقول: هلموا، ذلك المركب السهل ولاذوا بأكتاف النبي فصادفوا كريماً يرجي عنده العفو والفضل وأموالهم، إن ردهم خيباً حل لكل الذي يسمو الكرام به أهل لئن خلقوا للؤم أهلاً فإنه له النصف من تلك الحقول يعده كذلك مولى القوم، يرجون ظله وما خير مولى لا يكون له ظل؟

(١) جاء عميدهم نون بن يوشع مع رجال منهم يطلبون من النبي أن يصلحهم على أن تصح دنياهم، ويخلى بينهم وبين الأموال، فوقع الصلح على أن يكون له نصف الأرض ولهم نصفها، فكان صلى الله عليه وسلم يهود من هذا النصف على صفي بن هاشم وفقيرهم، وزوج منه أيمهم، وجرى الخلفاء الصالحون من بعده على ذلك، فجعلوا ما يخرج منه صدقة للمسلمين (٢) الأزل الضيق والشدة.

بنو غطفان وسيدهم عيينة بن حصين

لما علم أهل خيبر أن المسلمين قادمون لغزوم ، بثوا إلى حليفهم عيينة بن حصين سيد بني غطفان يستمدونه وقومه عليهم ، ولهم في ذلك نصف ثمار خيبر ، وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم بعث إليهم ينههم عن مظاهرة اليهود . فأبوا وقالوا حلفاؤنا وجيراننا . ثم خرجوا لنصرتهم فسمعوا من ورائهم صوتاً في ديارهم وقع في قلوبهم أنه صوت الغزاة من المسلمين ، فأخذهم الرعب ، وارتدوا على أعقابهم مسرعين .

أما تدع العاية يا ابن حصين وتسلكها معبّدة سويّة؟
أضنتك اليهود فرحت تبغى ثمار النخل ، يالك من بليته
لبس الأجر أجرك من أناس يرون الحق منزلة دنيته
أترضى أن تكون لهم حليفاً؟ لعمرك إنهم شرُّ البرية
رَمَوْك برسالم ، يرجون نصراً فما وجدوك من أهل الروية
أهبت بقومك : انطلقوا ورأى فتلك سرية تتلو سرية
تريد محمداً وبنى أبيه أولى النجّادات والههم العلية
حماة الحق ، ليس له سواهم إذا غلت الحفيظة والحمية
نهاك محمد فأبيت رشداً لنفسك ، إنها نفس غوية
وقلت : أتترك الخلفاء نهياً ونحن أولو السيوف المشرقيّة؟

رويدك يا عيينة أيّ خطب أصابك؟ ما الحديث؟ وما القضيّة؟
وما الصوت المرّدّ يا ابن حصين ورائك في منازلك القصيّة؟
وراءك يا عيينة لا تدعها فما هي عن دفاعك بالغنيّة؟

رجعت بجندك المهزوم رعباً فرحى ، ما الهزيمة كالنبيّة
لو انك جئت خيبر وهى ظمأى سقتك من الردى كأساً رويّة
نويت غياثها . فشغلت عنها وأمر الله يغلب كل نبيّه
بربّك يا فتى غطفان آمين فإن له آياتٍ جليته

رجعت إلى النبيّ تقول مالا يقول المرء ذو النفس الحيّة (١)
ألسن من ظفرت بهم حليفاً؟ فهب لى من مغائهم عطية
وإني قد آيت فلم أعنهم عليك ، وما تركتك عن تقية
فقال : كذبت ، مالك من خلاق وما تخفى على الله الطوية
عليك بذى الرقية إن فيه كما أحببت من صلة ستيه
تأمل : هل ملكت على أمرى؟ وهل صدقتك رؤياك الغيبة؟
لكل من دعاة الشرك حرب مظفّرة الوقائع خيرية
سجايأ المرهفات البيض أولى بمن جعلوا النفاق لهم سجيّة

(١) جاء عيينة إلى النبي بعد فتح خيبر في رجال من قومه فقال : أعطني مما غنمت من حلفائي ، فإن امتنعت عن قتالك ، فقال له : كذبت ، ولكن الصباح الذي سمعت أفتك إلى أهلك ، لك ذو الرقية . قال عيينة . وما ذو الرقية ؟ قال الجبل الذي رأيت في منامك أنك أخذته وكان عيينة قد رأى ذلك فلما أنقذ من تومه قال لقومه أيسروا فإني رأيت أني أعطيت ذا الرقية لقد والله أخذت برقة محمد ، ذو الرقية من جبال خيبر .

حجاج بن علاط السلمي

قدم على النبي صلى الله عليه وسلم بخير فأسلم ، وكان له مال كثير متفرق في تجار مكة . فاستأذنه في أن يذهب إليها ليجمعه قبل أن يعلم إسلامه وأن يقول للقوم ما يرضيهم ليعينوه على ذلك فأذن له ، وذهب فرأى عند البيت جماعة منهم يتلمسون أخبار خبير ، فأقبلوا عليه يقولون : إيه يا حجاج ، فقال : هزم محمد وأصحابه هزيمة لم يسمع بمثلا ، وهو أسير في أيدي اليهود ، لا يريدون أن يقتل في غير مكة . ففرحوا وأعانوه ، وشاع الخبر فخرن المسلمون . وكان أشدهم حزناً العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه ، فبعث غلامه إلى حجاج يسأله . فماد يبشره بكذب ما أذيع من هذه الأنباء ، فأعتقه سروراً بذلك ، وجاءه حجاج فصدقه الحديث ، وسأله أن يكتم الخبر ثلاثة أيام حتى يتجوز بنفسه وماله ففعل وخرج العباس بهما على المشركين في زينة فأبأهم بما غاظهم وأوجع قلوبهم .

تقدم ، فهذا مطع الحق والهدي
أتيت رسول الله تتبع دينه
لك الله يا حجاج أميت مشركاً
سيغفر ما أسلفت من جاهلية
سألت رسول الله ما لو سأنته
تقول له : دعني أزور مقالة
بمكة لي مال كثير موزع
سأكنم إسلامي وأوذيك ، إنهم
ورحت تحابيهم وتشق صدورهم
تقول : لقد فاز اليهود وأدركوا
أغاروا ، فردوهم ، وأمسى محمد
أبوا أن يذوق القتل إلا بمكة
فطاروا سروراً واستمر غواتهم

أست ترى النور الذي جاوز المدي ؟
وتؤثر خير الزاد فيمن تزودا
وأصبحت تدعوه تقياً مؤحدا
ليالي تأتي أن يطاع ويعبدا
سواه لأعطاك الحسام المهندا
تسوهك ، إني أحذر المعشر العدى
أخف عليه أن يضيع ويفقدا
هم القوم ، لا يؤذون إلا من اهتدى
بخرقاء تستهوى الغي الملبدا
على الفاتحين العر نصرأ مؤيدا
أسيراً لدى ساداتهم ليس يفتدى
وإن له عماً قريب مؤعدا
يذيعونه زوراً وإفكاً مردداً

وطاشت عقول المسلمين فأصبحوا
وأرضى الألى ضلوا السبيل بشيرهم
تزود هما كل من كان مسلماً
فأرسل : ما هذا الذي أنت قائل ؟
تبارك ربي ، إنه جل شأنه
فقال : نعم : عد يا غلام وقل له
فأعتق من فرط السرور غلامه
ووفاه حجاج بآباء خبير
وناشده أن لا يذيع حديثه
فما انقضت راع الرجال بطلمعة
تدفق بشراً وجهه ، وجرى السنا
يقولون ، لا تحزن ، فيالآلى عموا
رماهم بأخبار الفتح فغاظهم
يضجون : أين ابن العلاط ؟ أما لنا
لقد عرنا ككيا يفوز بماله
فواهاً له من ما كر لو نصيبه
جزاهم إله الناس ، ما ذنب مسلم
رأى شرهم فاحتال يحفظ ماله

حيارى يرون العيش أغبر أنكدا
لئن جمعوا من ماله ما تبددا
وأعيا على العباس أن يتجلدا
قل الحق يا حجاج واقع به الصدى
لحق عليه أن يعز محمددا
أبا الفضل أبشر وانتظر مقدمى غدا
وراجعه من أمره ما تعودا
فأسمى الذي أخفى من الأمر قد بدا
ثلاثة أيام حذاراً من الردى
تشق على الأعداء مرأى ومشهداً^(١)
على صفحتيه ساطعاً فوقدا
ويا لك من حزن أقام وأقعدا
ورد ذليلاً كل عات تمردا
إليه سبيل ؟ ؟ إنه كان مفسدا
خاق بنا من إثمه ما تعمدا
إذن الجزيناه الجزاء المشددا
كريم السجايا ، ما أساء ولا اعتدى ؟
عليه ، ويأبى أن يغادره سدى

(١) عمد إلى حلة فلبسها ، ثم تخلق بخلق . وأخذ بيده قضييا ، ثم أقبل يخطر حتى أتى مجالس قريش وهم يقولون إذا مر بهم : لا يصيبك إلا خير يا أبا الفضل . هذا والله التجلد لحر المصيبة ، قال : كلا والله الذي حلقم به ، لا يصيبني إلا خير ، وذكر الفتح وغنائم المسلمين فخرنوا وقالوا : إنك عدو الله - يعنون حجاجاً - أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن .

فلاقت زينب قتلا بقتل
 أمن حمل الحمار من الغواني
 كذلك حكم ربك في كتاب
 هو القسطان أنزل مستقيماً
 أتى يحمي الحقوق ويقتضيها
 بناء العدل ، ليس به خفاء
 ألا خسر اليهود ولا أصابوا
 كأن الغدر عند القوم دين
 وما كانت لصاحبهم كفاءة
 كمن حمل العامة واللواء ؟
 أقام السبل بينة وضاء
 لمن يزن النفوس أو الدماء
 فلا جنفاً يريد ولا عداء
 فسبحان الذي رفع البناء
 طوال الدهر خيراً أو نساء
 فما يدع الرجال ولا النساء

الشاة المسمومة

عمدت زينب بنت الحارث أختي .رحب - وهي امرأة سلام بن مشكم - إلى
 عز لها فذبحتها ، وجاءت بسم قاتل لساعته فأشاعته فيها ، وعلمت أن النبي
 صلى الله عليه وسلم يحب الذراعين فأكثرت فيهما من ذلك السم ، ثم جاءت
 فوضعتا بين يديه ومعه طائفة من أصحابه فيهم بشر بن البراء بن معرور رضي الله
 عنه . فلماذا قام النبي أنبأ الله بأمرها ، فقال لأصحابه : ارفعوا أيديكم وكان
 بشر قد أصاب منها ففعل فيه السم ومات بعد سنة ، فأمر النبي بقتل تلك
 اليهودية الحبيثة .

أكانوا كلهم داء عياء ؟ فما يجد الأداة لهم دواء ؟
 ألا إن النطاسق المرجى أتى يلقي الألى انتظروا اللقاء
 أتى بالحكمة الكبرى رسولا فكان لعلة الدنيا شفاء
 أظمعت زينب بذراع شاة يُسَمُّ أن يُضَرَّ وأن يُسَاء ؟
 أبي الملك المهيم ما أرادت نخبها ، وكان له وقاء
 أتت تمشي بها ، وتقول : هذا طعامك ، فارضه ، وانعم مساء
 فقال لصحبه : رزق أانا فباسم الله ، لا نُحصى ثناء
 فلما ذاقها قال : اتركوها فإن الله قد كشف الغطاء
 طعام السوء مسموم ، وهذا أخى جبريل بالأنباء جاء
 فكفُّوا غير بادرة لبشر مضت قدراً لربك أو قضاء
 فيالك طعمته لم تبق منه حاجة نفسه إلا ذماء^(١)
 إذا رام التحول أمسكته ولو قدرت مفاصله لناء
 قضاها حجّة من ذاق فيها مرارة عيشه كره البقاء
 وحُمّ قضاؤه ، فمضى رضياً يسواً جنّة المأوى جزاء
 وقال محمد يا آل بشر كفى بدم التي قُتلت عزاء

المؤمنات في جيش الرسول

خرج في هذه الغزوة مع جيش الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم عشرون امرأة من نساء المسلمين فيهن عمته السيدة صفية رضي الله عنها وعنهن ، وقد أعطين نصيباً من الغنائم .

أتين بهن من شوق غليلٍ وعدن لهنّ منقلب جليل
خرجن من الخلدور مهاجراتٍ فلا دعة ، ولا ظلٌّ ظليل
يسرنّ مع النبيّ على سواءٍ ولا هادٍ سواءٍ ولا دليل
يردن الله ، لا يبغين دنياً كثيراً متاعها نزرٌ قليل
عقائل في حمى الإسلام يسمو بهنّ من العلى فرغٌ طويل
يفتنن إلى صفية حيث كانت وكان سببها ، نعم السبيل
عليها من رسول الله وسم مبيت العتق ، وضاح جميل
عشيرة سُوددٍ ، وقبيل مجد فبوركتِ العشيرة والقبيل
يُجرّدن الثُّموس مجاهداتٍ بحيث يجرّد العضب الصقيل^(١)
فلا ضعف يعوق ولا لغوب ولا ولد يشوق ولا حليل
نساء الصدق ، ما فيهنّ عيب وليس لهن في الدنيا مثيل
أخذن عطاءهنّ على حياءٍ يزيد جماله الخاق النبيل
لئن قلن الذي أوتين منه فأجر الله موفور جزيل

غزوة وادي القري

كانت بعد خيبر ، وأهل هذا الوادي من اليهود دعاءم النبي صلى الله عليه وسلم إلى الاسلام ، فأبوا الا القتال ، وحمل ثلاثة منهم في الطليعة واحداً بعد واحد ، وحمل على بن ابي طالب والزبير بن العوام وأبو دجانه فقتلوه ، ثم نشب القتال بين الجيشين فكان النصر للمسلمين . وطلب اليهود الصلح فتركت الأرض والنخيل والبساتين والحدائق في أيديهم يعملون فيها أجراً كإخوانهم يهود خيبر .

خوضوا الوغى يا أهل وادي القري واستقبلوا الموت وأشد الشرى
أنكرتم الإسلام دين الهدى والله والسيف لمن أنكرا
إن تطلبوا البرهان فاستخبروا جيرانكم ، أو فاسألوا خيبراً
أقتل علىّ إنهم معشر ما مثلهم أعشى الهوى معشراً
ويا حوارى الرسول اقتنص كل غويّ جاء مستهتراً
وأنت فاضرب في الظلى يا أيا دجانه اضرب مُقبلاً مُدبراً
كثروا جنود الله في نصره ليس لغير الله أن يُنصراً
لا تتركوا جيش الألى استمسكوا بالكفر حتى يرجع القهقري
يا صولةً هدت فراعينهم ما أشجع القوم وما أصبرا
أبطال حرب لم يزل بأسهم يلتهم العسكر فالعسكرا
وادي القري التفّ على روعة يا ويح للرتاع ، ماذا يرى ؟
من مثل الأغوال تهفو به أهوالها العظمى ؟ ومن صورا ؟
بأس رسول الله في صحبه ما أعظم البأس وما أكبرا
ذلت يهود بعد أن لم تكن تظنّ أن تغلب أو تقهرا
استعمر الفاح زراعهم في الأرض ، لولا الرفق ما استعمرها

(١) العضب الصقيل . السيف القاطع المصقول .

فَلْيَشْكُرُوا مِنْهُ أَكْرَمًا
وَلْيَرْقُبُوا الْعَقَبَى وَزَلْزَلَهَا
لَا حَوْلَ لِلْقَوْمِ وَلَا حِيلَةَ
لَنْ يَصْحَبَ الْإِسْلَامَ فِي دَارِهِ
بِإِشَارَةِ اللَّهِ أَتَانَا بِهَا
مِنْ حَقِّهَا الْوَاجِبُ أَنْ تُشْكِرُوا
إِنْ أَظْهَرَ الْخِطَابُ مَا أَضْمَرُوا
فِيمَا قَضَى اللَّهُ وَمَا قَدَّرَا
أَحْبَابُ دِينٍ غَيْرِهِ مُفْتَرَى
أَصْدَقُ مِنْ بَشَرٍ أَوْ أَنْذَرَا

أَهْلُ تَيْمَاءَ

رَأَى أَهْلُ تَيْمَاءَ انْتِصَارَاتِ الْمُسْلِمِينَ فِي خَيْبَرَ ، وَفَدَكَ ، وَوَادِي الْقُرَى ،
فَارْتَدُّوا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَهُ الْإِصْلَاحَ عَلَى أَنْ يُؤَدُّوا إِلَيْهِ
الْجِزْيَةَ قَبْلَ وَأَقْرَمَ عَلَى حَالِهِمْ ،

هو النصر يا تيماء يتبعه النصر
دعى الرسل تمضى ما عليك ملامة
فإن تخفضى منك الجناح لتنعى
وهل يرفع العصفور يوماً جناحه
إذا أمسك الصبر البلاد وأهناها
ألم يك أهل الأرض موتى ، نجاءهم
أبى أن يظنوا آخر الدهر فوقها
حياة الدنيا فى سيفه وكتابه
فإن كنت فى ريب فقد وضح الأمر
وكيف يعاف الأمن من غاله الذعر؟
بأفياء عيش ساكن ، فلك العذر
إذا حنق البازى ، أو انطلق النسر؟
فايس على هذا قرار ولا صبر
رسول حياة دينه البعث والنشر؟
يسرون فى الأكفان وهى لهم قبر
وما منهما إلا لها عنده سر

* * *

لك الأمن يا تيماء لا الدم دافق
ولا أنت تكلى ، ما تُعْبِكِ لوعة
أعانك رأى أبصر القصد فاتحى
ولو آثروا الإسلام ديناً لأفلحوا
أبوا وتولوا يشترون نفوسهم
يؤدونها من خيفة القتل جزية
ولا النقع مسوداً ، ولا الجومقبر
مؤججة كالجمر ، أو دونها الجمر
بأهلك مالا ينتحى الجاهل الغر
ولكنه الشرك المذمّم والكفر
بأموالهم ، هذا هو القين وأنحسر
على الهون ، مما يرزق الحب والتمر

أقاموا يريدون الحياة بأرضهم
 رويد الألى اختاروا الضلالة خطّة
 يَصِلُونَ والفجر المنور طالع
 لكل أناس مدّة ثم تنجلي
 وكيف حياة القوم إن فسد الأمر؟
 فتلك - وإن لم يعلموا - خطّة نكر
 ولا عذر للضلال إن طلع الفجر
 عميتهم ، فأصبروا إنه الدهر

عِمْرَةُ الْقَضَاءِ

ويقال لها عمرة القضية . والصلح والقصاص ، وهى التى أجازها عهد
 الحديبية للرسول الكرم وأصحابه رضوان الله عليهم ، وكانت فى شهر
 ذى القعدة من السنة السابعة . وهو الشهر الذى صده المشركون فيه عن
 البيت سنة ست ، ويقال لهذه العمرة غزوة الأمن ولهذا ألحقت بالغزوات
 لأن النبى صلى الله عليه وسلم خرج لاليها بالخييل والسلاح مخافة أن يغدر
 المشركون فيقاتلهم ، وخرج معه من أصحابه ألفا رجل أكثرهم ممن شهد
 الحديبية ، فلما رأى احترام القوم للعهد أمر بوضم السلاح فى مكان قريب
 من الحرم يقال له بطن ناجح ثم دخل مكة هو وأصحابه آمنين وقضوا مناسكهم
 من صلاة وطواف ونحر وخرجوا بعد ثلاثة أيام وفاء بالعهد .

مضى العام ، وانبعث المنتظر
 وختلت السبل للمعتصر
 لقد يتر الله تلك الصعاب
 فما من عصي ولا من عسر
 بدار بدار جنود النبى
 فإن الغنيمة للمبتدر
 إلى البيت سيروا سراغ الخطى
 فما تم من خيفة أو حذر
 وسوقوا الهدايا إلى ربكم
 فما خاب من ساقها أو نحر
 دعوها لناحية إبه
 لنعم الفتى أن تمطى السفر^(١)
 دليلكم الصدق فيما مضى
 يشق الصعاب ، ويهدى الزمر
 وللخيل قائدها المجتبي^(٢)
 وفارسها الشمرى^(٣) الأغر
 رأوها مطهمة فى السلاح
 فطاروا يقولون : أمر قدر^(٤)

(١) ناجية بن جندب جعله النبى على الهدايا ، وفى البيت وما بعده إشارة إلى ما كان
 من أمره فى الحديبية وهو مذكور فى مكانه .

(٢) هو محمد بن مسلمة . أقيم على الخيل .

(٣) الماضى فى الأمور المحرب .

(٤) المطهم التام من كل شىء وهؤلاء نفر كانوا بمر الظهران فلما بلغته الخيل ورأوا
 السلاح طاروا إلى مكة فأذاعوا الخبر . وقرع القوم وقالوا لنا على عهدنا فما محمد يقرونا .

أيا قومنا إنهم أقبلوا
 أخذوا حذرهم ، واجمعوا أمرهم
 وجاء ابن حصن رسولا يقول
 أنتفض عهدك تبغى القتال
 قريش على العهد ما بدّلوا
 على م السلاح ؟ وماذا تريد ؟
 فقال النبي : اهدأوا إني
 سيبقى السلاح بعيد المكان
 مكة حرمته والذمام
 وأقبل في صحبه الأكرمين
 فيا ابن رواحة خذ بالذمام
 جلا القوم يأبون لقيا النبي
 فطافوا وصلّوا وخفّوا معاً
 وقضوا المناسك مستبشرين
 وجاء حريطب^(٤) يلقي النبي
 يقولان : إنّا على موعد
 قضيت الثلاثة فاذهب إلى

(١) هو مكرز بن حصن الغادر .

(٢) عبد الله بن رواحة أخذ بزمام ناقة النبي وهو مقبل على البيت وصار يرتجز :

خلوا بني الكفار عن سبيله إلى آخر ما قال

(٣) خرجوا من مكة حتى لا يدخلها عليهم النبي لئلا يمضي الموعد ، وهكذا كتب

في العهد .

(٤) حويطب بن عبد العزى .

(٥) سهيل بن عمرو الذي تولى إبرام عهد الحديبية مع النبي .

فأرعد سعد وجاشت به
 وألقى بصاعقه تستطير
 فقال النبي : رويداً رويداً
 وحُمّ الرحيل ، فنعيم السبيل
 هو صبروا ، فاشقوا ظافرين
 فشكراً لربّ يحبّ التقيّ
 حميّة مستوفز كالنمر^(١)
 على جانبيها بروق الشرز
 وأطفأ من غيظه المستعر
 سبيل القبيل الجليل الخطر
 وما الصبر إلا بشير الظفر
 ويضفي العطاء على من شكر

(١) سعد بن عباد . غضب وأغلظ القول للرجلين ، فهدأ الرسول الكريم نفسه .

أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الجذلية رضي الله عنها

لإختارها الله زوجاً لرسوله الكريم في هذه العمرة ، وكان اسمها قبل ذلك (برة) فسمّاها (ميمونة) وهي أخت أم الفضل زوج العباس بن عبد المطلب . وأخت أسماء بنت عميس زوج حمزة لأُمها .

سم سما لفظه وازدان معناه
ميمونة أنت : هذا ما تحبّه
أوفى بحمزة والعباس مجدّها
لأنت أكرم عند الله منزلة
لم تعلقى : أمطأيا الله حاملّة
إلى المدينة سيرى في كلاته
قرى ببعلك عيناً ، إنه شرف
أطربت فيك وفي المختار مؤمنة
عزّ يوطد للإسلام جانبها
ما انفكّ يتخذ الأضمار يجعّهم
سياسة ماري الطّب اللبيب بها
وقوة لرسول الله شائعة
وسنة لبني الإسلام يشرعها
هم أسرة في ظلال الله واحدة
لا تعرف الرشد إلا في شرائعه
دين الألى يؤثرون العزم منزلة
لكل شعب بناء ليس يمسكه
لولا الأواصر والأرحام ما التأمّت

حلاك ربك بالحسنى وحلاه
لك الذي اختاره من خاقه الله
يا أخت زوجيهما والناس أشباه
يا زوج أحمد إذ أعطاك إياه
منك الجلال المحلى ، أم مطاياه ؟
يا طيب مثواك إن شارفت مثواه
ما مثله شرف عال ولا جاه
عزت بأباج ما تحصى مزاياه
من جانب الله . ولاها ومولاه
لدينه الهادم الباني وديناه
إلا أصاب بأذن الله مرماه
بين القبائل يرعاها وترعاها
والخير أجمع شرع من سجاياه
تمضى على الحق ، ترجوه وتحشاه
ولا ترى الخير إلا في وصاليه
ما كان أهون دنيا الناس لولاه
شيء إذا نام عنه من تولاه
منه الصدوع ، ولا انضمت شظاياها

إسلام خالد بن الوليد وعثمان بن أبي طلحة وعمر بن العاص رضي الله عنهم

قال خالد رضي الله عنه ، لما جاء النبي صلى الله عليه وسلم لعمرة القضية تنقيت ولم أشهد دخوله ، وكان أخى الوليد دخل مكة معه . فطلبني فلم يجدني فسكتب لى .

بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد فإنى لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام ، وقلة عقلك . ومثل الإسلام هل يجبهه أحد ؟ ؟ سألتني عنك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أين خالد ؟ ؟ قلت . يأتي به الله : قال : ما مثله يجهل الإسلام ، ولو كان يجعل نكايته مع المسلمين على المشركين لكان خيراً له ، ولقد مناه على غيره ، فاستدرك بأخى ما فاتك . فقد فاتك مواطن صالحة .

قال خالد : فلما جاءنى كتابه نهضت للخروج ، وزادنى رغبة في الإسلام ، وسرتنى مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ورأيت في المنام كأنى في بلاد ضيقة جدية . فخرجت إلى بلاد خضراء واسعة . ثم خرج إلى المدينة . فلقى صفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبى جهل ، وعثمان بن طلحة ، فعرض عليهم الإسلام . فما قبله إلا عثمان ، ولقى خالد وصاحبه عمرو بن العاص فوافقهما ، وقسموا على النبي فأسلموا ، رضي الله عنهم .

تم ودع الأوثان والأصناما
يا خالد اعمد لتي هي عصمة
الله رب العالمين ودينه
إقرأ كتاب أخيك ، مالك مصرف
أقبل رعاك الله ، إنك لن ترى
سأل النبي بأى حال خالد
إنى رأيت لخالد من عقله
ما مثله يرتاب في دين الهدى

أفما ترى برهان ربك قاما ؟
لذوى البصائر ، وانيد الأوهاما
دين السلام لمن أراد سلاما
عما يريد ، ولن ترى الإحجاما
كسبيل ربك مطلباً ومراماً
أفما يزال يحانب الإسلاماً ؟
فيا يمارس مُرشداً وإماماً
فيرى الضياء المستفيض ظلاماً

إنا نعرفه رشيداً حازماً ونراه شهماً في الرجال همما
لو أنه جعل المضرة والأذى للمشركين لما استحق ملاما
ولكان عندي يا وليد مقدماً يلقى لدى البر والإكراما

* * *

أقبل أخى وتلاف أمرك، لا تكن ممن إذا وضع السبيل تعامى
كم موطن جلل لو انك لم تقب عنه ، لكنت إذاً أجلّ مقاما
يكفيك ما ضيقت ، ليس بحازم من لا يزال يضيع الأياما

* * *

نشط الهمام ، وراح يدرك نفسه يبغي لها عند النبي ذماما
ألقى إلى الوادى الخصب برحله فأصاب فيه مرتعاً ومساما^(١)
أقيم بالوادى الجديب فلا يرى إلا سرايباً كاذباً وجهاما^(٢)
لاقى بعكرمة وبابن أمية شراً يعب عبابه وعُراما
قال : اثتيا نبغى النجاة فأعرضا وتنازعا قولاً يشب ضراما^(٣)
وأجابها عثمان دعوة ناصح يأبى الهوى ويحانب الآثاما

(١) السام المرعى :

(٢) الجهام السحاب لاما فيه .

(٣) قال خالد ، لقيت صفوان بن أمية فقلت يا أبا وهب أما ترى أن محمداً صلى الله عليه وسلم ظهر على العرب والعجم . فلو قدمنا عليه فاتبعناه فإن شرفه شرفنا ، قال : لو لم يبق غيرى ما اتبعته أبداً . قلت هذا رجل قتل أبوه وأخوه بيدى ، فلقبت عكرمة بن أبى جهل فقلت له مثل ما قلت لصفوان . فقال مثل الذى قال صفوان ثم لقيت عثمان بن طلحة . فقلت . هذا لى صديق ، فأردت أن اذكر له ما عندى . ثم ذكرت من قتل من آباءه وأخوته فكرمت ثم قلت وما على ؟ فقلت له : إنما نحن ننزلة نصاب فى حجر لوصب عليه ذنوب من ماء الحرج . ثم قلت له ما قلت لصفوان وعكرمة فأسرع الإجابة (الذين قتلوا أبوه طلحة وعمه ، عثمان ، وإخوته مسافع والجلاس والحارث وكراب) قتلوا جميعاً يو أحد .

مضيا على سنن الطريق فصادفنا عمراً قالا مالنا؟ وإلى ما؟^(١)
يا عمرو دين الله ، اسنا كالألى جعلوا الحلال من الأمور حراما
قال : اهتديت ، وإن أكون كمن يرى طول الحياة لنفسه ظلماً
ومشوا ، فما بلغ الرسول حديثهم حتى بدا متبلاً بساما
سرته مكرة إذ رمت أفلاذها كيداً تكن الحب والإعظاما^(٢)
بعثت إليه من الجبال ثلاثة رضوى يصاحب يذبل وشامام^(٣)
خف الوليد يقول : لا تتمهوا وإن الحديث إلى النبي ترى^(٤)
حسوا المطى ، فإنه مترقب وأرى جوائحكم ترف أواما

* * *

وفدوا كراما يؤمنون بربههم ورسوله بيض الوجوه وساما
نفضوا الهوان عن الجباه فأصبحوا شم المعاطس يرفعون الهاما
أفيعبدون مع الغواة حجارة؟ أم يعبدون الواحد العلاما؟
كشفت اللثام عن اليقين، وإن ترى كالجهل سترًا ، والغرور لثاما
لو طاروع الناس الطيب لما اشتكى من يحمل الأدواء والآلاما

(١) قال خالد : لقينا عمرو بن العاص فقال : مرحباً بالقوم ، أين مسيركم ؟؟ قلنا : الدخول فى الاسلام ، قال : هذا الذى أقدمنى : وفى رواية أنه قال لخالد : يا أباسليمان أين تريد؟ قال : والله لقد استقام المسير ، وظهر الأمر ، وإن هذا الرجل لى . فاذهب فأسلم . حتى متى ؟؟ قال عمرو : أنا ما جئت إلا لأسلم .

(٢) لما بلغ النبي خبر قدومهم قال لأصحابه : رمتكم مكة بأفلا ذكبيها .

(٣) رضوى ويذبل وشامام أسماء جبال .

(٤) قال خالد : لقيت أخى فقال : أسرع فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سر بقدمكم وهو ينتظركم ، فأسرعنا المشى ، فاطمعت عليه ، فما زال يبتسم لى حتى وقفت عليه ، فسلمت عليه بالنبوة فرد على السلام بوجه طاق . فقلت . أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ، قال ، الحمد لله الذى هداك قد كنت أرى لك عقلا رجوت أن لا يسلك إلا لى خير ، قلت يا رسول الله ادع الله أن يفر لى تلك المواطن التى كنت أشهدك عليك . قال : الاسلام يجب ما كان قبله ، وتقدم عثمان وعمرو فأسلما . رضى الله عنهما وعنه .

يعرف لربك حقه ، فلحكمة
أرأيت كالإسلام ديناً قيماً
الله أحكم أمره وأقامه
نادى النبي به فأفزع صوته
ودعا إليه ، وسيفه يمينه
تمضي أباطيل الحياة ، ولن ترى
خلق العقول وأنشأ الأحلاما
ساس الأمور ، ودبر الأحكاما ؟
للمؤمنين شريعة ونظاما
أما بآفاق البلاد نياما
يمضي حياة مرّة وحماما
لسوى الحقائق في الزمان دواما

* * *

صمعت نفوس المشركين وهائم
قالوا : فقدناهم ثلاثة قادة
ما أعظم البلوى وبالك نكبة
نزل البلاء بنا فكان مضاعفا
هم إذا أنجحت المهموم أقاما
ما مثلهم بأساً ولا إقداما
ملكنا علينا النقص والإبراما
وجرى العذاب معاً ، فكان غراما

* * *

إني إخال البيت يشرق جوّه
يا ابن الوليد لك الأعنة كلها
سترى للشاهد ترجف الدنيا لها
بشرحمة الشرك منك بوقعة
وإخال مكة ترفع الأعلاما
فالق القناب ، وادفع الأقواما^(١)
وترى الحصون تميد والآطاما
توهى القوى وتزلزل الأقداما

عزوة مؤتة

كانت في جمادى الأولى سنة ثمان . ومؤتة موضع معروف عند الكرك
بالشام . وسببها أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث الحارث بن عمير الأزدي
إلى هرقل ملك الروم بالشام بكتاب منه ، فلما بلغ مؤتة تعرض له شر حبيبل
ابن عمرو الفسائي من عمال قيصر ثم ربطه وقتله (١) .
فسير النبي لمقاتلة ملك الروم ثلاثة آلاف رجل من أصحابه بقيادة زيد
ابن حارثة (٢) .

وعقد له لواء أبيض دفته إليه ، وأوصاهم أن يأتوا مؤتة فيدعوا من
يها إلى الإسلام فإن أبوا فالجهم . فلما أتوا معان بلغهم أن هرقل في مائة
ألف من قومه ، ومثلهم من العرب المنتصرة (٣) .
ومعهم من الخيل والسلاح ما ليس مع المسلمين ، ولقبهم الجوع
فأقتلوا ، وهزم الروم والذين معهم من العرب هزيمة منكرة بعد مقتلة
كبيرة على يد خالد بن الوليد رضي الله عنه ، وقد لقبه النبي صلى الله عليه
وسلم بسيف الله من يومئذ .

ودعّ ذوبك وسرفى شأنك الجلال
سر بالكتاب رسولا حسبه شرقاً
يا حامل الجبل المرقوم دونك
إلى هرقل تأتي دون سده
لله يا ابن عمير أنت من رجل
أن راح يحمله من أشرف الرسل
من ذا سواك رعاك الله للجبل ؟
صيد الملوك ، وتاقاة على مهل
ترتدّ عن تاجه الأبصار خاشعة
فأ تلاحظه إلا على وجل
إليه يا ابن عمير لست واجده
إلا أمراً هملاً في معشر همل
لأنت أعظم منه في جلالته
وما جلالة غارى الرأى محتبل ؟

(١) لم يقتل للنبي رسول غيره .

(٢) قال النبي : إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الجيش ، فإن أصيب فبب الله
ابن رواحة ، وقد أصيب الثلاثة رضي الله عنهم .

(٣) هم بنو بكر ولحم وجذام .

(١) ما زال خالد على أعنة الجبل منذ أسلم . والقناب جمع مقنب والقناب الجماعة من الخيل
من الثلاثين إلى الأربعين أو زهاء الثلاثين .

لا يعرف الدين إلا الفتنة وهوى
هذا كتاب رسول الله بنذره
أعمى التقاصد والآفاق والسبل
فاذهب إليه وخذه غير محتفل

* * *

مهلا شربيل لاحتيت من رجل
بادى الشراسة عاد ما يلائمه
هاجته من نزوات الجهل تائرة
فطاح بابن عمير باسلا بطلا
يال للربيط ، يسل السيف مهجته
كذلك الغدر ، لا ظم بمجنب
ما كان ذنب امرى في الله مرتحل
لم تبقي من كلب يهتاج أو ثول^(١)
يفل في الروع بأس الباسل البطل
في غير معترك حام ومقتل
في الغادرين ، ولا لوم بمعزل
يرجوه في كل محتل ومرتحل ؟

* * *

سريا ابن حارثة بالجيش ، تقدمه
أدع الألى اتخذوا العمياء وارتكسوا
فإن أبوا فسيوف الله تأخذهم
أمر النبي فسر يا زيد ممثلا
فإن أصبت ، فمن سمى على قدر
إتبع وصاياها فيما لا يحل لكم
هذا لو أوك فابعثه على عجل
فيها إلى أرشد الأديان والملل
من كل متقد الخدين مشتعل
والجند جندك ما تأمره يتمثل
وليس للنفس إلا غاية الأجل
ولا يليق بكم من سىء العمل^(٢)

(١) الثول عارض من جنون .

(٢) قال لهم الرسول الكريم وهو يودعهم - أوصيكم بتقوى الله وبن معكم من المسلمين خيراً ، اغزوا باسم الله فقاتلوا عدو الله في الشام ، وسجدون فيها رجالا في الصوامع معتزلين فلا تعرضوا لهم ، ولا تقتلوا امرأة ولا صغيراً ، ولا بصيراً فانيا ولا تقطعوا شجراً ، ولا تهدموا بناء .

دعوا الصوامع واستبقوا النساء ولا
لا تقطعوا شجراً ، لا تهدموا جذراً
تؤذوا صغيراً ، ولا تودوا بمكتمل
لا تقربوا ما استطعتم موطن الزلل

* * *

هذا هرقل يسوق الجيش مرتكداً
يزجي الكتائب من روم ومن عرب
والصافنات تهادى لا عداد لها
إن الذين أداروا الرأي وانتظروا
الغالبون وإن قتلوا وظن بهم
لم يابث القوم حتى قال قائلهم
إنا خرجنا نريد الله ، فاستبقوا
لو زالت الأرض أو حالت جوانبها
هما سبيلان ، إما النصر ندرکه
لسنا نقاتل بالآلاف نحشدها
إننا نقاتل بالدين الذي ضمنه
لولا مقالة عبد الله ما انكشفت
كالعارض الجون يرمى الأرض بالوهل^(١)
في المرهفات المواضى والقنا الذيل
من كل منذلق في الكر منجفل^(٢)
لم يبرح النصر مولاهم ولم يزل^(٣)
ما يكره الله أهل الزور والخطل
يم الحوار؟ وهل في الأمر من جدل^(٤)
من كل منتهب للخير مهتبيل^(٥)
بين عليها من الأقوام لم نحل
أو جنة الخلد فيها أطيّب النزل
ألفاً لألف من الأبطال مكتمل
أعلامه النصر في أيامنا الأول
تلك الغواشي ، ولولا الله لم يقل

* * *

(١) العارض السحاب العترض في الأفق والجون الأسود الوهل الضعف والفرع .

(٢) الصافنات الخيل ومنجفل مسرع .

(٣) علموا بأمر هرقل وجنوده . فأقاموا ليكن ينظرون في أمرهم : أيطلبون النجدة .

أم ماذا ؟ .

(٤) عبد الله بن رواحة . قال لهم يا قوم والله إن الذي تكرمون للذي خرجتم له ، خرجتم تطلبون الشهادة ونحن ما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله تعالى به فإنما هي إحدى المسفين ، إما ظهور ولما شهادة ، قالوا : صدقت ومضوا للقتال .

(٥) اهتبيل الأمر اغتنامه .

تقلدوا العزم للهبجاء وأدّرعوا
وأقبلوا لوتميل الشم من فزع
يا مؤتة احتملى الأهوال صابرة
جن الكريمة يستشري الصيال بهم
ما زال قائدهم يُلقى بمهجته
يفشى موارد من أهوالها لججاً
ما من يخوض الوغى تطفئ زواجرها
يا زيد أدبت حق الله فامض على
أبوا إلى خير دار ، ما لنازلها
يسلوا أخو العقل عن دار الموموم بها
جاهدت في الله ترضيه وتنصره
هذا الذي نبأ الله الرسول به
وأنت يا جعفر المأمول مشهده
هذا جوادك ما حالت سجيته
عقرته ، وركبت الأرض ، تمنعه
أكرمته ، وحرمت القوم نجدته
دلقت تمشي على الأشلاء مقتحماً
فقدت يمينك ، فانصت اللواء على
حتى هوت فجعلت الصدر موضعه

من صادق البأس ما يفتى عن الخيل
لم يضطرب جمعهم خوفاً ولم يمل
هيات - ذلك شيء غير محتمل
في موطن لو رأته الجن لم تضل
يرمى اللنية في أنيابها العضل^(١)
تلك الموارد ، ايس العمر كالوشل^(٢)
كمن يجانبها خوفاً من البلل
نهج الألى انتقلوا من قبل وانتقل
من أوبة تبعث الأشجان أو قفل
ويحتوى منزل الأدواء والعلل^(٣)
لم تلق من سام يوماً ولا مال
فاغم ثوابك ، والحق الصحب في جدل
خذ اللواء وجاوز غاية الأمل
ولا ارتضى بوفاء الحر من بدل
مواطن السوء من صن ومن بخل
فصنت نفسك عن لوم وعن عدل
والقوم منجدل في إثر منجدل
يسراك ، ما فيه من أمت ولا خلل^(٤)
كأنه منه يضع غير منفصل^(٥)

(١) الموجة .

(٢) العمر الماء الكثير والوشل القليل منه .

(٣) اجتوى المنزل والشيء كرهه .

(٤) انصت بمعنى انتصب والامت الاعوجاج .

(٥) البضع من الشيء القطعة منه .

يضفه ضم صدى النفس ، يولعه
يا قائد الجيش ، ضجّ الجيش من ألم
تقضى الدمام ، وتمضى غير . كثرت
لقيت حتفك في شعواء عاصفة
أعطيتها منك نفساً غير واهنة
لك المناب لم تُقدر غرائبها
من يؤثر الحق يبذل فيه مهجته
لا شيء يعجز آمال النفوس إذا
إنهض بعينك عبد الله مضطلعاً
هذا مجالك ، فاركض غير متدد
كم جئت بالعربيّ السمح مرتجلاً
للعبقرية فيسه مظهر أنق
قنعت بالشعر أغزو المشركين به
لقطرة من دمي في الله أبدلها
تقلد القوم ملء الدهر من شرف
إن شاء ربي حبانى من ذخائرهما
الحمد لله ، أجرى النور من قلبي
أوتيت ما جاوز الآمال من أدب

بين أطلال صداه لذّة القبل
وأنت عن دمك المسفوك في شغل
كأنما الأمر لم يفتح ولم يهسل
حرى الجوائح ظمأى البيض والأسل^(١)
أعصتكَ سورة مجد غير منتحل^(٢)
ملء المشاهد ، لم تعهد ولم تحل
ومن يكن همّه أقصى المدى يصل
خلت من الضعف واستعصت على الكسل
بكل ما تحمل الأطواد من تقل
وإن رأيت النايبا جولا فحل
واليوم يوم منايا الروم فارتحل
يا حسنه مظهراً لو كان يقدر لى
فلم أصب فيه آمالى ولم أنل
أبقى وأنفع لى من هذه الطول^(٣)
وليس لى من غواليها سوى العطل
أغلى الخلى ، وكسانى أشرف الخلال
هدى لقومى ، وعافانى من الخبل
على الجلال ، مصون غير مبتذل

* * *

(١) صفات للحرب . والبيض السوف والأسل الرماح .

(٢) سورة المجد أثره وعلامته .

(٣) الفوائد الطوال .

يا شاعر الصدق ماخاب الرجاء ولا
خذ عند ربك دار الخلد تسكنها
آثرته ، واصطفيت الحق تكاؤه
ليس العرائين كالأذنان منزلة
مثل العطاء الذى أدركت والنفل^(١)
قدسية الجوّ والأرواح والظلل
مما يحاول أهل النقي والضلال^(٢)
ولا الغطارفة الأجماد كالسفل

* * *

يا عقبه اصدع بها بيضاء ناصعة
القتل أجدر بالأحرار يأخذهم
ويا ابن أرقم نعم المرء أنت إذا
قالوا : لك الأمر فاخترت الكفى له
لكنها نفس حرّ ذى محافظة
صنت اللواء وآثرت الأحق به
أبى عليه حياء زاده عظما
قلت : اضطلع خالد بالأمر فاستعرت
تنفى الوسواس ، أو تشى من الغلّ^(٣)
مستبسين ، وينهاهم عن الفشل
تنوزع الأمر عند الحادث الجلال^(٤)
وأنت صاحبه المرجو للفضل^(٥)
صافى السريرة ، بالإيمان مشتمل
إيثار أغلب لاواه ولا وكل
ما مثله من حياء كان أو خجل
منه حمية لا آب ولا زحل^(٦)

(١) إشارة إلى قوله عند خروجه إلى هذه الغرّة .

لكننى أسأل الرحمن مغفرة
أو طغنة يبدى حران مجزة
حتى يقولوا إذا مروا على جدنى
أرشدك الله من غاز وقد رشدا
(٢) الضلال اسم من الضلال .

(٣) هو عقبة بن عامر . لما قتل عبد الله بن رواحة اختاط المذنبون مع المشركين ،
وأراد بعض الأولين النجى عن القتال فقال - يا قوم لأن يقتل الإنسان مقبلا خير له من أن
يقتل مدبرا فتبونا وقويت أنفسهم .

(٤) ثابت بن أرقم . أخذ اللواء بعد مقتل عبد الله بن رواحة وقال للمسلمين : من
تختارون له ؟ قالوا أنت ، فقدم به إلى خالد بن الوليد وأعطاه إياه . فأبى خالد أن يقبله لأول
مرة لإيثاراً لثابت . فألج عليه فقبله .

(٥) العضل الدواهي . جمع عضلة

(٦) الزحل المنعنى المتقاعد .

وراح يُبدع من كيد الوغى نمطاً
رمى العدى حوّل شقى مكائده
ظنوا الجنود تنحت عن مواقفها
جيش من الرعب يشى فى جوانحهم
من خلفه الجيش يشى ابن الوليد به
ضاقوا بجفترس ، فى الهول منغمس
أذاقهم من ذعاف الموت ما كرهوا
ما للمسيئين إلا كل معتزم
رمت بهم هبوات البأس فانكشفوا
بئس الجنود أضتتهم عمائتهم
ظنوا الأمور لغير الله يملكها
وحرابوا الحق من جهل ومن سفه
ما ينقم الناس من دين يراد به
فليصبر القوم : إن الله مظهره
لدولة الله أبقى فى خليقته
أدعوك يارب للإسلام مبتهلا
نام المحامون عنه ، فهو مضطهد
صرح من العز والساطان ما برحت
طاشت مرائيه بالألباب والمقل^(١)
جمُّ الأحابيل ، يعنى كل محتبل
لغيرها من عمى بالقوم أو حوّل
لم تعتصم مهجة منه ولم تنل
فى مسبل من مثار النقع منسدل
لنفسه فى غمار الموت مبتسل^(٢)
ما كفت عن علل منه ولا نهل
فى الروح ، يحسن ضرب الهام والظلل^(٣)
يندس هاربهم فى كل مدخل
فما لهم بجنود الله من قبل
إذا جرت بين معوج ومعتدل
والحق فوق منال العشر العثل^(٤)
فك العقول من الأغلال والعقل^(٥)
على الممالك والأديان والنحل
فلا يعزّنك ما استعظمت من دول
وأنت تسمع دعوى كل مبتهل
يشكو الأذى فى شعوب خضع ذلل
تهوى صياصيه حتى عاد كالظلل^(٦)

(١) غير خالد نظام الجيش فجعل مقدمته ساقه ورائته مقدمة . ووضع الميمنة مكان الميسرة
والميسرة فى موضع الميمنة . فظن القوم أن مدداً لحق به ، فأصابهم الرعب ، ووهنت قواهم
فانهزموا .

(٢) ابتسل نفسه للدوت بمعنى وطئها له .

(٣) الظلل الاعنانى جمع طلة

(٤) العثل جمع عثول وهو الأحق .

(٥) جم عقال . وهو الجبل يعقل به البعير فى وسط ذراعه .

(٦) الصياصى الحصون والضل ما ظل باقيا من البناء المنهدم .

الفخ الأعظم - فتح مكة

كان خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة مع جنوده المنظرين في شهر رمضان من السنة الثامنة على أصح الروايات وكان عدد الجيش عشرة آلاف مقاتل - أو اثني عشر ألفاً - وسبب ذلك أن رجالاً من بني بكر الذين دخلوا في عهد قريش عهد الحديبية عدوا على رجال من خزاعة فقتلوه ، وكانت خزاعة قد دخلت في عهد النبي ، فانقض العهد بذلك . وحل القتال ، وإلماً دخلت خزاعة في عهده صلى الله عليه وسلم لحلف كان بينها وبين جده عبد المطلب بن هاشم حين أخذ عمه نوفل ما كان بيده من أمر السقاية . فحالف عبد المطلب خزاعة ، وحالف نوفل بني أخيه عبد شمس وقد جاء رجال خزاعة يوم الحديبية إلى النبي بكتاب جده عبد المطلب في ذلك الحلف ، فقرأه عليه أبي بن كعب رضى الله عنه ، وكان يعرفه قبل ذلك فقال : ما أعرفني بحلفكم ، وأنتم على ما أسلمتم عليه من الحلف . وكل حلف كان في الجاهلية فلا يزيد الإسلام إلا شدة (١) ولا حلف في الإسلام (٢) .

حلف عبد المطلب

باسمك اللهم . هذا حلف عبد المطلب بن هاشم لخزاعة ، إذ قدم عليه سرواتهم وأهل الرأي منهم يقر بما قاضى عليه شاهدهم . أن بيننا وبينكم عهدود الله وعقوده ، وما لا ينسى أبداً ، اليد واحدة . والنصر واحد ، ما أشرف نبي ، وثبت حراء . وما بل بحر صوفة ، ولا يزداد فيما بيننا وبينكم إلا تجدداً ، أهد الدهر سرمداً وفي رواية - حلقاً جامعاً غير مفرق الأشياخ على الأشياخ ، والأصاغر على الأصاغر ، والشاهد على الغائب . وتعاهدوا وتعاقدوا أوكد عهد وأوثق عقد . لا ينقض ولا ينكث ما أشرفت شمس على نبي ، وحن بفلاة بعير وما أقام الأخشيان ، واعتبر بمكة لإنسان حلف أبداً ، أطول أمد يزيد طلع الشمس شداً ، وظلام الليل مداً ، وإن عبد المطلب ومن معه ورجال خزاعة متكفون . متضافرون ، متعاونون . . . على عبد المطلب النصر لهم بمن تابعه على كل طالب ، وعلى خزاعة النصر لعبد المطلب وولده ومن معهم على جميع العرب في شرق أو غرب أو حزن أو سهل ، وجعلوا الله على ذلك كفيلاً ، وكفى به حيلة .

(١) الحلف الذي يراد به دفع الظلم .

(٢) أى على الشر والفساد .

بنو بكر وخزاعة

إسلام أبي سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء

بنى بكر وما يعنى الملام تظلى البأس ، وانتفض الحسام
ذمام صادق ، ودم حرام وعزاً من خزاعة لا يرأ
يقوم عليه حام لا ينأ (١)

أعانكم الألى نبذوا الوفاء وراح القوم يمشون الضراء (٢)
وما تحفى جريرة من أساء سيوف محمد جعلت جزاء
فما البغى الذميمة وما العرام ؟

قتلتم من خزاعة بالوتير (٣) رجالاً ما أتاهم من نذير
لبئس الفدر من خلق نكير ويا للناس للحدث الكبير
أكان محمد ممن يضام ؟

أتوه ، ينشدون الحلف وفدا تهدي شكاته الأحرار هداً (٤)
فقال لهم : نصرتهم واستعداً وراح يسوقه للحرب جنداً (٥)
تظله الملائكة الكرام

(١) النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) قاتل مع بني بكر قوم من قريش خفية ، منهم صفوان بن أمية ، وحويطب بن عبد العزى ، وعكرمة بن أبي جهل ، وشيبة بن عثمان وسهيل بن عمرو (أسلموا بعد ذلك) .

(٣) الوتير ماء كان لخزاعة بأسفل مكة .

(٤) أقبل عمرو بن سالم ومن معه من خزاعة على النبي فدخلوا عليه المسجد ، وأنشده عمرو أبياتاً منها .

يارب لى ناشد محمداً حلف أئينا وأبيه الأندلا إن قريشاً أخلفوك الوعدا
وقضوا ميثاقتك المؤكدا هم بيتونا بالوتير هجدا وقتلونا ركماً وسجدا
(٥) قال الرسول الكريم : نصرت يا عمرو بن سالم ، لارجعوا وتفرقوا في الأودية -

يريد إخفاء مجيئهم إليه .

أبأسفيان ذلك ما تراه هو البأس المنصم لاسواه^(١)
أليس الخلف قد وهنت عراه فكيف تشد بعدئذ قواه ؟

أبأسفيان ليس لكم ذمام

ككتمت الحق ، تطمع في الحال فما بال الثقات من الرجال؟^(٢)

فتحتم بالأذى باب القتال فما دون اللقاء سوى ليال

ويفتح مكة الجيش اللهم

دع الأرحام ليس لكم شفيع لقد حاولت ما لا تستطيع^(٣)

رويدك ، إنه الرأي الجميع وإن الله ليس له قريع

تعالى جدّه وسما المقام

رجعت وأزعجتك الحادثات فسرت تقول : هل قدم الغزاة ؟

نعم ، قدم انبيامين الهداة وتلك جياهم والمرهفات

قدعدين الفؤاة ، وقال : سلام

أبأسفيان هل أبصرت نارا ككنار القوم إذ باتوا سهارى

أبت وأبوا ، فما تألو استعمارا ولا تحصى وإن عدت مرارا

هو الفزع المؤجج لا الضرام^(٤)

(١) قال أبو سفيان حين طاب إليه أن يصلح الأمر ، ليفزونا محمد إن صدق ظي

وهو صادق

(٢) كان بديل بن ورقاء الخزاعي قد قدم على النبي ومعه نفر من قومه بعد رجوع عمرو ابن سالم ومن معه فأخبره بما كان من أمر الواقعة . فجاء أبو سفيان إلى المدينة وهو يظن أن الخبر لم ينقل إلى النبي فدخل عليه ، وسأله أن يجدد العهد ويزيد في المدة فأبى عليه وسأله : هل ثم من حدث ؟ فقال معاذ الله نحن على عهدنا وصلحتنا لا نغير ولا نبدل ، ثم أعاد الكلام عليه فسكت عنه .

(٣) ذهب أبو سفيان إلى أبي بكر وعمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب وغيرهم يناشدهم الأرحام ويسألهم أن يكلموا النبي فيما جاء له . فصدقوا عنه ، ولم يقبلوا له قولا .

(٤) كانت عشرة آلاف نار أمر النبي بإيقادها لما بلغ الجيش من الظهران ليراهم المشركون فيرعبوا .

تقد أنذرت قومك فاستطاروا وراحوا ما يقتر لهم قرار^(١)
نبت بهم اننازل والديار وضاق سبيلهم فيها فحاروا

وقال سراتهم : خطب جسام

قدعهم يا ابن حرب تلنّ رشدا وبالحق اعتصم فالحق أجدى

سبيل محمد فاسلكه أهدي وخذه يا ابن حرب منه عهدا

ليبتك فيه من شرف دعام^(٢)

مع العباس سرت إلى الرسول لأعظم مطلب وأجل سول^(٣)

لدين الله ، دين ذوى العقول من النفر المساميح العدول

صدقتك ، ليس كالنور الظلام

نقيت محمداً حراً رشيداً فعدت بيمنه خلقاً جديداً

هديت وكنت جباراً عنيداً هنيئاً فاصحب الجُدّ السعيدا

بما أولاك صاحبك المهام

أصبت الخير أجمع والرشادا على يده ونلت به المرادا

أفادك يا ابن حرب ما أفادا فبارك فيك ربك ثم زادا

وعند الله يلتمس التمام

نظرت فهل رأيت أشدّ صبراً وأحسن منظراً وأجلاً قدرا؟^(٤)

(١) لما رجع إلى قريش قالوا : ما وراءك ؟ هل بيئت بكتاب من محمد أو عهد ؟ قال لا والله . لقد أبى علي ، وقد تدبعت أصحابه فما رأيت قوماً ملك أطوع منهم له .

(٢) جعل له النبي حق الجوار فقال : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن .

(٣) حمله العباس بن عبد المطلب على يافته وقدم به على النبي فأسلم .

(٤) أمر به النبي نجس على الطريق في رجوعه إلى مكة ليرى جيوش المسلمين ، وأمر أن تكون كل قبيلة عند راية قائدها . فجعلت تحربه ككتيبة كتبية . وهو ينظر إليها ويسأل عنها ، فلما مرت الكتيبة الأولى وكانت من بني سليم وعددها ألف رجل أو تسعمائة معهم لواءت يحملها العباس بن مرداس . وخفاف بن ندبة كبرت ثلاثاً فقال أبو سفيان للعباس بن عبد المطلب : من هؤلاء ؟ قال : خالد بن الوليد معه بنو سليم ، قال - مالي ولبنى سليم ، ثم مرت

كتائب من جنود الله ترى تمرُّ عليك واحدة فأخرى
لها من دينها العالى نظام
تُكَبِّرُ ربها وتراه حقاً وتبذل فيه أنفسها فتبقى
لك البشرى، نعمت وكنت تشقى فماذا من أيدي الله تلتقى؟
لقد جأت فليس لها انصرام
لنعم الصحابيات الناجيات على طول التردد والتوالى

= الثانية فكبرت ثلاثاً . ذل : من هؤلاء ؟ قال العباس : الزبير بن العوام في خمسمائة من المهاجرين وأبناء العرب ، قال : الزبير بن أختك ؟ قال نعم ، ثم مرت كتيبة بنى غفار في ثلثمائة يحمل رايتهم ابوذر . فلما حاذوه كبروا ثلاثاً ، فقال من هؤلاء ؟ قال : غفار ، قال مالى ولفغار ، ثم مرت أسلم في أربعمائة لها لواءان يحملهما بريدة ابن الحصيب . وناجية بن الأعجم . فلما حاذوه كبروا ثلاثاً . فقال من هؤلاء ؟ قال مالى ولأسلم ، ثم مرت بنو كعب بن عمرو ، وهم خزاعة في خمسمائة يحمل رايتهم بشر بن سفيان ، فلما حاذوه كبروا ثلاثاً فقال من هؤلاء ؟ قال بنو كعب اخوة أسلم ، قال هؤلاء خلفاء محمد ؟ قال نعم ثم مرت مزينة فيها مائة فارس وثلاثة ألوية يحملها النعمان . وعبد بن عمرو بن عوف ، وبلال بن الحارث . فلما حاذوه كبروا ثلاثاً فقال من هؤلاء ؟ قال : مزينة ، قال مالى ومزينة . قد جاءتني تفقع من شواحقها ثم مرت جبهينة في ثلثمائة فيها أربعة ألوية يحملها معبد بن خالد . وسويد بن صخر ، ورايم بن مكيب وعبد الله بن بدر فلما حاذوه كبروا ثلاثاً . فقال من هؤلاء ؟ قال العباس . جهينة ، قال . مالى وجبهينة . والله ما كان بينهم وبينى حرب قط ، ثم مرت كنانة - بنو ايث وضمرة ، وسعد بن بكر - في مائتين يحمل لواءهم أبو واقد اللبى ، فلما حاذوه كبروا ثلاثاً فقال من هؤلاء ؟ قال . بنو بكر . قال . نعم أهل شؤم والله ، هؤلاء الذين غزانا محمد بسببهم ، ثم مرت أشجع وهم ثلثمائة معهم لواءان يحملهما معقل بن سنان ونعيم بن مسعود الأشجعي فكبروا ثلاثاً فقال من هؤلاء قال اشجع : قال هؤلاء كانوا أشد العرب على محمد ، قال العباس . دخل الاسلام في قلوبهم وهذا من فضل الله - ومرت بنو تميم . وبنو فزارة . وسعد بن هذيم . وهم من قضاة ففعلوا مثل ذلك . ثم جاءت كتيبة خضراء فيها أفا دارع ومنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه المهاجرون والأنصار وفيها الرايات والألوية . مع كل بطن من بطون الأنصار لواء وراية وهم في الحديد ، لا يرى منهم إلا الحدق ، وكانت راية الأنصار مع سعد بن عباد فلما رأى أبو سفيان قال : سبحان الله يا عباس ، من هؤلاء ؟ قال : هذا رسول الله في الأنصار ، فقال أبو سفيان ، ما لأحد هؤلاء قبل ولا طاعة .

حكيم وابن ورقاء اللذان أرادا الله فيما يبغيان
فليس بغير سنته اعترضهم
كلا الرجلين غطريف كريم له في قومه حسب قديم
زعيم اجاء يصحبه زعيم كذلك يظهر الدين العظيم
فتعرفه العطارفة العظام

مضى لك يا حكيم ولابن حرب قضاء زاد حياً كلَّ قلب (١)
ومن أولى من الهادى محب؟ وأجدر من عشيرته بقرب؟
قريش قومه ، وهو الإمام

إذا جعلت قلوب الناس تهفو فمن يبتئكما حرز وكهف
وعندكما ظلال الأمن تصفو وورد العيش للوراد يصفو
هما البيتان كلهما حرام

وفي حرم اللواء لكل نفس تلوذ به كفاية كل بأس (٢)
يراه سراة مكة فوق رأس ليمون النقيية غير نكس
من النفر الألى صلوا وصاموا

لواء أبى رويحة ما أعزأ لواء قام للإيمان رمزا
يهزُّ قلوب أهل الشرك هذا ويترك بأسهم ضعفاً وعجزا
فمن للقوم إن وقع الصدام؟

(١) حكيم بن حزام ، وبديل بن ورقاء ، قدما على النبي فأسلما (حكيم بن حزام بن خويلد أختى السيدة خديجة أم المؤمنين ، فبى عمته ، كان عمره حين أسلم ستين سنة ، وعاش بعد ستين سنة ؟ وكان من أشرف قريش في جاهليته وإسلامه ، أعتق في عهده الأول مائة رقبة ، وحج في الإسلام فلما كان بعرفة أعتق مائة وصيف في أعناقهم أطواق الفضة منقوش عليها ، عتق الله عن حكيم بن حزام ، وفي هذه الحججة جعل النبي لحكيم ما جعل لأبى سفيان من الإجارة .

(٢) كذلك قال الرسول الكريم ، من دخل في لواء أبى رويحة فهو آمن .

وقية الفتح الأعظم

جعل النبي صلى الله عليه وسلم لواء المهاجرين مع الزبير بن العوام . وأمره أن يدخل مكة من كداء وأن يركز رايته بالحجون ثم يمكث عندها لا يبرح حتى يأتيه ، ويبت خالد بن الوليد وكتائب من قضاة وسلم وأسلم وغفار ومزينة وجبينة وغيرهم ، وأمره أن يدخل من أسفل مكة ، وقد تجمع بها ناس من بني بكر وبني الحارث بن عبد مناف . وناس من هذيل ، فقاتلوا خالداً ومنعوه الدخول ، وشهروا السلاح ورموه بالنبل ، وقالوا ، لا تدخلها عنوة . فقاتلهم وانهمزوا (١) واشتد الأمر بمكة . فصاح حكيم ابن حزام : وأبو سفيان : يا معشر قريش على م تقتلون أنفسكم ؟ من دخل المسجد فهو آمن ، ومن دخل داره فهو آمن . ومن وضع السلاح فهو آمن ، فجمعوا يقتحمون الدور ويفلقون أبوابها ، ويطرحون السلاح . في الطرق فيأخذهم المسلمون ، وقد أيد الله رسوله وأدخله مكة فثراً منصوراً .

ديار مكة هذا خالد دلفا
طود من الشرك خاتته جوانبه
إن الجبال التي في الأرض لو كفرت
لما دعاه بسيف الله سيده
ديار مكة أمّا من يسالسه
تلك الوصية ما يرضى بها بدلا
فما احتياتك في الطود الذي رجفا ؟
لما مشى نحوه الطود الذي زحفا
لذكها جبل الإسلام أو نسفا
زاد السيوف به في عزها شرفا
فلا أذى يتقى منه ولا جنفا
ولا يرى دونها معدى ومنصرفا (٢)

(١) كان من هؤلاء صفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبي جهل ، وسهيل بن عمرو ، تجمعوا بمكان يقال له المندمة ليقاتلوا المسلمين . فقتل من هؤلاء مسعدة بن الياء ، وقتل من المشركين إتنا أو ثلاثة عشر رجلا ، ثم انهزموا وخالد من ورائهم ، وقد استشهد من أصحابه وجلان آخران هما حبيش بن الأشعر المزاعي أخو أم معبد التي مر بها النبي في هجرته إلى المدينة وكرز بن جابر القهري الذي أسلم بعد غزوة بدر وكان قبل ذلك من رؤساء المشركين ، وهو الذي أغار على سرح النبي .
(٢) أمره النبي أن يفرز رايته عند أدنى البيوت من مكة ، وألا يقاتل إلا من يقاتله .

لا تجزعي ، إنه العهد الذي انبعثت
ليل الأباطيل ما التفت غياهبه
هن المنايا . فيالقوم من بطل
ضاقوا بسعد فقالوا : قائد حنق
واستصرخوا من رسول الله ذا حذب
هبت إلى الشر من جهالم فقة
واستنفرت من قريش كل ذي نرق
فخاضها خالد شعواء كالخة ...
رمى بها مهيج الكفار فاستبقت
أنولره تصدع العهد الذي سلفا
على الحقائق إلا انجاب وانكشفا
رُموا به حية من حية خلفا
لو جاوز الحد بعد الحد ما وقفنا (١)
إذا استغاث به مستصرخ عظفا
لم تأل من جهالها بغيًا ولا صلفا
إذا يشار إليه بالبنان هفا
إذا جرى الهول في أرجائها عصففا
تأقي البوار ، وتشكو الحين والتاففا

(١) لما حاذى سعد بن عبادة أبا سفيان وهو في كتيبة النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا أبا سفيان . اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الكعبة ، أي يقتل من يهدر دمه ولو تعلق بأستارها ، فلما حاذاه النبي قال له : أمرت بقتل قومك ؟ قال : لا ، فذكر له ما قال سعد . وناشده الرحم . فقال : يا أبا سفيان اليوم يوم المرحمة ، ثم تعرضت امرأة للنبي فأندسته .

يا رسول الهدى إليك لجاهد
حين ضاقت عليهم سعة الأرز
والتقت حلقتنا البطان على القو
بن سعداً يريد قاصمة الظهر
خزرجي لو يستطيع من الفيد
وغر الصدر لا يهيم بشيء
قد تظلى على البطاح وجاءت
إذ ينادى بذل حي قريش
ولئن أتعجم اللواء ونادى
ثم ثابت إليه من بهم الخز
لتسكون بالبطاح قريش
فانهينه فإنه أسد الأسد
لمنه مطرق يريد بنا الأمد
ي قريش ، ولات حين لجاهد
ض ، وعادهم لاله النساء
م ، وتودوا بالصليم الصلحاء
ر بأهل الحجون والبطحاء
ظ زمانا بالنسر والهواء
غير سفك الدماء وسي النساء
عنه هند بالسوءة السوءة
واين حرب بذنا من الشهداء
يا حاة الأديار أهل التواء
رج والأوس أنجم الهيجا
فقعة القاع في أكف الإمام
لدى الغاب والنع في الدماء
ر سكوتا كالخية الصها

فأمر النبي بأخذ الراية منه ودفعها إلى ولده قيس ، ثم خشى سعد أن يقع من ابنه شيء ينكره النبي فسأله أن يأمر بأخذها منه ففعل ، وبقي سعد في مقدمة كتيبة الرسول الكريم ولا راية معه وهو بذلك راض ، رضى الله عنه .

وقال قائلهم : أسرفت من بطل
وهاج هم أبي سفيان ما وجدوا
فلا ت قلب رسول الله مرحة
وقال : سر يارسولي ، فانه صاحبتنا
عن القتال ، لحسى ما جنى وكفى

* * *

مضى الرسول يقول : اقتل فهبجها
وعاد والدم في آثاره سرب
قال النبي ألم تذكر مقاتلتنا
فقال : بوركت ، إن الله حرفها
سبحانه . إن أمر الناس في يده

* * *

لا يجزع القوم إن السيف مرتدع
لم يرفعوا الصوت حتى لاح بارقه
هذا الزبير تراعى في كتابه
يلقى كداء به والحيل راکضة
عما قليل ، وإن النصر قد أرفا
تحت العجاجة ، يجلو ضوءه السدفا^(٢)
كالسيل ، لاتمسك الأسداد ماجرفا
ما قال حسان من قبلى وما ازدهفا^(٣)

* * *

(١) جاء أبو سفيان فقال يا رسول الله : أبيع نخراء قريش ، لا قريش بعد اليوم ، فقال لرجل : إذ ذهب إلى خالد وقل له لا تقتل ، فذهب الرجل وأجرى الله على لسانه أن نبي الله يقول لك اقتل من قدرت عليه . فقتل سبعين رجلا . فلما رجع إلى النبي وكان قد علم بأمر القتل قال له . ألم أمرك بأن تدعو خالداً إلى الكف عن القتل ، فذكر له ما كان وقال : أردت أمراً وأراد الله غيره ، فكان أمر الله فوق أمرك . وما استطعت إلا الذى كان .

(٢) السدف الظلم .

(٣) لما دخل النبي مكة رأى النساء يلطمن وجوه الخيل بالحجر . فتبسّم وقال لأبي بكر : ماذا قال حسان ، وأنشده :

عدمت بنيتي إن لم تروها

ينازعن الأعنة مسرجات

يلطمهن بالحجر النساء

فقال النبي : ادخلوها من حيث قال . وازدهف بمعنى انحرف أو تزيد في الكلام .

الله أكبر ، جاء الفتح وابتهجت
مشى النبي يحف النصر موكبه
أضحى أسامة من بين الصحاب له
لم يبق إذ سطعت أنوار غرته
تحرك البيت حتى لو تطاوعه
واقاه في صحبه من كل مزدلف
العاكفون على الأصنام أضحكهم
كانوا يظنون أن لا يستباح لها
نامت شياطينها عنها مذمة
هوت تفاريق ، وانقضت محطمة
ربعت شيوخ قريش من قذائفها
رأته ينحط من عليائه فرعا
وما درى هبل والطنن يأخذه
لو كان للدم يحسرى حوله دفعا

(١) انتهى النبي إلى الكعبة ومعه المسلمون . فاستلم الركن بحجته ، وكبر فكبروا مرجعين حتى ارتجت مكة . وكان يشير إليهم أن اسكتوا ، وكان محمد بن مسleme يأخذ بزمام باقته في طوافه . ازدلف تقدم وتقرب .

(٢) قال ابن عباس . كان على الكعبة يوم الفتح ثلاثمائة وستون صنما ، لكل حى من أحياء العرب صنم قد شدوا أقدامها بالرصاص ، فجعل النبي يهوى بقضيب كان معه إلى كل صنم فيها فبهوى ، ولأنه كان يقول ، جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ، وكان هبل من أعظم هذه الأصنام فجاءه النبي ومعه قوس جعل يطعن بها في عيبيه وهو يقول : جاء الحق الآية ، ثم أمر به فكسر ، وبقي من هذه الأصنام على الكعبة صنم كبير من نحاس - وقيل من صفر - لحزاعة جعلوا له أوتاداً من الحديد مثبتة في الأرض ، فأمر النبي علياً بن أبى طالب أن يرميه فرمى به وكسره .

(٣) الكسف التطم .

(٤) المشترف المتصب .

(٥) الشعب مسيل الماء من الحوض .

رمى به الله ، يحيى البيت من عبث لم يبق بالبيت أصنام ولا صور للجاهلية رسم كان يعجبها لا كنت يازمن الأوهام من زمن إن الشريد الذي قد كان يظلمه ردّ الظلامة في رفق وإن عفوا إن الرسول لسمح ذو مياسرة شكراً محمد إن الله أسبغها وعدوّي لإمام المرسين به خذ المحصّب إن وافيته نزلا قد عاد يكلف بالإسلام من رشد ثم استقام على البيضاء يسلكها مشى طليقاً إلى غاياته مرححاً يفشى موارد للايمان صافية

يماف باطله من عاف أو عزفا^(١)
زال العمى، واستحال الأمر فاختلفا^(٢)
في دهرها ، ففقت أيامها وعفا
أرخی على الناس من ظلماته سجفا
ذوو قرابته قد عادت تصفا^(٣)
ولو يشاء إذن لاشتدّ أو عنفا
إذا تملك أعناق الجناة عفا
عليك نعمى ترى ظلمها وضفا
والله إن وعد الرسل الكرام وفي
واذكر به ذلك الميثاق والحلقا^(٤)
من كان بالكفر من غي الهوى كلفا
من كان يضرب في العمياء معسفا
وكان في القيد إن رام الخطى رسفا
ما امتاح من مثاها يوماً ولا اغترفا^(٥)

عادوا طهاري ، فلم يعلق بهم وضّرّ
تتابع القوم أفواجا ، فأمنهم
كذلك الحق يعلو في مصاعده
مرمى العقول إذا ما غرها هدف
وما على الحق من بأس ولا حرج
إن الذي جعل الإسلام معقله
لم يرض ما نال من مجد فأورثه
شتان ما بين صرح ثابت رفعت

تأجنى الكفر قبل الفتح واقترفا
دين السلام وأمسى الأمر مؤتلفا
حتى ينال الذرى أو يبلغ الشعفا^(١)
فإن تريد سواه إن رمت هدفا
إن هوّم العقل عنه مرة فففا
أعلى لأمته الأركان والسقفا
مجداً طريفاً ، وعزاً منه مؤتلفا^(٢)
منه القباب وصرح واهن خسفا

* * *

لئنصت الأرض، وأتسمع ممالكها
شرايع الخير يلقيها محببة

ماذا يقول لها الرعد الذي قصفنا^(٣)
شيخ النبيين يعني البر والالطفا

(١) الشعف رهوس الجبال جمع شفة .

(٢) لئنصت الشيء بمعنى استأنفه أى ابتدأه .

(٣) دعا النبي عثمان بن طلحة ففتح له الكعبة فدخلها معه ومع بلال وأسامة بن زيد ،

وصلى فيها ركعتين ثم خرج فوقف على بابها ، وقال : -

لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده . وانصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده .

ثم خضب خطبة طويلة منها - يا معشر قريش ، إن الله اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظيما

بالآباء . والناس من آدم ، وآدم من تراب ، وتلا قوله تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم

من ذكر وأثنى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير)

ثم قال : يا معشر قريش ماذا تظنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم ،

وقد قدرت ، وأول من قال ذلك سهيل بن عمرو ، فقال الرسول الكريم ، أقول كما قال أخي

يوسف (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين) اذهبوا فأنتم الطلقاء ،

فخرجوا وكأتما نتمروا من القبور ثم أسلموا .

وذكر في هذه الخطبة بعض الأحكام ومنها ، لا يقتل مسلم بكافر ، ولا يتوارث أهل

ملتين مختلفتين ، ولا يجمع المرء بين المرأة وعمتها ، ولا بينها وبين خالتها ، والبينة على من

ادعى واليمين على من أنكر . ولا تسافر المرأة مسيرة ثلاثة أيام إلا مع محرم . ولا صلاة بعد =

(١) عزف عن الأمر زهد فيه وانصرف عنه .

(٢) أبو النبي أن يدخل البيت وفيه ما يبه من التماثيل التي اتخذها القوم على صور شتى ، فأمر بها فأخرجت ثم نادى مناديه : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنماً إلا كسره ، فكسروا الأصنام التي كانت في بيوتهم ، وعمدت هند بنت عتبة زوج أبي سفيان إلى صنم كان عندهما فجعلت تضربه وتقول : كتنا منك في غرور ، ثم بعث النبي السرايا لكسر الأصنام التي كانت حول مكة .

(٣) النبي صلى الله عليه وسلم .

(٤) قاله النبي : إذا فتح الله لنا مكة نزلنا الحيف - خيف بنى كنانة يعنى المحصب - وهو الذي تحالفت فيه قريش وكنانة على مقاطعة بنى هاشم وبنى عبد المطلب حتى يسلموه إليهم ، وقد فتحت مكة وقتل ذلك .

(٥) امتاح الماء غرفة .

الناس من آدمٍ والبقى مهلكة فليتنق الله منهم من قسا وجفا
قل للأئى خطبوا الأفوام أو كتبوا دعوا المنابر والأقلام والصحفا

العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه

خرج العباس بأهله وعياله مهاجراً إلى المدينة ، فلقى النبي صلى الله عليه وسلم بالجحفة وكان قد أمره بالإقامة بمكة ليكتب إليه أخبار قريش ، واستأذنه في الهجرة فكتب إليه : يا عم أقم مكانك الذي أنت فيه ، فإن الله يحتم بك الهجرة كما حتم بي النبوة ، وكان ينفع المستضعفين من المسلمين ، وقد أعلن إسلامه يوم الفتح وكان يكتمه قبل ذلك ، وكان أجود قريش كفاً ، وأوصاها رجماً ، ومن مناقبه أن عمر بن الخطاب كان يستسقى به في خلافته إذا قحط الناس فيسقون ، وفي ذلك يقول عقيل بن أبي طالب :

بعمى سقى الله البلاد فأهلها عسبة يستسقى بشيئته عمر
توجه بالعباس في الجذب داعياً فما حاد حتى جاد بالديعة المطر

أبا الفضل أقبل وارفع الصوت شاكراً
أمت تراعى الركب حران شقيقاً
هنيئاً ، فقد أوتيت سؤلك كله
هنيئاً ، فحيث ترى نور النبوة باهراً
إذا ما التمتست الركب : أين مكانه
أبا الفضل أقبل ، واقضها من لبانة
حيب نأى يطوى السنين ، وذو هوى
فذلك فضل الله ، أسداه واقراً
أمت تراعى الركب وفائك زائراً
هنيئاً ، ولقيت عن قرب من السعد طائراً
فحيث ترى نور النبوة باهراً
أبا الفضل أقبل ، تشقى منك داء مخامراً
انفسك ، يعالج وجدداً بين جنبيه نائراً
فيرضى ، ويفضى الجفن في الله صابراً
فسلم ، وطب ماشئت نفساً وخاطراً
يحر السرايا خلفه والعساكراً
تحيماته تلقاك زهراً نواضراً
مكانك منه إلى اليوم عاطراً

أمت على المستضعفين بمكة
إذا فرغوا للظلم كنت لهم حمى
ترد الأذى عنهم ، وترعى الأوصار
وإن أعوز الأنصار ألفوك ناصر

العصر وبعد الصبح ، ولا يصام يوم الأضحى ويوم الفطر ، ثم قال - أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ، إلى آخر ما قال صلوات الله وسلامه عليه .

يظنك أهل الكفر منهم ، وإنما
شدت قوى الإسلام بين ربوعهم
وكنت له عيناً تظاهرها يد
تمدُّ رسول الله بالكتب حفلاً
بريد ، إذا كف البريد من الونى
وكنت إذا استأذنت ، تبغى جواره
وقال : انتظر يا عم ، إنك مرجأ
ففي ختم الله النبيين كلهم
وإني لأرجو أن تكون بيثرب

* * *

أردت بهم أمراً ، وما كنت كافراً
وخادعتم عنه ، فأصبح ظاهراً
تذبح خفاياهم ، وتبدي السرائر
بأنبيائهم ، تطوى الفجاج سوائراً
مضى دائماً في شأنه متواتراً
أبى ، وهو اه أن يراك مجاوراً
إلى موعد يأتي به الله آخراً
وتتم هاتيك العلى والمآثراً
بقية من يأتي إلينا مهاجراً

هو الله فانظر يا أبا الفضل ما قضى
تجلت دياجير الهوم دميمة
ألا رب يوم ذقت من سوء ما جنى
وليل كما اهتاج الجبان مفزع
كدأبك إذ قالوا أصيب محمد
فلما عرفت الحق أوفيت ناهضا
وترسله حراً طليقاً ، وإنه
نهضت خفيف الجانبين ، ولم تكن
يسرك ماسر الرسول وما يكن
هديت أبا سفيان ترحم نفسه
وجئت به ، والجند بالليل راصد

(١) إشارة إلى قصة حجاج بن علاط السلمي رضى الله عنه وقد تقدمت .

فأسلم يرضى الله من بعد نفرة
وفى ابن حزم وابن ورقاء شاهد
ثلاثة أقطاب صرفت قلوبهم
ولو أعرضوا لم يردع الحرب رادع
حققت دماء ، لو يُخلى سبيلها
فأمست قريش ما لها من بقية
بيمئتك يا عم الرسول تتابعت
وكنت امرأ من قبل ذلك محسناً
عظيماً ترخيه قريش لما بها
وإنك إذ تسقى الحجاج لسيد
لعثمان ما يرضى ، ومالك غيرها
وليس التي يأتي الخيلة غارماً
حرمت الرضى إن عبت عثمان إنه
له من عطاء الله كنز مبارك
يضنُّ بفتحاح البنية جهده
أمانة رب البيت لم تعط خائناً

* * *

(١) كان مفتاح الكعبة مع عثمان بن طلحة بن أبي طلحة من ولد عبد الدار بن قصي ابن كلاب ، فلما جاء وفتحها للرسول الكريم سأله عمه العباس أن يعطيه إياه ليجمع بين السقاية والسدانة فأبى وقال ما معناه - إنما أعطيتكم يعنى آل بيته ، ما تبذلون فيه أموالكم للناس ، لا ما تأخذون فيه من الناس أموالهم - ثم رد المفتاح لى عثمان وقال : خذوها (يعنى السدانة) خالدة نالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم ، يا عثمان إن الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف . وفي هذه الواقعة نزل قوله تعالى - (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها - الآية) .

أبا الفضل هذا ما أحب محمد
إذا أظماً الله البلاد وأهلها
لعمري لقد غادرت غير منازع
صدقتك ، إني لو تناسيت حقها
أعني بروح منك يارب واهدني
دعوتك للإسلام أمسك مجده
ظفرت به ، لازال سهمك ظافرا
فباسمك يسقيها القيوث الموطرا
مناقب ذكراها تهزُّ المنابرا
على ما عناني ، لم أجد لي عاذرا
سبيلك ، إن أضللت في الناس شاعرا
وأدرك منه ما طوى الدهر ناشرا

إسلام هند بنت عتبة زوج أبي سفيان

لما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من مبايعة الرجال تقدم إليه النساء
يباعنه، وفيهن هند بنت عتبة زوج أبي سفيان ، وكان قد أهدر دمها لأنها
مثات بعمه حمزة رضى الله عنه يوم أحد ، ولاكت كبده ولم تقدر على
ابتلاعها فلفظتها ، وأخذت القلائد من جلده لأنه قتل أبها يوم بدر -
تقدمت إلى الرسول الكريم منتقبة خوفاً منه ففرها ، وقالت له : أعف
عما سلف ، عفا الله عنك ، يابني الله ، ثم بايعته . ومما يؤثر عنها أنه لما
قال (ولا تزني) قالت : أو تزني المرأة بإرسول الله ؟ ؟

يا هند حسبك مغنا وكفك
أقبلت ، ترخين القناع حبيبة
أولست هنداً ؟ قلت في خجل : بلى
داويت بالإسلام قابك فاشتقى
لا تذكري الكبد التي مارسها
ودعى قلائد يوم بدر والبسى
أخذ الهدى بك في سبيل محمد
ما كان بالمفتون حين شتمته
قلت : اقتلوه ، ولو أطاعك جمعهم
يا هند إن الحق أعظم صولة
ما مثله إن رُمت في الدنيا أباً
يا هند حسبك مغنا وكفك
أقبلت ، ترخين القناع حبيبة
أولست هنداً ؟ قلت في خجل : بلى
داويت بالإسلام قابك فاشتقى
لا تذكري الكبد التي مارسها
ودعى قلائد يوم بدر والبسى
أخذ الهدى بك في سبيل محمد
ما كان بالمفتون حين شتمته
قلت : اقتلوه ، ولو أطاعك جمعهم
يا هند إن الحق أعظم صولة
ما مثله إن رُمت في الدنيا أباً

(١) لما رجع أبو سفيان إلى قريش من عند النبي فقال لهم : هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل
لكم به ، أسلموا تسلموا ، قامت هند فأخذت بشاربه وقالت : اقتلوا الحميت (الزق الضخم)
الدم الأحمر ، قبحت من طلبعة قوم - وفي رواية أنها أخذت بلحيتته ونادت : اقتلوا الشيخ
الأحق ، ملاقاتكم ودافعت عن أنفسكم وبلادكم ؟ ؟

إسلام عثمان بن أبي قحافة والراي بكر الصديق رضي الله عنهما

لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكعبة وجلس في المسجد والناس حوله ، ذهب أبو بكر رضي الله عنه وجاء بأبيه عثمان - ويكنى بأبي قحافة - بنوده وقد كف بصره ، فلما رآه قال لأبي بكر : هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية ؟ قال أبو بكر يا رسول الله هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي أنت إليه ، ثم أجلسه بين يديه الشريفين مسح صدره وقال : أسلم تسلم ففعل ، وهنأ النبي أبا بكر بإسلامه فقال : « والذي بعثك بالحق لإسلام أبي طالب كان أقر لعيني من إسلامه » .

شيخ يقاد إلى النبي على يد
هذا أبو بكر يهدم شيخه
قال النبي ألا رثيت لضعفه
لو لم يحيء شئت أشهد أمره
يا والد الصديق خذها نعمة
ما كنت بالمصروف عن دين الألى
العاكفين على شرائع ربهم
الظالمين إلى الجهاد ، فإن دُعوا
يتهافتون على جوانبها إذا
من كان يسعد في الرجال بوالد
من سؤدد الصديق أن زمانه
الحاضن الإسلام يجعل صدره
يعطيه مهجته وصفوة ماله
قال النبي اهنا ، فقال وددتها
هذا هو الإيثار ، فاعجب واعتبر

هي للنبي إذا رمى أعلى يد
يهديه ، إن الأملئ ليهتدي
وتركته في داره لم يجهد ؟
وأجله شيخاً كريم المشهد
سبقت إليك من النبي محمد
كفروا بأله كأن لم تعبدا
من رقع بيض الجباه وسجد
وردوا حياض الموت عذب المورد
نادى رسول الله أئبكم الصد ؟
فبمن ولدت أبا قحافة فأسعد
لو لم يله لكان خصم السؤدد
كفأقيه أذى العدو المفسد
ويكون للحديث الجليل برصد
كانت لعنك ذى القعل الأجد
وأعد على الدهر الحديث وردد

من قدم الدنيا ، فليس يبلغ
فيم اعتذارك ، والمهدية سمحة
بايمت أهدى العائنين طريقة
يذى الإساءة ، وهي جرح بالغ
مهما تنه الحفظات من الألى
أعجبت إذ ذكر الفواش هاديا
إن تعجبي للعرض يذل هيناً
عرض الحرائر ما علمت وإنما
يحفظنه ، ويددن عن ممنوعه
تأبى التي منهن يقتلها الطوى
وآصد معرضة تضن بنفسها
غار الزنا يخزى الوجوه وشره
يا هندي إن الله أمضى حكمه
أوتيت زادك من تقى وهداية

ما قدمت عند الرسول يدك
وهواك في تقوى الإله هواك (١)
ورضيت منه مهذباً يرضاك
ويعوذ بالخلق الكريم الزاكي
جهلوا ، فليس بعائب أو شاك
فنهى اللواتى جثته ونهاك ؟
وهو الحياة بأسرها فكذلك
يرضى سواهن الزنا وسواك
شبهات كل مخادع فتاك
أن يشتري بذخر الأملاك (٢)
ولو ان مضجعهما ذرى الأفلاك
يرمى البلاد وأهلها بهلاك
فكفائك سوء عذابه ووقاك
فتزودى ، سبحان من نجحك

(١) أهدت إلى النبي مع جارية لها جدين مشويين وقديداً ، وأوصتها أن تعتقد إليه على لسانها وتقول : إن عثمان قليلة الوادة .
(٢) الطوى الجوع -

كعب بن زهير وأخوه بجير رضي الله عنهما

هو كعب بن زهير بن أبي سلمى الزبي أحد أصحاب العنقات ، كان يرعى غنماً له مع أخيه بجير ، وكان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم ، قال له بجير : أثبت أنت في غنمنا ودعني أذهب إلى محمد فأسمع كلامه وأعرف ماعنده ، وجاءه بالمدينة فهده الله للإسلام ، وبعث إلى كعب يخبره بذلك ، ويسعوه لئلا ما فعل (١) فأجابته كعب على رسالته لأنماً ، وكان الرسول الكريم قد أهدر دم كعب لما قال فيه ، فأقام يغالب نفسه ثم قدم فأسلم ، وقال قصيدته المشهورة بانت سعاد .

بجير كيف يخطئك السداد ويمنح ضلّةً منك القيادة ؟

ألا إن اللبيب لذو صلاح إذا ما رأى خالطه الفساد

تركت أخاك تشده مراداً لنفسك صالحاً ، نعم المراد

تقول له : أنت في ظنون تزدود البيّنات ، ولا تزداد ؟

فدعني وانتظر يا كعب إني لأخشى أن يطيح بنا العناد

أجىء محمداً فأرى : أغىء يراد بمن يليه أم رشاد ؟

أتى ، فرأى اليقين ، له جلاء فطابت نفسه ، وصفا الفؤاد

وأسلم ، لا يرى لله ندّاً تدين له الخلائق والمعباد

وأنفذه إلى كعب كتاباً كأن سطوره البيض الحداد

دعاه إليه بكره أن يراه كمن صدقوا عن المثلي وحادوا

(١) بث بجير إلى كعب يقول : إن رسول الله قتل رجلاً من كانوا يهجونه ويؤذونه ، فإن كانت لك في نفسك حاجة فطار إليه مسرعاً فإنه لا يقتل من جاءه شيئاً ، وإن أنت لم تفعل فاجع إلى نجاتك من الأرض ثم كتب إليه :

فمن مبلغ كعباً ، فهل لك في التي تلوم عليها باطلا وهي أحزم ؟

إلى الله - لا العزى ولا اللات - وحده فتتجو إذا كان النجاء وتسلم

لدى يوم لا يتجو وليس بقلت من الناس إلا طاهر القلب مسلم

فدين زهير وهو لا شيء دينه ودين أبي سلمى على محرم

وقال : لئن أبيت فلا تلمني إذا أخذتكَ داهية ناد

يرميت محمداً فلأنت صيد له يا كعب والرأى يصاد

إذا لم تأتنا فاذهب بعيداً عسى منجى يُعينك أو مصاد

أنتاه نذيره ففناه همّ * * * وطال الليل وامتنع الرقاد

إذا التمس القرار أبي عليه وغال قواه ذعر وارتماد

يظن الأرض ترجف أو تنزى فما ترسو الجبال ولا الوهاد

وأرسل : يا بجير صبات لما سقاك بكأسه السمح الجواد (١)

أدين أباك تترك يا بجير ولا دين سواه ولا اعتقاد ؟

وساوس ذاهل يفشاه رعب * * * غيوره جنوناً أو يكاد

فما ضاقت الدنيا عليه وهدت ركنه الكرب الشداد

أني بيني الأمان لدى كريم يرجى الخير منه ويستفاد

تدارك نفسه منه بغير فعاتد حين لا يرجى معاد

ولا ذم بمقل الإسلام كعب فلا ركن يميل ولا عماد

هلم فلاقه يا كعب رزقا * * * من الرضوان ليس له نفاذ

لمنم الزرع زرعك حين تبغى جناه ، وحين يدركه الحصاد

لقيت كرامة ، وسعدت جداً فغنّ إذا ، وقل بانت سعاد

بوخذها بردة للشعر فيها طريف العزّ والمجد التلاد

(١) لما جاءت رسالة بجير أخاه كعباً كتب إليه :

ألا أبلغنا عني بجيراً رسالة فهل لك فيما قلت ويحك هل لك ؟

فبين لنا إن كنت لست بفاعل على أي شيء غير ذلك دلوك ؟

على خلق لم تلف أمأ ولا أبأ عليه - ولا تلق عليه أخا لك

سقاك بها للمأمون كأساً روية فأهلك المأمون منها وعلكا

صباحاً الرجل خرج من دين إلى دين .

وإذا الحديث الحق جاء كبيركم
شتم الألى صدقوه ألا يدعوا
ورمى بهم في الحبس خوف حديثهم
فالزور أولى ، والحماقة أوجب^(١)
مالم يروا شططاً ، وألا يكذبوا
فالأمر فوضى ، والصواب مغيب

* * *

أغضب دريداً وأرض، لست كمالك
ملك القياد فلا مرداً لأمره
أكذلك زعمك يا ابن عوف؟ إنها
أزعمت أن محمداً لم يلقه
وظننت أنك إن لقيت جنوده
إن الذي حدثت قومك جاءه
في القوم إذ يرضى وإذا ينتضب
ولسوف يهلك من يقود ويحنب
الكبيرة ، بل أنت ويحك تابع^(٢)
من قبل قومك من يخاف ويرهب؟
لم تُعن عنه كتيبة أو مقنب
فإن عجت لما أصابك أعجب

* * *

هو ملتقى الجيشين، فانظر هل ترى
وربع الرماة بهم ، فتلك سهامهم
قوماً تظن عيونهم تتلّهب؟
ملء القسي إلى النحور تصوّب^(٣)

== ومالك ، ثم أشار عنيه بأمر لم يقبها وقال ، والله لا أطعك ، أنك تكبرت وضعف رأيك
فقال دريد لهوازن ، أنا راجع إلى أهلي إذن . فتعوه ، فقال مالك لهم ، والله انطعني بالمعشر
هوازن أو لا تكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري ، فقالوا : أظنك ، وقال دريد .
يا ليتني فيها حدغ ، أخب فيها وأضع أقود وظفأ الزعم . كأنها شاة صدغ
(١) أرسل مالك بن عوف ثلاثة من رجاله يستطلعون أخبار المسلمين ، فرجعوا إليه
مذعورين ، فقال : ويلكم ما شأنكم ؟ قالوا : رأينا رجالاً بيضاً على خيل بلق ، فأصابنا
ما ترى ، وإن أظننا لترجمن بقومك ، فقال : أف لكم ، بل أتم أجبن القوم ، ثم حبسهم
كيلاً شيخ الخبر .

(٢) بمث النبي عبد الله بن أبي حذرد الأسلمي ليأتيه بأخبار القوم ، فلما انتهى إلى
مالك بن عوف وعنده رؤساء هوازن سمعه يقول لهم : أن محمداً لم يقابل قبلاً أحدًا من أبطال
الحروب إلا ما كان يني قوماً أغمراً فيظهر عليهم وأنا الغالبوه ، وعاد عبد الله فقص الحديث على النبي
(٣) كانت هوازن رماة لا يكاد يخطيء لهم سهم . فألحوا على المسلمين بالنيل .

عزوة حنين

لما فتحت مكة اجتمع أشرف هوازن وثقف يقولون ، قد فرغ لنا
محمد ، فالرأى أن نغزوه نحن قبل أن يغزونا ، وجعلوا أمرهم إلى مالك
ابن عوف أسلم بعد ذلك على أن يرجع فيما يريد إلى دريد بن الصمة لسنه
وتجربته ، وكان عدد جيشهم ثلاثين ألفاً - خرجوا بالنساء والأولاد
والمواشي - وكان خروج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى هذه الغزوة
يوم السبت سادس شوال من السنة الثامنة في اثني عشر ألفاً ، وبعد أن
رتب الجيش أعطى الرايات إلى علي بن أبي طالب ، وسعد بن أبي وقاص ،
وعمر بن الخطاب ، والحباب بن المنذر ، وأسيد بن حضير . وقد اشتد
القتال في هذه الغزوة ، فتراجع المسلمون ثم نصرهم الله .

لئن الجموع كثيرة تتألب؟ مهلا هوازن أين أين المذهب؟
مهلا ثقيف ركبت من غي الهوى وعمايه الأوهام مالا يركب
مهلا بفاة السوء ما لمحمد كفو ، ولا منه لباغ مهرب
قلتم : قضى حاجاته ، وخاللنا فبدار ، إننا معشر لا نغلب
وبعثموها ظلمين ، تهزكم نشواتها ، فريدوا الموارد واشربوا
حل ابن عوف في الكريمة أمرم فأنهار كاهله ، وخر المنكب
ولقد دهاكم من دريد أنه شيخ تساس به الأمور مجرب
فسأتموه الرأي يعصم مالكا ويريه ما يأتي وما يتجنب
هيئات، كل الرأي إن غضب الألى لا يرتضون سوى الجهاد - تحيب
سوقوا النساء ، وجتدوا أنعامكم ودعوا البنين بكل أرض تدأب^(١)

(١) أمرهم مالك بن عوف أن يسوقوا معهم مواشيهم . وأمواهم ونساءهم وأبناءهم لينتفع
من الفرار ، فلما نزلوا بأوطاس (مكان الواقعة) قال دريد بن الصمة : مالي أسمع رغاء الإبل
ونهاق الخير ، وبكاء الصغير ، وبمار الشاء ، وخوار البقر ؟ قالوا ، هكذا أراد مالك ،
فدعا له إليه ، وسفه رأيه ، وكان مما قاله له - إنك رويي ضأن . فالك وللحرب ، هل يرد المهزم
شيء ؟ هي إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فضحت في نفسك =